هو

۱۲۱

تفسیر

المحیط الأعظم و البحر الخضم

سید حیدر آملی

الجزء الثالث

فهرست

۱- [تتمة كلام السيد الآملي]..... ۱۰
۱-۱ المقدّمة السّادسة في بيان الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و بيان أنّها أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة ۱۰
۱-۱-۱ أمّا الوجه الأوّل الّذي في تعريفها و تحقيقها و بيان اتّحادها و وحدتها (تعريف الشريعة و الطريقة و الحقيقة)..... ۱۱
۱-۱-۱-۱ (في بيان حقيقة الشريعة و الطريقة و الحقيقة) ۱۲
۱-۱-۱-۲ (في معنى النّبوّة و الرسالة و الولاية)..... ۱۳
۱-۱-۱-۳ (في عدم الخلاف بين الأنبياء)..... ۱۴
۱-۱-۱-۴ (حقائق الأشياء و ماهيّاتها ليست مجعولة)..... ۱۵
۱-۱-۱-۵ (لكلّ يعطى ما يستعدّ له)..... ۱۶
۱-۱-۱-۶ (في أنّ مراتب الناس منحصرة في ثلاثة) ۱۶
۱-۱-۱-۷ (لكل انسان استعداد و لكل استعداد لسان) ۱۷
۱-۱-۱-۸ (في ان كلّ من الشريعة و الطريقة و الحقيقة على صراط مستقيم) ۱۸
۱-۱-۱-۹ (في تعريف الشيخ و المرشد)..... ۱۸
۱-۱-۱-۱۰ (في مراتب العلم و تعريفه) ۱۸
۱-۱-۱-۱۱ (تعريف اللبّ)..... ۱۸
۱-۱-۱-۱۲ (في أنّ الواجب على الأنبياء مراعاة المراتب كلها)..... ۱۹
۱-۱-۱-۱۳ (في بيان مراتب النور الحسّي و العقلي و القدسي) (في ارشاد ابراهيم عليه السّلام) ۱۹
۱-۱-۱-۱۴ (في ان احتجاج ابراهيم عليه السّلام كان في زمان نبوّته) ۱۹
۱-۱-۱-۱۵ (في بيان العصمة و المعصوم)..... ۱۹
۱-۱-۱-۱۶ (مقام الفناء في المحبوب و محو الإثنينيّة و توحيد الصديقين)..... ۲۱
۱-۱-۱-۱۷ (في بيان مقام الفناء في التوحيد، و فناء العارف في المعروف)..... ۲۲
۱-۱-۲ الوجه الثاني: في بيان أنّ أهل الحقيقة هم أعلى مرتبة من أهل الطريقة، و أهل الطريقة من أهل الشريعة ۲۵
۱-۱-۲-۱ (الطريقة كمال للشريعة، و الحقيقة كمال للطريقة) ۲۵
۱-۱-۲-۲ (في أنّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله أعظم الأنبياء و جامع للكل) ۲۵
۱-۱-۲-۳ (في بيان المراد من المشرق و المغرب في حديث النبويّ صلّى اللّه عليه و آله)..... ۲۵
۱-۱-۲-۴ (في بيان المراد من المشرق و المغرب الصّوري و المعنوي) ۲۶
۱-۱-۲-۵ (في أنّ أهل الشريعة بإزاء الفقهاء و ...)..... ۲۷
۱-۱-۲-۶ (في حاجة الشرع إلى العقل، و حاجة العقل إلى الشرع)..... ۲۸
۱-۱-۳ الوجه الثالث في بيان احتياج العقل إلى الشرع، و افتقار الشرع إليه، و اعتضادكلّ واحد منهما بالآخر..... ۲۹
۱-۱-۳-۱ (في أنّ مالا يكون مطابقا لعقل الناس أحيانا و ظاهرا لا يلزم أن يكون حقا و صدقا)..... ۳۰
۱-۱-۳-۲ (الشرع كالروح للعقل كما أنّ العقل كالبدن للشرع)..... ۳۱
۱-۱-۳-۳ (في حاجة الشرع إلى العقل و العقل إلى الشرع)..... ۳۱
۱-۱-۳-۴ (الإنسان الحقيقي هو الّذي يعبد اللّه سبحانه و تعالى)..... ۳۲
۱-۱-۳-۵ (من لم يكن له دين ليس بإنسان حقيقة) ۳۳

۱-۱-۳-۶ (الإنسان المطلق) ۳۴
۱-۱-۳-۷(الموت الإرادي) ۳۵
۱-۱-۳-۸ الأصل الأوّل في الضوابط الكلّيّة المقرّرة بين الأنبياء و الرّسل عليهم السّلام لإرشاد الخلايق و هدايتهم إلى الطريق المستقيم و الدّين القويم ۳۵
۱-۱-۳-۸-۱ (في أنّ غرض الأنبياء و هدفهم إيصال الخلق إلى كمال المطلوب) ۳۵
۱-۱-۳-۸-۲ (في أنّ لكلّ استعداد خاصّ) ۳۷
۱-۱-۳-۸-۳ (في معنى اللطف الواجب على اللّه سبحانه و تعالى) ۳۷
۱-۱-۳-۸-۴ (تكليف كلّ طائفة يكون بحسبها) ۳۸
۱-۱-۳-۸-۵ (وجه وصول الإنسان الى مقام إلهى من قبل اللّه سبحانه) ۳۹
۱-۱-۳-۸-۶ (بيان وجه المناسبة الموجبة للمحبّة بين الحق و الخلق عقلا) ۴۰
۱-۱-۳-۸-۷(ظهور الملائكة في صورة الإنسان) ۴۱
۱-۱-۳-۸-۸ (شرف الإنسان الكامل على الملائكة) ۴۱
۱-۱-۳-۸-۹ (بيان وجه المناسبة الموجبة للمحبة بين الحق و الخلق نقلا) ۴۲
۱-۱-۳-۸-۱۰ (إخبار الإنسان الكامل من عالم الواحدة الصرفة) ۴۲
۱-۱-۳-۸-۱۱ (بيان ما يحصل للإنسان بفناءه في الحقّ سبحانه) ۴۳
۱-۱-۳-۸-۱۲ (المناسبة الحاصلة بين الأنبياء و الخلق) ۴۳
۱-۱-۳-۸-۱۳ (المناسبة بين الأنبياء و الملائكة) ۴۴
۱-۱-۳-۸-۱۴ (المناسبة الحاصلة بين الحق سبحانه و الملائكة) ۴۴
۱-۱-۳-۸-۱۵ (في وجه زيادة تكليف الأنبياء و الأولياء بالنسبة الى غيرهم) ۴۵
۱-۱-۳-۹ الأصل الثّاني في تعيين كمال كلّ موجود من الموجودات الروحانيّة و الجسمانية صورة و معنى ۴۶
۱-۱-۳-۹-۱ (كلّ موجود سائر إلى اللّه سبحانه و يسبّح له) ۴۶
۱-۱-۳-۹-۲ (حقيقة الصلاة و الذكر و التسبيح) ۴۷
۱-۱-۳-۹-۳ (أنّ العالم بدن للإنسان الكبير) (الإنسان الكامل و الروح الكلي الإنساني خليفة اللّه في العالم كما هو مظهره سبحانه) ۴۷
۱-۱-۳-۹-۴(لا يقع شيء في الوجود و يكون خلاف علم اللّه سبحانه و تعالى) ۴۸
۱-۱-۳-۹-۵ (كل موجود له تسبيح و حياة) ۴۹
۱-۱-۳-۹-۶ (الحياة الحقيقيّة هي العلم و المعرفة) ۴۹
۱-۱-۳-۹-۷ (المعرفة حقيقية و مجازية و المراد من المعرفة في «عالم أ لست» هي المعرفة في عالم الفطرة و الجبلّة) ۵۰
۱-۱-۳-۹-۸ (ليس في الوجود سوى اللّه، و هو العارف و المعروف و هو المحبّ و المحبوب) ۵۱
۱-۱-۳-۹-۹ (كمال كل شيء وصوله إلى الإنسان وكمال الإنسان وصوله الى الحق سبحانه) ۵۲
۱-۱-۳-۹-۱۰ (في أنّ الإنسان أفضل من الملائكة) ۵۴
۱-۱-۳-۱۰ القاعدة الأولى ۵۴
۱-۱-۳-۱۰-۱ (في أن غرض الأنبياء طهارة الإنسان، ظاهرا و باطنا) ۵۵
۱-۱-۳-۱۰-۲ أمّا الأصول و تحقيقها على مذهب الحقّ (الأصول الخمس على مذهب الحق) ۵۶
۱-۱-۳-۱۰-۳ أمّا التوحيد و أقسامه ۵۷
۱-۱-۳-۱۰-۳-۱ (في توحيد الأنبياء و الأولياء و بيان التوحيد الألوهي و الوجودي) ۵۷
۱-۱-۳-۱۰-۳-۱-۱أمّا المقدّمة فهي أن تعرف: ۵۷

١-١-٣-١٠-٣-١-٢ (الشرك الجليّ و الشرك الخفيّ).....٥٨
١-١-٣-١٠-٣-١-٣ (في أن دعوة الأنبياء كانت إلى التوحيد الألوهي، أمّا دعوة الأولياء فتكون إلى التوحيد الوجودي) ٥٩
١-١-٣-١٠-٣-٢ أمّا توحيد أهل الشريعة.....٦١
١-١-٣-١٠-٣-٢-١ (في بيان التوحيد التقليدي).....٦١
١-١-٣-١٠-٣-٢-٢ (في بيان التوحيد النظري و الاستدلالي).....٦٢
١-١-٣-١٠-٣-٣ و أمّا توحيد أهل الطريقة.....٦٢
١-١-٣-١٠-٣-٤ و أمّا توحيد أهل الحقيقة ٦٤
١-١-٣-١٠-٣-٤-١ (وحدة الشهود و وحدة الوجود).....٦٤
١-١-٣-١٠-٣-٤-٣ (في توحيدات الثلاث الفعلي و الوصفي و الذاتي).....٦٦
١-١-٣-١٠-٤و أمّا العدل.....٦٧
١-١-٣-١٠-٤-١ (المراد من العدل الإلهي).....٦٧
١-١-٣-١٠-٤-٢ (المراد من اللطف اللهي).....٦٨
١-١-٣-١٠-٤-٣ (في اثبات الحسن و القبح العقليان) ٦٨
١-١-٣-١٠-٤-٤ أمّا عدل أهل الشريعة ٦٨
١-١-٣-١٠-٤-٥ و أمّا عدل أهل الطريقة.....٦٩
١-١-٣-١٠-٤-٥-١ (في بيان التفاوت بين الصبر و الرضا).....٧٢
١-١-٣-١٠-٤-٦ و أمّا عدل أهل الحقيقة ٧٢
١-١-٣-١٠-٥ و أمّا النبوّة ٧٤
١-١-٣-١٠-٥-١و أمّا عند أهل الشريعة.....٧٤
١-١-٣-١٠-٥-١-١ (تعريف النّبوّة عند أهل الشريعة) ٧٤
١-١-٣-١٠-٥-١-٢ (في معنى المعجزة و الكرامة).....٧٤
١-١-٣-١٠-٥-١-٣ (الهدف من بعثة الأنبياء).....٧٥
١-١-٣-١٠-٥-٢و أمّا عند أهل الطريقة ٧٥
١-١-٣-١٠-٥-٢-١ (تعريف النّبوّة عند أهل الطريقة).....٧٥
١-١-٣-١٠-٥-٢-٢ (في أنّ النبيّ هو الحاكم بين الأسماء و المظاهر).....٧٥
١-١-٣-١٠-٥-٣ و أمّا عند أهل الحقيقة ٧٦
١-١-٣-١٠-٥-٣-١ (تعريف النّبوّة و الخلافة عند أهل الحقيقة).....٧٦
١-١-٣-١٠-٥-٣-٢ (في أنّ نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله ذاتيّة دائمة غير منصرمة) ٧٦
١-١-٣-١٠-٥-٣-٣ (في تعريف الخلافة و الخليفة و بيان الولاية التكوينيّة له).....٧٧
١-١-٣-١٠-٦ و أمّا الإمامة ٧٨
١-١-٣-١٠-٦-١ (تعريف الإمامة عند أهل الشريعة).....٧٨
١-١-٣-١٠-٦-٢ و أمّا عند أهل الشريعة ٧٨
١-١-٣-١٠-٦-٢-١ (في حاجة الناس الى الإمام المعصوم).....٧٨
١-١-٣-١٠-٦-٢-٢ (في أنّ نصب الإمام لطف من قبل اللّه سبحانه).....٧٩
١-١-٣-١٠-٦-٢-٣ (في أن الإمام يجب أن يكون شخصا معيّنا، معصوما) ٧٩
١-١-٣-١٠-٦-٣ و أمّا عند أهل الطريقة.....٨١
١-١-٣-١٠-٦-٣-١ (تعريف الإمامة عند أهل الطريقة) ٨١

١-١-٣-١٠-٦-٣-٢ (الولاية هي باطن النبوّة و هي التصرّف في الخلق) ٨١
١-١-٣-١٠-٦-٣-٣ (المهدي عليه السّلام هو الخاتم الولاية و قطب الأقطاب) ٨١
١-١-٣-١٠-٦-٣-٤ (في معنى آخر للولاية) ٨٢
١-١-٣-١٠-٦-٣-٥ (في قول الشيخ الأكبر بأنّ علي بن أبي طالب عليه السّلام سرّ الأنبياء) ٨٣
١-١-٣-١٠-٦-٤ و أمّا عند أهل الحقيقة ٨٣
١-١-٣-١٠-٦-٤-١ (تعريف الإمام عند أهل الحقيقة و أنّ عليه يكون مدار الوجود) ٨٣
١-١-٣-١٠-٧ و أمّا المعاد ٨٤
١-١-٣-١٠-٧-١ (تعريف المعاد على نحو الإطلاق) ٨٤
١-١-٣-١٠-٧-٢ أمّا معاد أهل الشريعة ٨٤
١-١-٣-١٠-٧-٣ و أمّا معاد أهل الطريقة ٨٦
١-١-٣-١٠-٧-٣-١ (المعاد هو عود مظاهر الأسماء بعضها إلى بعض آخر) ٨٦
١-١-٣-١٠-٧-٣-٢ (في أنّ حقيقة المعاد هي رجوع المظهر إلى الظاهر و المحاط الى المحيط) ٨٦
١-١-٣-١٠-٧-٣-٣ (في ظهور الأسماء و عدم تناهيها) ٨٦
١-١-٣-١٠-٧-٣-٤ (لكلّ اسم من الأسماء الحسنى اقتضاء و أحكام) ٨٧
١-١-٣-١٠-٧-٣-٥ (المراد بالأمر في القرآن) ٨٧
١-١-٣-١٠-٧-٣-٦ (في بيان الفرق بين الظهور الكلّي و الظهور الجزئي) ٨٨
١-١-٣-١٠-٧-٣-٧ (في مراتب الأسماء الحسنى و أحكامها) ٨٩
١-١-٣-١٠-٧-٣-٨ (كلّ اسم ربّ لمظاهره) ٨٩
١-١-٣-١٠-٧-٣-٩ و بيان ذلك مرّة أخرى: (كلّ محتاج إلى اللّه سبحانه لا بدّ أن يدعو من أسمائه الحسنى، الاسم الخاصّ المناسب بحاجته) ٩٠
١-١-٣-١٠-٧-٣-١٠ (في غلبة بعض الأسماء على البعض) ٩١
١-١-٣-١٠-٧-٤ أمّا القيامة الصغرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الطريقة ٩١
١-١-٣-١٠-٧-٤-١ (الموت الإرادي الاختيارى) ٩١
١-١-٣-١٠-٧-٤-٢ (في بيان الموتات الأربعة: الأحمر و الأبيض و الأخضر و الأسود) ٩٢
١-١-٣-١٠-٧-٥ و أمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنّسبة إلى أهل الطريقة ٩٣
١-١-٣-١٠-٧-٥-١ (موت الإنسان من الأخلاق الذميمة الّذي هو المقصود من بعثة الرسل) ٩٣
١-١-٣-١٠-٧-٥-٢ (في بيان الجنّة الصوريّة و النفسانيّة و الروحانيّة) ٩٥
١-١-٣-١٠-٧-٥-٣ (في أصول محاسن الأخلاق و رذائله السبعة) ٩٥
١-١-٣-١٠-٧-٥-٤ (أبواب جهنّم السبعة) ٩٥
١-١-٣-١٠-٧-٥-٥ (في مراتب الجنة الثمانية و أبوابها) ٩٦
١-١-٣-١٠-٧-٦ و أمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الطريقة ٩٧
١-١-٣-١٠-٧-٦-١ (موت الإنسان من غير الحق سبحانه و تعالى) ٩٧
١-١-٣-١٠-٧-٦-٢ (في مراتب الجنّة و أصناف أهلها) ٩٧
١-١-٣-١٠-٧-٦-٣ (في أصناف أهل الإسلام و أهل الكفر) ٩٨
١-١-٣-١٠-٧-٦-٤ و أمّا بالنسبة إلى أهل الحقيقة ٩٩
١-١-٣-١٠-٧-٧ أمّا القيامة الصغرى المعنويّة بالنسبة الى أهل الحقيقة ٩٩
١-١-٣-١٠-٧-٧-١ (حياة الإنسان بالتوحيد الأفعالي) ٩٩

١-١-٣-١٠-٧-٧-٢ (في بيان الجنات الثلاث: الأفعال و الصفات و الذات) ١٠٠
١-١-٣-١٠-٧-٧-٣ (نسبة الحق سبحانه إلى العالم نسبة روح الإنسان إلى جسده) ١٠٠
١-١-٣-١٠-٧-٨ و أمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الحقيقة ١٠١
١-١-٣-١٠-٧-٨-١ (حياة الإنسان بالتوحيد الصفاتي) ١٠١
١-١-٣-١٠-٧-٨-٢ (في حقيقة الإنسان و ماهيّة الإيمان) ١٠١
١-١-٣-١٠-٧-٩ و أمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الحقيقة ١٠٢
١-١-٣-١٠-٧-٩-١ (حياة الإنسان بالتوحيد الذاتي) ١٠٢
١-١-٣-١٠-٧-٩-٢ (في معنى التقوى و المتّقين) ١٠٤
١-١-٣-١٠-٧-٩-٣ (في بيان القيامات الصوريّة و المعنويّة) ١٠٤
١-١-٣-١٠-٧-١٠ أمّا القيامة الصغرى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق ١٠٥
١-١-٣-١٠-٧-١٠-١ (في أنّ القيامة الصغرى الصوريّة هي ظهور المهديّ عليه السّلام) ١٠٥
١-١-٣-١٠-٧-١١ و أمّا القيامة الوسطى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق ١٠٦
١-١-٣-١٠-٧-١٢و أمّا القيامة الكبرى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق ١٠٦
١-١-٣-١٠-٧-١٢-١ (في أنّ الموجود المطلق لا يصير معدوما و المعدوم المطلق لا يصير موجودا) ١٠٧
١-١-٣-١٠-٧-١٣ و أمّا القيامة الصّغرى المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق ١٠٧
١-١-٣-١٠-٧-١٣-١ (في تزويج النفوس) ١٠٧
١-١-٣-١٠-٧-١٤ و أمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق ١٠٨
١-١-٣-١٠-٧-١٤-١ (في أنّ العالم كشخص واحد و هو مكلّف) ١٠٩
١-١-٣-١٠-٧-١٥ و أمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق ١٠٩
١-١-٣-١٠-٧-١٥-١ (في تطابق الآفاق و الأنفس) ١١٠
٢- [ما انتخبنا من الفتوحات المكيّة في بحث المعاد و الجنّة و النّار] ١١١
٢-١ في معرفة القيامة و منازلها وكيفيّة البعث و النشور ١١٢
٢-١-١ (وجه تسمية يوم البعث بيوم القيامة) ١١٢
٢-١-٢ (في مظاهر القيامة و الحوادث الّتي توجد فيها) ١١٢
٢-١-٣ (في بيان نصب المنابر في القيامة و نداءات الحق سبحانه) ١١٣
٢-١-٤ (في بيان مواقف و سرادقات و جسور المحشر و القيامة) ١١٥
٢-١-٥ (في بيان الحشر وكيفيّة الإعادة في يوم النشر) ١١٧
٢-١-٥-١ (بقاء الأجسام في علم الطبيعة) ١١٨
٢-١-٥-٢ (عدم إدراك العقل ما جاء به الوحي أحيانا) ١١٨
٢-١-٥-٣ (في بيان الأقوال في كيفيّة الإعادة) ١١٩
٢-١-٥-٤ (علمه تعالى علم تفصيلي في عين الإجمالي) ١٢٠
٢-١-٥-٥ (أمر الدنيا منام في منام و أمر البرزخ منام و الآخرة هي اليقظة) ١٢١
٢-١-٥-٦ (شفاعة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في الحشر) ١٢١
٢-١-٥-٧ (شفاعة أرحم الراحمين في يوم الحشر) ١٢٢
٢-١-٦ في أرض الحشر و ما تحوي عليه من العالم و المراتب، و عرش الفصل و القضاء و حملته، و صفوف الملائكة عليها بين يدي الحكم العدل ١٢٣
٢-١-٦-١ (في بيان كيفيّة الحشر و النشر و ما يتعلّق بهما) ١٢٣

٢-١-٦-٢ (أوّل جنّة يدخلها النّاس)..... ١٢٤
٢-١-٦-٣ (في شفاعة الخاتم صلّى اللّه عليه و آله يوم القيامة)..... ١٢٥
٢-٢ في معرفة الجنّة و منازلها و درجاتها و ما يتعلّق بهذا الباب..... ١٢٦
٢-٢-١ (في أنّ لكلّ من العالم و الجنّة و ما يلتّذ به الروح مرتبتان، الحسيّة و المعنويّة)..... ١٢٦
٢-٢-٢ (النفس الناطقة هي الّتي تلتذّ بالمناظر الجميلة)..... ١٢٦
٢-٢-٣ (الجنّة المحسوسة و الجنّة المعنويّة)..... ١٢٦
٢-٢-٤ (مراتب الناس بالنسبة إلى الجنّة)..... ١٢٧
٢-٢-٥ (مراتب الجنّة و الأعمال)..... ١٢٧
٢-٢-٦ (من يدوم على الطهارة له الجنّة المخصوصة)..... ١٢٨
٢-٢-٧ (مراتب الأعمال في الفضيلة بالأمكنة و الأزمنة و الأحوال و غيرها)..... ١٢٨
٢-٢-٨ (جمع الأعمال و الأجور في زمان واحد)..... ١٢٩
٢-٢-٩ (ابن عربي و رؤياه بناء الكعبة على الفضّة و الذهب)..... ١٢٩
٢-٢-١٠ (في بيان درجات جنة الأعمال)..... ١٣٠
٢-٢-١١ (كرامة الخاتم صلّى اللّه عليه و آله و أمّته)..... ١٣٠
٢-٢-١٢ (مختصّات الأمّة المحمّدية من درجات الجنّة)..... ١٣٠
٢-٢-١٣ (في مراتب أهل الجنّة و أصنافها)..... ١٣٠
٢-٢-١٤ (الطريق الموصل إلى العلم باللّه سبحانه هو الكشف و العقل)..... ١٣١
٢-٢-١٥ (طوائف أهل الجنّة و مقاماتهم)..... ١٣١
٢-٢-١٦ (زيارة أهل الجنان الحق سبّحانه و تجلّيه تعالى لهم)..... ١٣١
٢-٢-١٧(تجلّي الحقّ سبحانه بدون الحجاب)..... ١٣٣
٢-٢-١٨ (الجنّة فيها الرحمة المطلقة)..... ١٣٤
٢-٢-١٩ (خمود النار رحمة لأهل الجحيم)..... ١٣٤
٢-٢-٢٠ (تحقّق التمنّي في الجنّة)..... ١٣٥
٢-٣ في معرفة جهنم و أعظم المخلوقات فيها عذابا و معرفة بعض العالم العلوي..... ١٣٦
٢-٣-١ (في أنّ جهنّم سجن اللّه سبحانه في الآخرة)..... ١٣٦
٢-٣-٢ (وجه تسمية جهنّم بجهنّم)..... ١٣٦
٢-٣-٣ (في أن جهنم هل هي موجودة الآن)..... ١٣٦
٢-٣-٤ (النار و الآلام التي فيها من الغضب الإلهي)..... ١٣٧
٢-٣-٥ (تخاصم أهل النار في النار)..... ١٣٨
٢-٣-٦ (منع التنازع و رفع الصوت عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله)..... ١٣٨
٢-٣-٧ (الخصومات ما بين أهل النار نفس عذابهم)..... ١٤٠
٢-٣-٨ (باب الحجاب عن رؤية اللّه سبحانه باب من أبواب جهنم)..... ١٤٠
٢-٣-٩ (الكواكب في جهنم مظلمة)..... ١٤٠
٢-٣-١٠ (كشف باطن الأشياء و الأعمال و حسن الأعمال و قبحها الذاتيّان)..... ١٤١
٢-٣-١١ (رؤية حقيقة الأشياء و الأعمال القبيحة و المحرّمة توجب تركها)..... ١٤١
٢-٣-١٢ (أشد الخلق عذابا في النار إبليس)..... ١٤٢
٢-٣-١٣ (تأثير النفس و الهواء البارد في بقاء حياة الإنسان)..... ١٤٢

۲-۳-۱۴ (الجهل عذاب بما أن الحسرة أيضا عذاب) ۱۴۲
۲-۳-۱۵ (مراتب الجنّة و النار و ولاتهما) ۱۴۳
۲-۳-۱۶ (نشأة أهل النّار تخالف نشأه أهل الجنّة) ۱۴۳
۲-۴ في مراتب أهل النار ۱۴۴
۲-۴-۱ (المخلّدون في النّار) ۱۴۴
۲-۴-۲ (منازل عذاب أهل النار) ۱۴۵
۲-۴-۳ (جنات أهل السعادة) ۱۴۶
۲-۴-۴ (أبواب جهنم) ۱۴۸
۲-۵ في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا و البعث ۱۴۹
۲-۵-۱ (في معنى البرزخ و حقيقته) ۱۴۹
۲-۵-۲ (عجز الإنسان عن إدراك حقيقة البرزخ و الخيال و المرآة) ۱۴۹
۲-۵-۳ (الأعراض القائمة بنفسها في النوم و البرزخ و الآخرة) ۱۵۰
۲-۵-۴ (فيما ترى عين الخيال و الّذي ترى عين الحسّ) ۱۵۰
۲-۵-۵ (الصّور و البرزخ في لسان الشرع) ۱۵۱
۲-۵-۶ (في تأثير النفخ و الصورة في تكوّن الإنسان و حقيقته) ۱۵۱
۲-۵-۷ (ما هو الصور و القرن) ۱۵۲
۲-۵-۸ (في سعة القرن و تصور العدم و المحال) ۱۵۲
۲-۵-۹ (في أن الخيال كيف يعمل) ۱۵۲
۲-۵-۱۰ (في معنى وجه الشيء) ۱۵۳
۲-۵-۱۱ (في أن الخيال لا يدرك المعاني المجردة) ۱۵۳
۲-۵-۱۲ (في بيان كون القرن نورا و ان الخيال لا يخطأ) ۱۵۳
۲-۵-۱۳ (في بيان إدراك الأرواح في البرزخ) ۱۵۴
۲-۵-۱۴ (كلّ إنسان يحشر يوم القيامة بصور أعماله) ۱۵۵
۲-۵-۱۵ الفصل الأوّل في ذكر العماء و ما يحوي عليه إلى عرش الاستواء ۱۵۵
۲-۵-۱۵-۱ (الوجود هو الحقّ و لا غير، و الحقّ هو الوجود و لا غير) ۱۵۵
۲-۵-۱۵-۲ (محال أن يظهر العالم من حكم الباطن) ۱۵۵
۲-۵-۱۵-۳ (العماء هو نفس الرحمن و جوهره صورة الإنسان الكامل) ۱۵۶
۲-۵-۱۵-۴ (الإنسان الكامل أكمل من العقل الأوّل) ۱۵۶
۲-۵-۱۵-۵ (في تكوّن العرش) ۱۵۷
۲-۵-۱۶ الفصل الثّاني في صورة العرش و الكرسي و القدمين ۱۵۷
۲-۵-۱۶-۱ (العرش مرآة للعلم الإلهي) ۱۵۷
۲-۵-۱۶-۲ (في أن العقل أب و النفس أمّ) ۱۵۷
۲-۵-۱۶-۳ (في خلق الملائكة و حملة العرش) ۱۵۸
۲-۵-۱۶-۴ (حملة العرش و مقر الكرسي) ۱۵۹
۲-۵-۱۶-۵ (في خلق الكرسي و تكوّنه) ۱۵۹
۲-۵-۱۶-۶ (المفاوضة و الاختصام في الملأ الأعلى) ۱۶۰
۲-۵-۱۷ الفصل الثالث في الفلك الأطلس و البروج و الجنّات و شجرة طوبى و سطح الفلك المكوكب ۱۶۰

۲-۵-۱۷-۱ (في أنّ الأئمة الإثني عشر وسائط فيض اللّه سبحانه و في بيان عصمتهم)..... ۱۶۰
۲-۵-۱۷-۲ (منازل الجنة على عدد آيات القرآن)..... ۱۶۳
۲-۵-۱۷-۳ (لكلّ عضو من أعضاء البدن باب في الجنّة)..... ۱۶۳
۲-۵-۱۷-۴ (في بيان خوخات الجنّات)..... ۱۶۴
۲-۵-۱۷-۵ (في شعب الإيمان و أقسام النبوّة)..... ۱۶۴
۲-۵-۱۷-۶ (في بيان تكون شجرة طوبى و أنها كآدم عليه السّلام)..... ۱۶۵
۲-۵-۱۸ الفصل الرابع في فلك (المنازل) التنازل..... ۱۶۶
۲-۵-۱۸-۱ (في أنّ الفلك المكوكب في جوف الفلك الأطلس)..... ۱۶۶
۲-۵-۱۸-۲ (الهواء حياة العالم)..... ۱۶۷
۲-۵-۱۸-۳ (في أعظم البروج و الخزائن التي فيها و منها الإنسان)..... ۱۶۷
۲-۵-۱۸-۳-۱ (الإنسان الكامل و أنّ له الخلافة)..... ۱۶۷
۲-۵-۱۸-۳-۲ (في أنّ كل شيء حيّ و له نفس)..... ۱۶۸
۲-۵-۱۸-۳-۳ (في ظهور الزمان)..... ۱۶۸
۲-۵-۱۸-۳-۴ (في أن فصول السنة أمور عدميّة نسبيّة)..... ۱۶۸
۲-۵-۱۸-۳-۵ (في أنّ الملائكة هم السفراء)..... ۱۶۸
۲-۵-۱۸-۳-۶ (ذكر أرواح الملكيّة و إطلاع أهل الكشف عليه)..... ۱۶۹
۲-۵-۱۸-۳-۷ (في خلق آدم و الجان)..... ۱۶۹
۲-۵-۱۹ الفصل السّادس في جهنّم و أبوابها و منازلها و دركاتها..... ۱۶۹
۲-۶ في معرفة منزل انتقال صفات أهل السّعادة إلى أهل الشقاء في الدار الآخرة (من الحضرة الموسويّة)..... ۱۷۱
۲-۶-۱ (مساواة درجات الجنة مع دركات النار)..... ۱۷۱
۲-۶-۲ (التخلّق بأسماء اللّه سبحانه و تعالى)..... ۱۷۴
۲-۶-۳ (استفادة الأشياء من تلميذه)..... ۱۷۴
۲-۶-۴ (الأشكال و الجداول)..... ۱۷۵
۲-۶-۵ (رجوع العوالم بعضها إلى بعض)..... ۱۷۷

١- [تتمة كلام السيد الآملي]

١-١ المقدّمة السّادسة في بيان الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و بيان أنّها أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة

اعلم، أنّ هذه المقدّمة مشتملة على بيان الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة، و بيان مراتبها و مدارجها عقلا و نقلا و كشفا، و الغرض منه أنّه لمّا كان أكثر أهل الزّمان من خواصّهم و عوامهم يظنّون:

أن الشّريعة خلاف الطّريقة، و الطّريقة خلاف الحقيقة، و يتصوّرون أنّ بين هذه المراتب مغايرة حقيقية، و ينسبون إلى كلّ طائفة منهم ما لا يليق بهم خصوصا إلى طائفة الموحّدين من أهل اللّه المسمّاة بالصوفيّة، و لم يكن سبب ذلك إلّا عدم علمهم بحالهم و قلّة وقوفهم على أصولهم و قواعدهم.

أردت أن أبيّن لهم الحال على ما هو عليه و أكشف لهم الأحوال على ما ينبغي ليحصل لهم العلم بحقيقة كلّ طائفة منهم، سيّما بالطايفة المخصوصة المذكورة من أهل اللّه و ينكشف لهم أحوالهم في طبقاتهم و مراتبهم و أصولهم و قواعدهم و يتحقّقوا أنّ الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة، و ليس فيها خلاف في نفس الأمر ، و يتركوا بذلك المجادلة و المعارضة مع أهل الل ان للعالم و الإنسان، و للشريعة و القرآن، و للعمل و الإيمان، و للعبادة و الطهارة و الولاية و الإيقان مراتب.

قال سبحانه تعالى:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [الحجر: ٢١].

و يعبّر عن تلك المراتب (على سبيل الكلّى) بالملك و الملكوت، و بالغيب و الشهادة، و بالظاهر و الباطن، و بالتنزيل و التأويل.

قال سبحانه و تعالى:

فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [يس: ٨٣].

و قال تعالى:

وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ [الزخرف: ٢- ۴].

فللقرآن مرتبة و هي الّتي بأيدينا و تدرك بالتّعقل فيها و له مرتبة أخرى و هي الّتي لا مجال فيها للألفاظ و اللّغة، و لا سبيل فيها للمفاهيم، و لا ينال إليها العقل، بل الطريق الوحيد للوصول إليها الطهارة، قال سبحانه و تعالى:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ [الواقعة: ٨٠ إلى ٧٧].

أي أنّ لهذا القرآن أصل و حقيقة عند رب العالمين، و الّذي بين أيديكم ظهور و تجلّ منه.

قال الصّادق عليه أفضل الصّلاة و السّلام:

«كتاب اللّه على أربعة أشياء: العبادة و الإشارة و اللطائف و الحقائق، فالعبادة للعوام، و الإشارة للخواصّ، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء» (تفسير الصافي ج ١ المقدمة الرابعة ص ٣١) و من هنا يعلم معنى: قوس النزول، و قوس الصعود، للعالم و الإنسان، و أنّ مبدأ النزول و أرباب التوحيد و خلاصته، و يتنزّهوا قلوبهم و نفوسهم عن ظلمة الغيّ و الضّلال، و يخرجوها عن دائرة الشبه و الإشكال، و يكون هذا بالنّسبة إلى أذهانهم الجامدة و طباعهم الخشنة كالنقوع المنضج للطبيعة الغير المستعدّة للمشروب الّذي يدفع الفضلات الرديّة و الأخلاط الفاسدة، و يحصل لهم بذلك الاستعداد و القابليّة لاستماع الكلمات الآتية و قبولها من قائلها لأنّ عبارة هؤلاء القوم مغلقة و إشاراتهم صعبة، شديدة المأخذ عظيمة المشرب ليس لكلّ أحد أن يفهمها، و لا لكلّ شخص أن يدركها، و لذلك كانوا دائما متبادرين إلى النصيحة لمريدهم، متسارعين إلى الوصيّة لملازميهم، كقول بعضهم لبعض مريديهم مثلا:

«ألا لا تلعبنّ بك اختلاف العبارات، فإنّه إذا «بعثر ما في القبور و حصّل ما في الصدور»، و حضر البشر في عرصة اللّه تعالى يوم القيامة، لعلّ من كلّ ألف تسعمائة و تسعة و تسعون ينبعثون من أجداثهم و هم قتلى من العبارات، ذبائح بسيوف الإشارات، عليهم دماؤها و جراحها، غفلوا عن المعاني، فضيّعوا المباني».

و إذا عرفت هذا فاعلم أنّ هذا البحث بعينه ذكرناه في كتابنا الموسوم بجامع الأسرار ، ثمّ في رسالة الوجود، ثمّ في أسرار الشريعة و أنوار الحقيقة، و هذا رابعها، و الغرض شيء واحد و هو أن يتحقّق عندك و عند غيرك أنّ هذه أسماء صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة، و ليس بينها تغاير في الحقيقة ، و إثبات هذا على سبيل التّفصيل و البرهان يحتاج الى وجوه ثلاثة:

الأولى: أنّ تعريف الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة و تحقيق هذه الأسماء و تخصيصاتها و بيان أنّها أسماء صادقة على حقيقة واحدة من غير إختلاف بينها.

الثّانية: إلى بيان أنّ أهل الحقيقة أعظم من أهل الطريقة و أهل الطّريقة من أهل الشّريعة و إن لم يكن بين هذه المراتب مغايرة.

الثّالثة: إلى بيان أنّ الشّرع ليس بمستغني عن العقل و لا العقل عن الشرع و غير ذلك من الأبحاث المتعلّقة به.

١-١-١ أمّا الوجه الأوّل الّذي في تعريفها و تحقيقها و بيان اتّحادها و وحدتها (تعريف الشريعة و الطريقة و الحقيقة)

فاعلم، أنّ الشريعة على ما قيل، اسم موضوع للسبل الإلهيّة مشتملة على أصولها و فروعها و رخصها و عزائمها،

حسنها و أحسنها.

و الطّريقة هي الأخذ بأحوطها و أحسنها و أقومها، وكلّ مسلك يسلك الإنسان أحسنه و أقومه يسمّى طريقة، قولا كان أو فعلا، صفة كان أو حالا.

و أمّا الحقيقة فإثبات وجود الشيء كشفا و عيانا، أو حالة و وجدانا.

و قيل أيضا: «الشّريعة أن تعبده، و الطّريقة أن تحضره، و الحقيقة أن تشهده».

و قيل: «الشريعة أن تقيم أمره، و الطريقة أن تقوم بأمره، و الحقيقة أن تقوم به».

و يعضد ذلك كلّه قول النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله:«الشّريعة أقوالي، و الطريقة أفعالي، و الحقيقة أحوالي و المعرفة رأس مالي، و العقل أصل ديني، و الشّوق مركبي، و الخوف رفيقي، و العلم سلاحي، و الحلم صاحبي و التّوكّل ردائي، و القناعة كنزي، و الصّدق منزلي، و اليقين مأواي، و الفقر فخري، و به أفتخر على سائر الأنبياء و المرسلين».

وكذلك خطابه لحارثة في قوله:

«يا حارثة، كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنا حقّا. فقال عليه السّلام: لكلّ حقّ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: رأيت أهل الجنّة يتزاورون، و أهل النّار يتعاوون، و رأيت عرش ربّي بارزا، قال: أصبت، فالزم».

فإيمانه بالغيب حقّ و شريعة، وكشفه و وجدانه الجنّة و النّار و العرش حقيقة، و زهده في الدنيا و العمل الّذي كان هو فيه حتّى استحق هذه الدّرجة طريقة، و الكلّ داخل في الشّرع غير خارج عنه، لأنّ الشرع اسم شامل لكلّ ذلك كما سبق.

و قيل: «إنّ الشرع كاللوزة الكاملة مثلا مشتملة على الدّهن و اللّب و القشر، فاللّوزة بأسرها كالشريعة، و اللّب كالطريقة، و الدّهن كالحقيقة».

و ورد في الصلاة هذا المعنى أيضا و هو ما قيل:

«إنّ الصّلاة خدمة و قربة و وصلة».

فالخدمة هي الشريعة، و القربة هي الطريقة و الوصلة هي الحقيقة، و اسم الصّلاة جامع للكلّ.

و إلى هذه المراتب أشار الحقّ تعالى في قوله ب: «علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين» الآتي بيانها في موضعها.

۱-۱-۱-۱ (في بيان حقيقة الشريعة و الطريقة و الحقيقة)

و عند التحقيق، الشّريعة عبارة عن تصديق أقوال الأنبياء قلبا و العمل بموجبها.

و الطّريقة عن تحقيق أفعالهم و أخلاقهم و القيام بها وصفا.

و الحقيقة عن مشاهدة أحوالهم و مقاماتهم كشفا، لأنّ الأسوة الحسنة في قوله:

لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب: ٢١].

لا تتحقق إلّا بهذا أي بالاتّصاف بهذه الأوصاف فعلا و صفة وكشفا، لأنّ الأسوة الحسنة في الحقيقة عبارة عن قيام الشخص بأداء حقوق مراتب شرعه على ما ينبغي و قد شهد بصدقه قوله السّابق قبل هذا القول، و إليه أشار أيضا سلطان الأولياء و الوصيّين أمير المؤمنين عليه السّلام في قوله: «إنّي لأنسبنّ الإسلام نسبة لن ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، و التسليم هو التصديق، و التّصديق هو اليقين، و اليقين هو الإقرار، و الإقرار هو الأداء، و الأداء هو العمل الصالح».

فكلّ من أراد التأسّي بنبيّه صلّى اللّه عليه و آله على ما ينبغي، فينبغي أن يتّصف بمجموع هذه الأوصاف أو ببعضها إن لم يتمكّن من الكلّ، و لا ينكر على أحد من المتّصفين بها أصلا: لأنّ مرجع الكلّ و إن اختلف أوضاعها إلى حقيقة واحدة الّتي هي الشرع النبويّ و الوضع الإلهي كما سبق تحقيقه و تقدّم تقريره.

١-١-١-٢ (في معنى النّبوّة و الرسالة و الولاية)

و في الحقيقة هذه المراتب الثلاث مقتضيات مراتب أخر الّتي هي الأصل في نفس الأمر و هي النبوّة و الرّسالة و الولاية، لأنّ الشّريعة من اقتضاء الرّسالة، و الطّريقة من اقتضاء النّبوة، و الحقيقة من اقتضاء الولاية، لأنّ الرّسالة عبارة عن تبليغ ما حصل للنبيّ من طرف النبوّة من الأحكام و السّياسة و التأديب بالأخلاق و التعليم بالحكمة، و هذا عين الشريعة.

و النبوّة عبارة عن إظهار ما حصل له من طرف الولاية من الإطلاع على معرفة ذات الحقّ تعالى و أسمائه و و صفاته و أفعاله و أحكامه بحسب المظاهر لعباده ليتّصفوا بصفاته و يتخلّقوا بأخلاقه و هذا عين الطريقة.

و الولاية عبارة عن مشاهدة ذاته و صفاته و أفعاله في مظاهركمالاته و مجالي تعيّناته بعين بصيرته بعد فنائه فيه و بقائه به و هذا عين الحقيقة.

و الكلّ راجع إلى شخص واحد الّذي هو الرّسول أو إلى حقيقة واحدة الّتي هي الشّريعة فيطابق هذا قولنا الّذي قلنا: إنّ الشّرع النّبويّ و الوضع الإلهي حقيقة واحدة مشتملة على هذه المراتب، و أنّ هذه المراتب أسماء صادقة عليها على سبيل التّرادف.

و أمثال ذلك في غير هذه الصّورة كثيرة كاسم العقل و القلم و النور على حقيقة واحدة الّتي هي حقيقة الإنسان الكبير مثلا، بما ورد في الخبر الصحيح:

«أوّل ما خلق اللّه تعالى العقل».

و: «أوّل ما خلق اللّه العلم».

و: «أوّل ما خلق اللّه نوري».

وكاسم الفؤاد و القلب و الصدر على حقيقة واحدة الّتي هي حقيقة الإنسان الصغير لقوله تعالى في الفؤاد:

ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى [النجم: ١١].

و لقوله في القلب:

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ [الشعراء: ١٩۴ و ١٩٣].

و لقوله في الصدر:

أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ [الشرح: ٢ و ١].

١-١-١-٣ (في عدم الخلاف بين الأنبياء)

و لذلك ما وقع الخلاف بين الأنبياء و الرّسل في الأصل الحقيقي و الأساس الكلّي الّذي هو الدّين و أركانه، و الإسلام و أصوله، لقوله تعالى فيهم:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [الشورى: ١٣].

و لقوله:

وَ وَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [البقرة: ١٣٢].

و لقوله من لسان نبيّه عليه السّلام:

وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: ١٥٣].

و لقوله بعد ذلك كلّه:

ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [الرّوم: ٣٠].

و معناه أنّ القيام بالأركان الثلاثة من الشريعة و الطريقة و الحقيقة و رعاية حقوقها في مراتبها و مدارجها هو الدّين القيّم الإلهي، و الطريق المستقيم النبويّ، و لكن أكثر النّاس لا يعلمون ذلك من جهلهم و عمائهم.

و إذا عرفت هذا و عرفت أنّه قطّ ما وقع الخلاف بين الأنبياء و الرّسل عليهم السّلام في أصول الدّين و أركان الإسلام و إن وقع الخلاف في الفروع و الأحكام الجزئيّة.

فاعلم، أنّ الاختلاف في كيفيّة الشيء وكميّته لا يدلّ على الإختلاف في ماهيّته و حقيقته، و أنّ حقيقة الشّرع في جميع الأزمنة و الأمكنة كانت واحدة وكانت منزّهة عن التّخالف و التّغاير، و إن كانت مختلفة الأوضاع و الأحكام بحسب المراتب و المدارج و الأشخاص و الأزمان، و من هذا قال جلّ ذكره:

لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة: ٢٨٥].

و إن تحقّقت عرفت أيضا أنّ الترتيب المذكور لا ينبغي إلّا كذلك و لا يمكن خلاف الّذي هو عليه من النظام و

الإتقان و الإحكام كما قيل:

«ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم»

إذ لوكان و ادّخره لكان بخلا يناقض الجود، و عجزا ينافي القدرة لأنّه لو لم يكن كذلك أي لو لم يكن الوجود على هذا النظام و الانتظام لم يمكن إيصال كلّ واحد واحد من عباده إلى حقّه المعيّن له بحسب الاستعداد و القابليّة لأن الاستعدادات مختلفة، و القابليّات متفاوتة، لا يمكن إرشاد الكلّ في مرتبة واحدة و طريقة واحدة، لقوله تعالى:

وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ [هود: ۱۱۸].

و لقوله:

لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً [المائدة: ۴۸].

فالاختلاف مقتضى الوجود، و لا يمكن خلافه، لأنّ الاقتضاء الذّاتي لا ينفكّ عن الذات، و قوله:

وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ [هود: ۱۱۹].

۱-۱-۱-۴ (حقائق الأشياء و ماهيّاتها ليست مجعولة)

إشارة إلى هذا، و معناه أي و لذلك الإختلاف خلقهم، و الإختلاف في الصّور من الإختلاف في المعنى، و الإختلاف في المعنى من الإختلاف في الحقائق و الأعيان، و الحقائق و الأعيان ليست بجعل الجاعل، فلا يكون المراد حينئذ ب «خلقهم» جعلهم كذلك، أعني لا يكون مراده ب «خلقهم» جعلهم على ما هم عليه من الإختلاف جبرا و قهرا، بل «خلقهم» يكون عبارة عن إعطاء وجودهم على حسب اقتضاء أعيانهم و حقائقهم الّتي ليست بجعل الجاعل ، لأنّها معدومات في الحقيقة، و المعدومات لا يكون مجعولات لأحد أصلا، بل من معلوماته الأزليّة، فافهم جدّا.

و هاهنا أبحاث كثيرة و أسرار شريفة قد ذكرناها في جامع الأسرار و سنذكرها في موضعها إن شاء اللّه.

و يدل على ذلك قوله في جواب داود عليه السّلام حين سأله:

«يا ربّ لما ذا خلقت الخلق».

قال: «لما هم عليه».

و معناه، أي لما هم عليه من الاستعدادات و القابليّات و الحقائق و الذّوات، و قوله أيضا:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ [الإسراء: ۸۴].

شاهد عليه، لأنّه يقول: كل منكم ما يصدر منه إلّا و ذلك الفعل يكون من اقتضاء ذاته، و لوازم استعداده و قابليّته، و قوله في موضع آخر:

وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ [ابراهيم: ۳۴].

۱-۱-۱-۵ (لكلّ يعطى ما يستعدّ له)

هذا معناه، لأنّه يقول: و آتاكم من الأزل من كلّ ما سألتموه بلسان استعدادكم و قابليّتكم، وكلّ ما يصدر منكم من الأفعال يكون من اقتضاء ذواتكم و أعيانكم، لأنّي فاعل، و أنتم قوابل، و الفاعل لا يعطي للقابل إلا الّذي يكون هو عليه من القابليّة، و:

كلّ ميسر لما خلق له.

إشارة إليه، و معنى «خلق»: جعل موجودا في الخارج، فيكون تقديره: خلق له في الخارج ما كان مكنونا في ذاته و حقيقته، فلا يتيسّر له حينئذ فعل إلّا و يكون ذلك الفعل من اقتضاء أعيانه و ماهيّاته.

هذا موضع تحقيق، و فيه أسرار شريفة لا يطلع عليها إلّا الخواصّ من أهل اللّه، لأنّها رشحة من أسرار القدر المنهيّ إفشاءها عند غير أهلها لقوله:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها [النساء: ۵۸].

وكأنّه تعالى جلّ ذكره إشارة إلى هذا قال:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر».

لأنّ هذا سرّ مخصوص بخواصّ الأولياء، وكبار الأنبياء الّذين قال فيهم

إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ [ص: ۴۷ و ۴۶].

فلا يطلع عليه غيرهم لا يحمل عطاياهم إلّا مطاياهم.

۱-۱-۱-۶ (في أنّ مراتب الناس منحصرة في ثلاثة)

و إذا تحقق هذا، فاعلم أنّ جميع مراتب النّاس عوامهم و خواصّهم منحصرة في مراتب ثلاثة، أعني البداية و الوسط و النهاية، لأنّ المراتب و إن لم تنحصر بحسب الأشخاص و الجزئيّات، فإنّها منحصرة بحسب الأنواع و الكلّيات.

فالشريعة اسم للوضع الإلهي و الشّرع النّبوي من حيث البداية.

و الطريقة أسم له من حيث الوسط.

و الحقيقة أسم له من حيث النّهاية.

و لا تخرج المراتب و إن كثرت عن هذه الثلاث، فيكون هو اسما جامعا للمراتب المذكورة كلّها، لأنّ الأولى مرتبة العوام، و الثّانية مرتبة الخواصّ، و الثالثة مرتبة خاصّ الخاصّ، و المكلّفون و ذوي العقول بأجمعهم ليسوا بخارجين عنها، فيكون هذه المراتب شاملة للكل، و معطية حق الكلّ، و يكون كلّ واحدة منها حقا في نفسها، و لذلك لا يجوز إنكار مرتبة منها، و لا مذمّة أحد من أهلها، فإنّ الأسوة الحسنة ما يتمّ إلّا برعاية هذه المراتب

كلّها، و إلى تغايرهم و مخالفتهم بحسب الاستعداد و القابليّة في هذه المراتب قال:

لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [المائدة: ۴۸].

و و اللّه ثمّ و اللّه، لو لم يكن في القرآن إلّا هذه الآية، لكفت برهانا على صدق ما قلناه، فضلا من أنّ ثلث القرآن مشحون بأمثال ذلك، دون الأخبار و الآثار المرويّة الصحيحة، و إن تحققت عرفت، أنّ الإسلام و الإيمان و الإيقان من اقتضاء هذه المراتب، و واقع على ترتيبها، وكذلك النبوّة و الرسالة و الولاية، وكذلك علم اليقين، و عين اليقين، و حقّ اليقين، وكذلك الأقوال و الأفعال و الأحوال المترتّبة على الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و غير ذلك من المراتب التثليثيّة، و بل الوجود كلّه واقع على هذه المراتب كالتثليث الفرديّة الموجبة للكثرة الاعتباريّة مثلا، أو التّثليث الاعتباريّة الذهنيّة كاعتبار العلم و العالم و المعلوم، أو التثليث الفرديّة الخارجيّة، كاعتبار الحضرة الأحديّة و الواحديّة و الربوبيّة بالنسبة إلى العوالم العينيّة، وكاعتبار العلم و الأمر و الإرادة بالنّسبة إلى العوالم الكونيّة، و الّتي بإزائها من القابليّة من العلوم و المأمور و المراد، أو كاعتبار الملك و الملكوت و الجبروت، أو عالم العقول و النفوس و المحسوس، أو التّثليث المخصوصة بالتّثليث المحمّدية المقتضية لمقامه، لقوله:

«حبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب، و النّساء، و قرّة عيني في الصّلاة»

و ما شاكل ذلك بالغا ما بلغ.

فحينئذ كما لا يجوز الإنكار على أقوال الأنبياء عليهم السّلام، و على القائلين و القائمين بآدابها المخصوصة بأهل الشريعة و أهل البدايات، فكذلك لا يجوز الإنكار على أفعال الأنبياء عليهم السّلام و على الموصوفين بها و القائمين بآدابها، المخصوصة بأرباب الطّريقة و أهل الوسط.

وكما لا يجوز الإنكار على أقوالهم و أفعالهم، فكذلك لا يجوز الإنكار على أحوالهم المعبّرة عنها بالحقيقة، و على المتّصفين بها و المخصوص بمراتبها من أهل الحقيقة و أرباب النّهاية.

و بالجملة لا يجوز الإنكار على أحد من أرباب الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة، و:

«أوتيت جوامع الكلم»

و:

«بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»

۱-۱-۱-۷ (لكل انسان استعداد و لكل استعداد لسان)

إشارة إلى هذا، كما أشرنا إليه، لأنّ الخلق ليسوا متساوين حتّى يكملهم في مرتبه واحدة و مقام واحد، بل الخلق متفاوتون في الاستعداد و القابليّة، و يجب اتّصال كلّ واحد منهم إلى حقّه المعيّن له بحسب الاستعداد و القابليّة، و من هذا صاروا مأمورين ب:

«كلّم النّاس على قدر عقولهم»

۱-۱-۱-۸ (في ان كلّ من الشريعة و الطريقة و الحقيقة على صراط مستقيم)

و إن قلت: يلزم من هذا حقّيّة كلّ طائفة من طوائف النّاس بما عليهم من الأديان و الملل و الآراء و الإعتقاد، و ليس الكلّ حقّا عند الكلّ.

قلنا: كلّ من يكون على الشريعة و الطريقة و الحقيقة على ما قرّرناه، و يقوم بأداء هذه المراتب على ما هي عليها، أو بواحدة منها فهو حقّ و طريقة حقّ و دينه صحيح، و هو على صراط مستقيم و دين قويم، و قوله تعالى:

ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [الروم: ۳۰].

إشارة إلى هذا، وكلّ من لم يكن كذلك و هو ليس بحقّ، و ليس على طريق مستقيم، و دينه ليس بصحيح، بل هو ضالّ مضلّ، باطل مبطل، و البعد عنه واجب.

و هذه قاعدة مطّردة بين أرباب التحقيق، و عليها بناء كلّ أصول و أساس كلّ فروع، و إليه أشار الحقّ تعالى مخاطبا لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله:

قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي [يوسف: ۱۰۸].

۱-۱-۱-۹ (في تعريف الشيخ و المرشد)

و يشهد بذلك أيضا اصطلاحهم في تعريف الشيخ و المرشد و هو قولهم:

«الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة و الطريقة و الحقيقة البالغ إلى حدّ التكميل فيها، لعلمه بآفات النّفوس و أمراضها و أدوائها، و معرفته بدائها و قدرته على شفائها و القيام بها، ان استعدت و وفقت لاهتدائها».

۱-۱-۱-۱۰ (في مراتب العلم و تعريفه)

وكذلك ما ورد في تعريف العلم و العالم المتّصف به، لأنّهم قسّموا العلم بالقشر و اللبّ، و لبّ اللبّ، و أرادوا به المراتب المذكورة و رعاية حقوقها، و هو قولهم:

«القشر كلّ علم ظاهر يصون به العلم الباطن الّذي هو لبّه عن الفساد، كالشريعة للطريقة، و الطريقة للحقيقة، فإنّ من لم يصن حاله و طريقته بالشريعة فسد حاله و آلت طريقته هوى و هوسا و وسوسة، و من يتوصّل بالطريقة إلى الحقيقة و لم يحفظها بها، فسدت حقيقته و آلت إلى الزندقة و الإلحاد».

۱-۱-۱-۱۱ (تعريف اللبّ)

«و اللب هو العقل المنوّر بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام و التّخيلات».

«و لبّ اللبّ هو مادّة النور إلهي القدسيّ الّذي يتأيّد به العقل».

فيصفوا عن القشور المذكورة، و يدرك العلوم المتعالية عن إدراك القلب المتعلّق بالكون المصون عن الفهم المحجوب بالعلم الرسمي، و ذلك من حسن السابقة المقتضي لخير الخاتمة، لقوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ [الأنبياء: ۱۰۱].

و إذا عرفت هذه القواعد و الضوابط و تحققت المقصود من وضع هذه المراتب.

۱-۱-۱-۱۲ (في أنّ الواجب على الأنبياء مراعاة المراتب كلها)

فاعلم، انّ الشّرع وضع إلهي و ترتيب ربّانيّ، واجب على الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام القيام به و بأركانه. و الأمر بإقامة أمّتهم عليها، أعني يجب عليهم تكميل الخلق في المراتب الثلاثة الجامعة لجميع المراتب، و لا يجوز الإخلال بواحدة منها و إلّا يلزم الإخلال بالواجب منهم، و هذا مستحيل بالنّسبة إليهم لأنّهم معصومون عن الخطأ و أفعال القبائح، و لا يصدر منهم أمثال ذلك أصلا، و لهذا كانوا دائما يراعون المراتب المذكورة كما هو معلوم من شرايعهم و أديانهم من آدم إلى محمّد عليهم السّلام، و سيّما ما سبق من قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله الّذي هو أعلمهم و أكملهم و أعظمهم، و هو قوله:

«الشريعة أقوالي، و الطريقة أفعالي، و الحقيقة أحوالي»، الحديث بتمامه .

۱-۱-۱-۱۳ (في بيان مراتب النور الحسّي و العقلي و القدسي) (في ارشاد ابراهيم عليه السّلام)

و يعضد هذا أيضا إرشاد إبراهيم عليه السّلام لأمّته و قومه في صورة الكواكب و القمر و الشمس، لأنّ الأوّل إرشاد للعوام، و الثّانى للخواصّ، و الثالث لخاصّ الخاصّ على حسب الترتيب المعلوم من الشريعة و الطريقة و الحقيقة.

و بيان ذلك، و هو أنّ الأوّل إشارة إلى نور الحسّي و الّذي في مقامه في طلب الحقّ و العبور عنه، كأهل الشريعة و أهل الظاهر و العوام، لأنّ الكواكب في العوام بمثابة نور الحسّ في الإنسان.

و الثّاني، إشارة إلى نور العقل و الّذي في مقامه في طلب الحقّ و العبور عنه كأهل الطريقة و أهل الباطن و الخواص، لأن القمر في العالم بمثابة نور العقل في الإنسان.

و الثالث، إشارة الى نور القدس المسمّى بنور الحقّ و الّذي في طلب الحقّ و العبور عنه كأهل الحقيقة و أهل باطن الباطن و خاص الخاصّ، لأنّ نور الشّمس في العالم بمثابة نور القدس في الإنسان، لقوله تعالى:

أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ [الزمر: ۲۲].

و إنّما يلزم العبور عنه أعني عن نور الحقّ، لأن الرّائي و المرآة و النّور الّذي هو الواسطة بينهما ثلاثة أشياء و هو عين الكثرة، و مشاهدة في عالم التوحيد لا يقتضي هذا فيجب العبور عنه حتّى ثبت التوحيد، و ذلك يكون بفناء العارف في المعروف، و الشاهد في المشهود كما سبق ذكره مرارا و سيجيء مرارا إن شاء اللّه.

۱-۱-۱-۱۴ (في ان احتجاج ابراهيم عليه السّلام كان في زمان نبوّته)

و أمّا الّذي قال بعض المفسّرين في هذا المقام: بأنّ: «ابراهيم عليه السّلام كان طفلا صغيرا و لم يكن له أهلية بين الكواكب و القمر و الشمس و ربّه»، فذلك خطأ محض، و بل كفر صرف، جلّ مقام الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام عن أمثال ذلك، لأنّهم معصومون.

۱-۱-۱-۱۵ (في بيان العصمة و المعصوم)

و المعصوم يجب أن يكون معصوما من الصغير إلى الكبير، في أقواله و أفعاله و أحواله، و دينه و اعتقاده و سرّه و

علانيته، و لا يصدر منه الفعل القبيح أصلا لا سهوا و لا نسيانا، و لا عمدا و لا خطأ.

و الّذي قال أيضا البعض الآخر منهم:«إنّه كان في ابتداء سلوكه و مبدأ معرفته بنظره العقلي و إدراكه الفكري»، كما هو عادة علماء المعقول ليس بصحيح أصلا، لأنّ هذا في زمان نبوّته و حال دعوته لأمّته و هو زمان كماله و كمال عقله و معرفته و فطنته و ذكائه، و أيضا نبوّة الأنبياء و الرّسل و معارفهم و حقائقهم ليست كسبيّة نظريّة، حتّى يقال فيهم هذا، لأنّ نبوّتهم و ولايتهم عطاء إلهي محض، و إنعام ربانيّ صرف من غير علّة و لا سبب صادر عنهم لقوله تعالى بالنسبة إلى نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [النساء: ۱۱۳].

و لقوله بالنّسبة إلى سليمان عليه السّلام:

هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ [ص: ۳۹].

و لقوله بالنّسبة إلى عيسى عليه السّلام:

إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا [مريم: ۳۱].

و لقوله بالنسبة إلى نحيى عليه السّلام:

يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا [مريم: ۱۲].

و أمثال ذلك كثيرة في القرآن، يكفي للتنبيه هذا المقدار، و مع ذلك، الّذي يشهد بأنّ قضيّة ابراهيم عليه السّلام، كان في زمان نبوّته و دعوته لأمّته قوله تعالى في مواضع، منها:

وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَ تُحاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَ قَدْ هَدانِ وَ لا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ إلى قوله: وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ [الانعام: ۸۰- ۸۳].

وكفى باللّه حاكما و شهيدا، لأنّه لو لم يكن هذا في زمان نبّوته و دعوته، ما قال تعالى: «و حاجّه قومه»، و سبب ذلك و هو أنّ بعض قومه كانوا يعبدون الكواكب و يسجدون لها، و بعض قومه يعبدون القمر و يسجدونه، و بعض قومه يعبدون الشمس و يسجدونها و غير ذلك من الأصنام و الأوثان، وكان يهديهم بحسب الظاهر و التوحيد الألوهي إلى وجود إله واحد خالق كل موجود و منشئه، و بحسب الباطن و التّوحيد الوجودي إلى مشاهدة وجود واحد موجدكلّ شيء و مظهره الّذي ليس في الوجود غيره، لقوله تعالى:

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام: ۷۹].

و قوله:

«هذا ربي» في المواضع الثلاث ليس عند التّحقيق إلّا استفهام إنكار، و تقديره: أ هذا الشيء المخلوق و المحدث المصنوع في معرض الأفول و الزّوال من الكواكب و القمر و الشّمس، يجوز أن يكون ربّي و ربّ كلّ

شيء؟ لا و اللّه لا يجوز و ليس هو ربّي و لا ربّ كلّ شيء بل هو مخلوق من مخلوقاته و مصنوع من مصنوعاته.

أو يقول: أ بنور هذا الشيء المخلوق المحدث الّذي هو نور الحسّ أو نور العقل، أو النور القدس أو المجموع أعرف ربّي؟.

۱-۱-۱-۱۶ (مقام الفناء في المحبوب و محو الإثنينيّة و توحيد الصديقين)

و هل يمكن معرفته بقوّة هذه الأنوار الثلاث؟ لا و اللّه لا يمكن، بل لا يمكن إلّا بالعبور عنها و العروج عن مراتبها، لأنّ الوصول إلى معرفته الحقيقيّة و مشاهدة ذاته المطلقة لا يمكن إلّا به و بنوره الحقيقي كما قال النبيّ عليه السّلام:

«عرفت ربّي بربّي و رأيت ربّي بربّي»

و قال بعض العارفين من أمّته:

«سبحان من لا يصل إليه إلّا به».

وكلّ عاقل يعرف أنّ مشاهدة جرم الشمس و شعاعها المشرقة لا يمكن إلّا بنور الشمس.

و مثل أهل الشريعة في معرفة الحقّ بقوة نور الحسّ كمثل شخص يطلب مشاهدة جرم الشمس في ظلمة الليل بقوّة نور الكواكب، و معلوم أنّه لا يجدها أبدا.

و مثل أهل الطريقة في معرفة الحقّ بقوّة نور العقل كمثل شخص يطلب مشاهدة جرم الشمس في ظلمة الليل بقوة نور القمر، و معلوم أنّه لا يجدها أبدا.

و مثل أهل الحقيقة في معرفة الحقّ بقوّة نور القدس كمثل شخص يشاهد الشّمس بالشّمس، و معلوم أنّه يشاهدها لكن مع اعتبار الشاهد و المشهود، و ليس هذا بتوحيد صرف، فالدّقيقة في (من) هذا، و هي أنّ كلّ من شاهد الشّمس بنور الشّمس كما أنّه لا يقدر أن يصل إلى الشّمس حقيقية إلّا بعد حصول المناسبة بينه و بينها من الصّفا و النّوريّة و الكمال و الشّرف و غير ذلك، فكذلك كلّ من شاهد الحقّ بنور الحقّ فإنّه لا يقدر أن يصل إليه إلّا بعد حصول المناسبة بينه و بينه من التجرّد و الاستغناء و التّقديس و التّنزيه و أمثال ذلك المعبّر عنه بالتخلّق بأخلاقه لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«تخلّقوا بأخلاق اللّه»

و قوله تعالى في الحديث القدسي:

«كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله»

إشارة إلى هذا، و لهذا قال العارف:

«ليس كلّ من سلك وصل، و لا كلّ من وصل حصل، و لا كلّ من حصل حصّل، و لا كلّ من حصّل فصّل، و لا كلّ من فصّل وصل، و لا كلّ من وصل أوصل» و لبيان المناسبة قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«أنّ للّه تعالى شرابا لأوليائه إذا شربوا سكروا، و إذا سكروا طربوا، و إذا طربوا طابوا، و إذا طابوا ذابوا، و إذا ذابوا خلصوا، و إذا خلصوا طلبوا، و إذا طلبوا وجدوا، و إذا وجدوا وصّلوا، و إذا وصّلوا اتّصلوا، و إذا اتصلوا لا فرق بينهم و بين حبيبهم»

و قد سبق هذا في المقدمات مرارا.

و لعدم المناسبة بينه و بين نبيّه صلّى اللّه عليه و آله قال تعالى:

وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى [الأنفال: ۱۷].

و قال النّبيّ عليه السّلام بنفسه:

«من رآني فقد رأى الحقّ»

و قال غيره: «سبحاني ما أعظم شأني، و أنا الحقّ» و أمثال ذلك.

۱-۱-۱-۱۷ (في بيان مقام الفناء في التوحيد، و فناء العارف في المعروف)

و هذا المقام يسمّى مقام الفناء في التوحيد أعني مقام فناء العارف في المعروف، و المحبّ في المحبوب، و الشاهد في المشهود، بمحو الإثنينيّة الاعتباريّة، و رفع الإنانيّة المانعة عن الوصول إليه، كقول بعضهم فيه:

بيني و بينك إنّي ينازعني فأرفع بلطفك إنّي من البين

و ليس المراد بهذا الفناء فناء الأعيان، حتّى يتوهّم المحجوب منه ذلك، بل المراد بعد الفناء في العرفان على الوجه الّذي قرّرناه مرارا، لأنّ الأنبياء و الرّسل و الأولياء و العارفين منهم كانوا فانين فيه، باقين به، و أعيانهم كانت موجودة، مع أنّهم فانين، فافهم جدّا، فانّ فناء نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله لا يمنع عن المآكل و المشارب و المناكح أيضا، و قوله:

«لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل»

إشارة إلى مقام الفناء، و قوله:

أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ [الكهف: ۱۱۰].

إشارة إلى مقام البقاء، وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [العنكبوت: ۴۳].

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [القصص: ۸۸].

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [الرحمن: ۲۷ و ۲۶].

كما سبق تأويلهما إشارة إليه.

و مثال فناء العبد في الرّبّ- إن لم تفهم هذه العبارة- كفناء نور الكواكب في نور الشّمس عند استوائها في قطب الفلك، أو فناء الأمواج في البحر على التّواتر و التّوالي، كما قيل:

البحر بحر على ما كان من قدم انّ الحوادث أمواج و أنهار

و لهذا قيل: الباقي باق في الأزل، و الفاني فان لم يزل.

و علم اليقين، و عين اليقين، و حق اليقين إشارة إلى المعارف الثلاث، و لهذا حق اليقين خصّ بمقام الفناء و اضمحلال رسم العبد في الرّبّ، كما أشاروا إليه: «انّما ثبت الحق عند اضمحلال الرّسم».

و بالجملة فإذا حصل للشخص هذا الفناء، و فنى وجوده في وجود الحق، و ذاته في ذاته، و صفاته في صفاته، و انمحى رسمه و زال عنه اسمه، كفناء نور الكواكب في نور الشمس، و شاهد الحق بالحق على ما هو عليه في مظاهركمالاته و صفاته، و عرف معنى:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص: ٨٨].

و شاهد سرّ قوله:

فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة: ١١٥].

عرف أنّ العارف لم قال: «إذا تمّ الفقر فهو اللّه».

و لم قال: «سبحاني ما أعظم شأني».

و لم قال: «من مثلي و هل في الدارين غيري».

و قوله تعالى:

رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم: ٨].

هداية إلى طلب هذا النور الّذي يفني ظلمة وجوده، و يوصله إلى ربّه بقوة المناسبة و النوريّة و الصفاء و التجرّد، و عدم التقيّد و التعلّق بالغير، و لهذا قال في جوابهم:

قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً [الحديد: ١٣].

و معناه: اي ارجعوا إلى ورائكم الّذي هو العدم الأصلي، و الفناء الجبلّي اللازم لذوات الإمكان و وجود الحدثان، و قوموا عن عين بصيرتكم، و أخرجوا أنفسكم من ظلمات الأنانيّة و الغيرية، ثم بعد ذلك فالتمسوا النور الحقيقي الموجب لبقائكم أبد الآباد بدخولكم في جنة الذات و عرصة الصفات و عوالم التجلّيات الغير المتناهية.

و عند التحقيق قوله جلّ ذكره:

اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ [النور: ٣٥].

إشارة إلى مشاهدة هذا النور في المراتب الثلاث، لأنّ «المشكاة»، كما سبق تقريره، إشارة إلى عالم الملك، و هو بمثابة الشريعة، و الزجاجة إلى عالم الملكوت، و هو بمثابة الطريقة، و المصباح إلى عالم الجبروت، و هو بمثابة

الحقيقة، و الشجرة إلى حضرت العزّة، و هو بمثابة الوجود المطلق الصادر منها جميع المقيّدات المعبّرة عنها بالممكنات، لأنّ النور بالاتّفاق وجود، و الظلمة عدم، و قوله:

نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ، إشارة إلى النور الأخير الّذي هو السبب في الشهود و الوصول، و العلة في المناسبة بينه و بين عبيده، و لهذا قال عقيبه:

وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [النور: ٣٥].

تنبيه (تنبيها) لعبيده لكي يتحقّقوا أنّ حصول نور المشاهدة موقوف على رفع ظلمة وجودهم الإضافي المجازي.

و في هذا المثال و الآيات الّتي قبله أسرار لا يحمّلها أطباق السموات و الأرض، كما قال:

لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً [الكهف: ١٠٩].

و الغرض من إيراد هذا المثال و تكرار هذه الآيات و الأقوال، أنّها شواهد عدل على صدق ما قلناه، و صحة ما بيّناه من حصول النور و المشاهدة، و رفع الإثنينيّة الاعتباريّة و غير ذلك، و نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله نظرا إلى طلب هذا النور أو إرشادا لأمّته إلى طلبه، قال في دعائه:

«اللّهم أجعل نورا في قلبي، و نورا في سمعي، و نورا في بصري، و نورا في لحمي، و نورا في دمي، و نورا في عظامي و نورا من بين يدي، و نورا من خلفي، و نورا من تحتي، و نورا من فوقي، و نورا عن يميني، و نورا عن شمالي، و نورا في قبري، زدني نورا، و أعطني نورا، و أجعل لي نورا بحق حقّك يا أرحم الراحمين».

و إذا تحقّق هذا فنرجع إلى الغرض و نقول:

اعلم، أن المراد من مجموع هذا البحث أنّ الأنبياء و الرسل عليهم السّلام دائما كانوا مراعين لهذه المراتب الثلاث، و آمرين لأمّتهم بمراعاتها، و القيام بأداء حقوقها من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، فيجب على كلّ عاقل القيام بها بقدر القوّة و الطاقة، و الاجتهاد في مراعاتها نظرا إلى تحصيل كماله و سعادته، بعد نظره على الانقياد الصرف و المطاوعة المحضة، و على هذا ذهب مذهب أهل اللّه و خاصّته، و أرباب التوحيد و خلاصته، فطوبى لعبد يقف أثرهم، و يضع قدمه قدمهم.

و الحمد للّه الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا اللّه، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء، و اللّه ذو الفضل العظيم.

و حيث تقرّر هذا و تحقّق أنّ الشريعة و الطريقة و الحقيقة أسماء صادقة على حقيقة واحدة، الّتي هي الشرع، و ليس بين هذه المراتب مغايرة، فلنشرع في الوجه الثاني، الّذي هو في بيان ترجيح كلّ واحدة من أهل هذه المراتب على الأخرى، و هو هذا:

۱-۱-۲ الوجه الثاني: في بيان أنّ أهل الحقيقة هم أعلى مرتبة من أهل الطريقة، و أهل الطريقة من أهل الشريعة

۱-۱-۲-۱ (الطريقة كمال للشريعة، و الحقيقة كمال للطريقة)

اعلم، أنّ الشريعة و الطريقة و إن كانت بحسب الحقيقة واحدة، لكن الحقيقة أعلى من الطريقة، و الطريقة من الشريعة، وكذلك أهلها، لأنّ الشريعة مرتبة أوليّة، و الطريقة مرتبة وسطيّة، و الحقيقة مرتبة منتهائيّة، فكما أنّ البداية يكون كمالها بالوسط، فكذلك الوسط يكون كمالها بالنهاية، وكما أنّ الوسط لا يحصل بدون البداية، فكذلك النهاية لا تحصل بدون الوسط، أعني كما لا يصح وجود ما فوقها بدون ما تحتها و يصح بالعكس، فكذلك لا يصح وجود الوسط بدون البداية، و وجود النهاية بدون الوسط، و يجوز بعكس ذلك، أعني تصحّ الشريعة من غير الطريقة، و لا تصح الطريقة من غير الشريعة، و تصح الطريقة من غير الحقيقة، و لا تصح الحقيقة من غير الطريقة كما سبق ذكره، و ذلك لأنّ كلّ واحدة منها كمال للآخر، كالوسط للبداية، و النهاية للوسط، فحينئذ الشريعة و الطريقة و الحقيقة و إن لم تكن بينها مغايرة في الحقيقة، لكن كمال الشريعة لا يكون إلّا بالطريقة، كما أنّ كمال الطريقة لا يكون إلّا بالحقيقة.

۱-۱-۲-۲ (في أنّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله أعظم الأنبياء و جامع للكل)

و على هذا التقدير فالكامل المكمّل يكون هو الجامع لهذه المراتب كلّها، لأنّ الجامع بين الشيئين أو بين المقامين لا بدّ و أن يكون أفضل منهما و أكمل، كأهل الحقيقة بالنسبة إلى أهل الشريعة و الطريقة، و لهذا صار نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله أعظم الأنبياء و أشرفهم، فإنّه كان جامعا للكلّ لقوله:

«أوتيت جوامع الكلم».

و قد عرفت سرّ هذا الخبر بوجوه كثيرة، و هذا غير تلك الوجوه، و المراد أنّ المرتبة الجامعيّة الّتي هي مخصوصة به و بأمّته من أرباب الحقيقة و هي أعظم المراتب و أعلاها و أشرفها و أسناها.

۱-۱-۲-۳ (في بيان المراد من المشرق و المغرب في حديث النبويّ صلّى اللّه عليه و آله)

و قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«قبلتي ما بين المشرق و المغرب»

إشارة إلى هذا، لأنّه أراد به بيان مقام الجمعيّة، لأنّ المشرق قبلة عيسى، و المغرب قبلة موسى، و ما بينهما قبلته صلّى اللّه عليه و آله، فيكون هو صلّى اللّه عليه و آله جامعا لهما أي جامعا لمقاميهما اللّذين هما عبارة عن قبلتيهما، و هذا بحسب الظاهر.

فأمّا بحسب الباطن فالمشرق عالم الأرواح و الروحانيّات مطلقا، و المغرب عالم الأجسام و الجسمانيّات كذلك، أو عالم الظاهر و عالم الباطن و غير ذلك من العوالم، و ما بينهما البرزخ الجامع الّذي هو مقامه صورة و معنى، معنى كالحضرة الواحديّة المخصوصة بالحقيقة الإنسانية الّتي هي حقيقته، و صورة كصورة الإنسان الجامع بين العالمين الّتي هي مظاهره، أو معنى كجامعيّته لمعاني الأنبياء و الرسل كلّها، أو صورة كجامعيّته لصورة شرايعهم و أديانهم بأسرها كما ستعرفه مفصّلا و عرفته مجملا.

فكمال موسى عليه السّلام و أمّته كان في الإطلاع على حقايق عالم الأجسام و الجسمانيّات و مدارجها و مراتبها، وكمال عيسى عليه السّلام و أمّته كان في الإطلاع على حقايق عالم الأرواح و الروحانيّات و مدارجها و مراتبها، وكمال محمّد صلّى اللّه عليه و آله و أمّته كان في الإطلاع على كليهما أي عالمي الأرواح و الأجسام، و لهذا قال تعالى في حقّه و نوره الّذي هو عبارة عن حقيقته:

لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ [النور: ٣٥].

و قال تعالى في حقّ أمّته:

جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ [البقرة: ١۴٣].

۴-۱-۲-۱ (في بيان المراد من المشرق و المغرب الصّوري و المعنوي)

و أمّا وجه المشابهة بين العالمين و المغرب و المشرق الصّوري و المعنوي، و هو أنّ المشرق الصّوري عبارة عن موضع طلوع الشمس و انتشار أنوارها و إشراقها على عالم المحسوس ليصير بها مشرقة نيّرة، و المشرق المعنوي عبارة عن موضع طلوع شمس الحقيقة، و انتشار أنوارها و إشراقها الّتي هي الأرواح و النفوس على أراضي الأجسام و الأجساد الكدرة لتصير بها مشرقة نيّرة حيّة باقية ببقائها كما أشار إليه بقوله:

وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها [الزمر: ۶٩].

و قال الإمام عليه السّلام:

«نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره»

فيكون بينهما مناسبة مّا.

وكذلك المغرب لأنّ المغرب الصوري عبارة عن موضع أفول نور الشمس و جرمها و اختفائها فيه، و المغرب المعنوي عبارة عن موضع أفول نور شمس الحقيقة و اختفاء شعائها الّتي هي الأرواح و النفوس، لأنّ أنوارها تغرب فيه و تختفي اختفاء الشمس الصوريّة في مغربها، و لهذا قال:

تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ [الكهف: ٨۶].

و قال:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ [آل عمران: ١٩٠].

فيكون بينهما مناسبة مّا أيضا.

و نور نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله حيث لم يكن من عالم الأرواح الصرف، و لا من عالم الأجسام المحض قال:

لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ [النور: ٣٥].

و معناه أنّه ليس من أرباب عالم الظاهر و المحسوسات، و لا من أهل عالم الباطن و المعقولات بل غيرهما و فوقهما بمراتب غير متناهية، إذ ليس هو في مقام الأنبياء الّذي هو الحكم بحسب الظواهر مطلقا، و لا من مقام الأولياء الّذي هو الحكم بحسب الباطن مطلقا، بل غيرهما بحسب المقامات و المعلومات، و فوقهما بحسب الجامعيّة و المجموعيّة، و يعرف هذا من شرايعهم و أديانهم كما سبق ذكره.

و لهذا جاء موسى عليه السّلام بتكميل الظواهر مضافا إليه تكميل بعض البواطن، و قد حقّق هذا في التوراة و ما فيها من الأحكام، و جاء عيسى عليه السّلام بتكميل البواطن مضافا إليه تكميل بعض الظواهر، و قد حقّق هذا في الإنجيل و ما فيه من الأسرار، و جاء نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله بتكميل الطرفين و الجمع بين المرتبتين لقوله:

«أوتيت جوامع الكلم»و لقوله:

«قبلتي ما بين المشرق و المغرب» و قد حقّق هذا أيضا في القرآن و ما فيه من الأحكام و الأسرار الجامعة لهذه المعاني، و بالحقيقة تسميته بالقرآن لم يكن إلّا لجمعيّته لأنّ القرء في اللغة هو الجمع كما مرّ ذكره قبل هذا، و لهذا قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«أنا القرآن الناطق، و أنا كتاب اللّه الجامع»لأنّه جامع للمرتبتين، حاو للمقامين، أي الظاهر و الباطن، و قال غيره من العارفين:

أنا القرآن و السبع المثاني و روح الروح لا روح الأواني

و ذلك أيضا لجامعيّته المرتبة الجمعيّة المحمّديّة، و قد أورد بعض الفضلاء هذا المعنى بعينه في بعض تصانيفه و هو قوله: لمّا كان التكميل الموسوي في طريق الكمال المطلق النوعي، كان ميله إلى تكميل الجزء الأخس للإنسان و هو البدن، و لذلك شحنت التوراة ببيان مصالح المعاش، و لمّا كان عيسى عليه السّلام أكمل منه كان تكميله للجزء الأشرف منه و هو النفس، و لذلك شحن الإنجيل ببيان مصالح المعاد، و لمّا كان محمّد صلّى اللّه عليه و آله قد جاز الكمال المطلق النوعي، كان تكميله لجزئي الإنسان معا، فان كمال المركب هو إكمال جميع أجزائه الماديّة و الصوريّة، و هو سلوك الفضيلة، و هذا هو سرّ رفع الرهبانيّة في دينه، ففقهاء أمّته عليه السّلام و علماءها مشبهون بموسى عليه السّلام في تكميل الظواهر، و الحكماء الإسلامية و أمثالهم من أرباب المعقول مشبهون بعيسى عليه السّلام في تكميل البواطن، و العارفون المحققون مشبهون بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله في تكميل البواطن و الظواهر، لقيامهم بالمراتب الثلاثة المذكورة من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و يعضد ذلك قول سلطان العارفين مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام الّذي قال:

«الشريعة و الحقيقة بحر، فالفقهاء حول النهر يطوفون و الحكماء في البحر على الدر يغوصون و العارفون على سفن النجاة يسيرون»

۱-۱-۲-۵ (في أنّ أهل الشريعة بإزاء الفقهاء و ...)

و إذا عرفت هذا فقس عليه أهل الشريعة و أهل الطريقة و أهل الحقيقة، فإنّ كلّ واحدة منها بإزاء تلك المراتب، فإنّ أهل الشريعة بإزاء الفقهاء و من في مرتبتهم، و أهل الطريقة بإزاء العلماء و الحكماء و من في مقامهم، و أهل الحقيقة بإزاء العارفين و من في منازلهم، وكذلك موسى و أمته، و عيسى و أمته، و محمّد صلّى اللّه عليه و آله و أمّته، فإنّ كلّ واحد منهم بإزاء كلّ واحدة منهم، فالمرتبة الجامعيّة حينئذ يكون مخصوصة بالعارفين المحققين من

أمّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله المعبّرة عنهم بأهل الحقيقة، و يكونون هم أعلى و أعظم و أشرف و أفضل من أهل المرتبتين الباقيتين، و هذا هو المقصود من هذا البحث في هذا الوجه، و لعظمة قدرهم و جلالة شأنهم انتظموا تارة في سلك اللّه و ملائكته، لقوله تعالى:

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ [آل عمران: ١٨].

و تارة في سلك اللّه وحده لقوله:

وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [آل عمران: ٧].

و لهذا خصّوا أيضا في التقسيم بخاصّ الخاصّ و المقرّبين و السابقين، لأنّ التقسيم وقع على العوام و الخواص و خاص الخاص، و على أصحاب اليمين و أصحاب الشمال و المقربين، و على الظالم لنفسه و المقتصد و السابق بالخيرات، و في الكلّ، الأخير مخصوص بهم كما بيّناه غير مرّة عقلا و نقلا، و دليل آخر على ذلك، أي على خصوصيّتهم بهذا المقام قوله تعالى:

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ [آل عمران: ٧].

لأنّ القائل بأنّ الكلّ من عند ربّنا على التحقيق ليسوا إلّا هم، بخلاف الأشاعرة و المجبرة المحجوبين بأنفسهم عن هذا المقام، لأنّ المشاهدة الكلّ عن الربّ الحقيقي بحيث لا يلزم نقص في تقديسه و تنزيهه، موقوفة على التوحيد الصرف برفع الإثنينيّة الاعتباريّة مطلقا المعبّر عنها بالتوحيد الفعلي و الوصفي و الذاتي أيضا، و ليس لغيرهم هذه المرتبة، و لا يعتقدون فيها، فضلا عن حصولها، و قوله عقيبه:

وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ [آل عمران: ٧].

تأكيد لهذا المعنى، و معناه أنّ هذا السرّ الشريف العظيم، لا يعرفه على ما ينبغي إلّا أولوا الألباب من عباده الموصوفين بالرسوخ في العلم الحقيقي و التوحيد الفعلي و الوصفي و الذاتي، و قد عرفت تحقيق أولى الألباب و الراسخين في العلم عند بحث التقوى و التعليم الإلهي للعبد، و عند تقسيم العلوم و تعريف الشيخ و المرشد و غير ذلك.

١-١-٢-٦ (في حاجة الشرع إلى العقل، و حاجة العقل إلى الشرع)

و إذا ثبت هذا و تقرّر أنّ مرتبة أهل الحقيقة من جميع الوجوه أعلى من مرتبة أهل الطريقة و الشريعة، و إن كانوا هم في الحقيقة واحدة، فلنشرع في الوجه الثالث، و بيان احتياج الشرع إلى العقل، و احتياج العقل إلى الشرع، و اعتضادكلّ واحد منهما بالآخر، لئلّا يتوهّم الجاهل أنّ الشرعيّات خلاف العقل، و لا (و أنّ) العقليّات خلاف الشرع، فإنّ كثير من النّاس وقعوا في هذا و ضلّوا و أضلّوا كثيرا من عباد اللّه بغير علم، لقوله تعالى فيهم و في مخاصميهم حين المنازعة في الآخرة:

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ [فصّلت: ٢٩].

و أمثال ذلك كثيرة في القرآن، و اللّه أعلم و أحكم، و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

۱-۱-۳ الوجه الثالث في بيان احتياج العقل إلى الشرع، و افتقار الشرع إليه، و اعتضادكلّ واحد منهما بالآخر

اعلم، أنّ هذا البحث يحتاج إلى مقدّمة، و هي أن تعرف أنّ الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام كلّهم أطبّاء النفوس و معالجي القلوب، كما أنّ الحكماء و الأطباء كلّهم أطباء الأبدان و معالجي الجسد، أعني كما أنّ أطباء الأبدان يعرفون إزالة الأمراض البدنيّة عن أبدان المرضى الصوريّة بحسن معالجتهم و لطف طبابتهم بواسطة الأشربة و المعاجين، فكذلك أطباء النفوس، فإنهم يعرفون إزالة الأمراض النفسانيّة عن نفوس المرضى المعنويّة بحسن معالجتهم و لطف إرشادهم و هدايتهم بواسطة العلوم و المعارف الحقيقيّة، و لهذا ورد في اصطلاحهم في تعريف الطب الروحاني، و الطبيب الروحاني، و الشيخ و المرشد ما يوافق ذلك، كقولهم في الطبّ الروحاني:

«الطب الروحاني هو العلم بكمالات القلوب و آفاتها و أمراضها و أدوائها، و بكيفيّة حفظ صحّتها و اعتدالها و ردّ أمراضها عنها».

وكقولهم في الطبيب:

«الطبيب الروحاني هو الشيخ، العارف بذلك، القادر على الإرشاد و التكميل».

وكقولهم في الشيخ السابق ذكره:«الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة و الطريقة و الحقيقة، البالغ إلى حدّ التكميل فيها، لعلمه بآفات النفوس و أمراضها و أدوائها، و معرفته بدوائها، و قدرته على شفائها، و القيام بهداها إن استعدت و وفقت لاهتدائها».

فكما أنّ المريض الصوري لا يجوز له الاعتراض على الطبيب الصوري في علاجه و دوائه و تركيب الأدوية و الأشربة و المعاجين و غير ذلك، فكذلك المريض المعنوي فإنّه لا يجوز له الاعتراض على الطبيب المعنوي في إرشاده و هدايته وكيفيّة رياضاته و مجاهداته في التكاليف الشاقة و الأعمال البدنيّة الصعبة، لأنّ الاعتراض على الطبيب مطلقا صوريا أو معنويّا لا يزيد في المريض إلّا المرض، لأنّ المريض الصوري إذا أعترض على الطبيب الصوري، ينفر منه الطبيب و يترك علاجه، و إذا ترك علاجه زاد مرضه أو مات و هلك، وكلاهما قبيح، و مع قبحه يوجب للهلاك الصوري و زوال الحياة عن صاحبها.

وكذلك المريض المعنوي، فإنّه إذا أعترض على الطبيب المعنوي ينفر الطبيب منه و ترك علاجه الّذي هو إرشاده، و إذا ترك علاجه زاد مرضه المعنوي الّذي هو الضلال و الإضلال، لقوله تعالى:

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً [البقرة: ۱۰].

أو مات بالموت الحقيقي الّذي هو الكفر و النفاق، لقوله تعالى:

أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها [الأنعام: ۱۲۲].

وكلاهما قبيح، و مع قبحه موجب للهلاك الأبدي و الشقاء السرمدي، فحينئذكما أنّ المريض الصوري الذي يريد الصحة الكليّة، يجب عليه تناول الأشربة المنفرة للطبع من يد الطبيب الصوري طوعا وكرها من غير اعتراض و لا

منع، فكذلك المريض المعنوي الّذي هو الصحة الكلّيّة، فإنّه يجب عليه أيضا تناول الأشربة المنفرة للطبع، الّتي هي التكاليف الشاقّة على أنواع طبقاتها من يد الطبيب المعنوي طوعا وكرها من غير اعتراض و لا منع، و إلى هذا المعنى أشار الحق تعالى في قوله بالنسبة إلى نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله:

فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً [النساء: ۶۵].

۱-۱-۳-۱ (في أنّ مالا يكون مطابقا لعقل الناس أحيانا و ظاهرا لا يلزم أن يكون حقا و صدقا)

و المراد من هذا البحث في هذه المقدمّة أنّ يتحقق عندك و عند غيرك أنّ القواعد الّتي قد تقدّم تقديرها، و الضّوابط الّتي قد تقرّر تمهيدها، خصوصا من بحث الشريعة و الطريقة و الحقيقة حق و صدق، وكلّ واحدة منها في نفسها لا ينبغي إلّا كذلك، و لا يعترض أحد على أحد منهم في شيء منها و لا يقول إنّ هذا خلاف العقل أو خلاف النقل، لأنّ كلّ ما يكون خلاف عقل زيد مثلا، لا يجب أن يكون خلاف عقل عمرو، و خصوصا عقول الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام، فإنّ عقولهم أكمل العقول، كما أنّ نفوسهم أكمل النفوس، و التفاوت بين عقولهم و عقول الخلق بعينه التفاوت بين نفوسهم و نفوس الخلق، و معلوم أن بينهما بون بعيد، و من أنكر ذلك فهو جاهل سفيه، مكابر لعقله، لا يلتفت إليه، و ليس هو المخاطب لهذا الكلام، وكذلك النقل، لأنّك ما أنت في صدد أن كلّ نقل ورد في الوجود سمعته و عرفته، و إن سمعته و عرفته عرفت معناه و تحققت فحواه، لأنّ هناك نقل كثير ما قرع سمعك أبدا ذكره، و لا عرفت معناه، كما قال جلّ ذكره:

أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

و معلوم أنّ أكثر الأوضاع الشرعيّة و الأحكام الإلهيّة، خلاف الإدراكات العقليّة و التّصرف الحسيّة، فلا يجوز حينئذ الاعتراض على واحدة منها، لأنّ الأنبياء و الأولياء، عليهم السّلام، الّذين حكموا بها، لو لم يكن موافقا لعقلهم لم يكونوا مأمورين من عند اللّه بأدائها ما حكموا بها، و لا كلفوا العباد بالقيام بأركانها، وكلّ ما يكون موافقا لعقلهم، يكون موافقا لعقل جميع العقلاء، غاية ما في الباب يكون خلاف عقلك و عقل مثلك، فلا يلزم من هذا أنّه ليس بمعقول، و لا موافقا للعقل في نفس الأمر، و بسبب أن أكثر أسرارها و أحكامها خارجة عن طور عقل الخلق، خصوصا أهل الظاهر، منع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله السؤال عن كيفيّته وكميّته، مثل السؤال: أنّ الظهر مثلا لم كانت أربعة، و المغرب ثلاثا، و الصبح ركعتان وكذلك باقي الأركان الشرعيّة و مثال عجز العقل عن إدراك أسرار الشرع و أحكامه كعجزه عن إدراك سرّ ملك الموت فإنّ العقل ما له قوّة أن يدرك أنّ هناك ملك واحد له قوّة أن يقبض في ساعة واحدة نفس مائة ألف إنسان أو حيوان مع بعد المسافة من المشرق إلى المغرب، وكذلك عن سرّ جبرئيل عليه السّلام، فإنّه لا يعرف و لا يدرك أنّ ملك واحد (ملكا واحدا) كيف ينزل في آن واحد من السابعة، على رأى، و من العرش على رأى إلى الأرض، و يوحي إلى نبيّ من الأنبياء، و يرجع في ذلك الآن أو غيره من الآنات، و على هذا التقدير ليس للمكلّف العاقل أصلح من التسليم للأوامر الإلهيّة و الأحكام الشرعيّة، و التصديق بها مع عدم السؤال عن ماهيّتها و حقيقتها، لأنّه ليس في الشرع شيء خلاف العقل أصلا، و لا في العقل الصحيح خلاف الشرع شيء أيضا، و عند التحقيق ليس بناء التكاليف الشرعيّة و القوانين الإلهيّة إلّا على العقل و العاقل، وكذلك ظهور الشرع و إجراء أحكامه، فإنّ الكلّ موافق للعقل، مطابق لنظر العاقل إذا كان صحيحا، و بل مدار الوجود كلّه ليس إلّا على العقل و العاقل، و به ابتدأ الوجود عند الإيجاد، و به يختم عند

الإعدام، و فيه قيل:

«سبحان من ابتدأ بالعقل و انختم بالعاقل».

و قد ورد في الحديث النبوي: «أوّل ما خلق اللّه العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، فقال: بعزّتي و جلالي ما خلقت خلقا أحبّ إليّ منك، بك أخذ و بك أعطي، و بك أثيب و بك أعاقب»، الحديث

١-١-٣-٢ (الشرع كالروح للعقل كما أنّ العقل كالبدن للشرع)

و بالجملة مثال الشرع و العقل و احتياج كلّ واحد منهما إلى الآخر، مثال الروح و البدن، و احتياج كلّ واحد منهما إلى الآخر، أعني كما انّ تصرّف الروح و ظهور صفاته وكمالاته لا يمكن إلّا بالجسد، و ما أشتمل عليه من القوى و الأعضاء، فكذلك تصرف الشرع و ظهور مراتبه وكمالاته، فإنّه لا يمكن إلّا بالعقل و مراتبه و أقسامه، و قد عرفت مراتب العقل من:

العقل الهيولاني، و العقل بالفعل، و العقل بالملكة، و العقل المستفاد.

فالشرع دائر على هذه المراتب، لأنّ الأولى و الثانية مرتبة العوام، و الثالثة مرتبة الخواصّ، و الرابعة مرتبة خاصّ الخاصّ من الأنبياء و الأولياء صلوات اللّه عليهم أجمعين.

١-١-٣-٣ (في حاجة الشرع إلى العقل و العقل إلى الشرع)

و الغرض أنّ الشرع ليس بمستغن عن العقل، و لا العقل عن الشرع، و قد ذهب إلى هذا أكثر العلماء و العارفين، و أكثر الحكماء الإسلاميين، و منهم الشيخ الكامل أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب الإصفهاني تغمّده اللّه بغفرانه، فإنّه ذكر في كتابه المسمّى ب «تفصيل النشأتين في تحصيل السعادتين» بيان ذلك مفصّلا و هو قوله:

«اعلم أنّ العقل لن يهتدي إلّا بالشرع، و الشرع لن يتبيّن إلّا بالعقل، و العقل (فالعقل) كالأس و الشرع كالبناء، و لن يغني أسّ ما لم يكن بناء، و لن يثبت بناء ما لم يكن أسّ.

و أيضا فالعقل كالبصر و الشرع كالشعاع، و لن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، و لن يغني الشعاع ما لم يكن بصر، فلهذا (و لهذا) قال تعالى:

قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ [المائدة: ١٦- ١٥].

و أيضا فالعقل كالسراج و الشرع كالزيت الّذي يمدّه فما لم يكن (فإن لم يكن) زيت لم يشتغل (يحصل) السراج، و ما لم يكن سراج لم يضيء الزيت، و على هذا نبّه بقوله:

اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إلى قوله نُورٌ عَلى نُورٍ [النور: ٣٥].

(و المراد نور الشرع على نور العقل فإنّه لا يضيئ إلّا به).

و أيضا فالشرع عقل من خارج، و العقل شرع من داخل، و هما يتعاضدان بل يتّحدان (متّحدان)، و لكون الشرع عقلا من خارج سلب اللّه تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن، نحو:

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ [البقرة: ۱۷۱].

و لكون العقل شرعا من داخل قال اللّه تعالى في صفة (وصف) العقل:

فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [الروم: ۳۰].

فسمى العقل دينا، و لكونهما متّحدين قال: نُورٌ عَلى نُورٍ أي نور العقل و نور الشرع، ثمّ قال:

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ [النور: ۳۵].

فجعلهما نورا واحدا، فالعقل إذا فقد عجز الشرع عن أكثر الأمور الكلّيّة كما إذا فقد الشرع فإنّ العقل يعجز عن أكثر الأمور الجزئيّة، و ذلك لأنّ الشرع كالعين و العقل كالنور أو بالعكس و لا يستغني أحدهما عن الآخر، (فالشرع إذا فقد العقل عجز عن أكثر الأمور، عجز العين عند فقد الشعاع).

ثمّ اعلم أنّ العقل بنفسه قليل الغناء (الفناء) لا يكاد لا يتوصل إلّا معرفة كلّيّات الشيء (الأشياء) دون جزئيّاته (تها) نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحق، و قول الصدق، و تعاطي الجميل، و حسن استعمال المعدلة (العدالة) و ملازمة العفّة، و نحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيء شيء، و الشرع يعرف كلّيّات الشيء و جزئياته (الأشياء و جزئيّاتها) و يبيّن ما الّذي يجب أن يعتقد في شيء شيء، و ما الّذي هو معدلة في شيء شيء و لا يعرفها (لا يعرّفنا) العقل مثلا: أنّ لحم الخنزير و الدم و الخمر محرّمة، و أنّه يجب أن يتحاشى (يتحامى) من تناول الطعام في وقت معلوم، و أن لا تنكح ذوات المحارم، و أن لا تجامع المرأة في حال الحيض، فإنّ أشباه ذلك لا سبيل إليها إلّا بالشرع، فالشرع نظام الإعتقادات الصحيحة و الأفعال المستقيمة، و الدال على مصالح الدنيا و الآخرة، من عدل عنه فقد ضلّ سواء السبيل، و لأجل ألّا سبيل للعقل إلى معرفة ذلك.

قال اللّه تعالى:

وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء: ۱۵].

و قال تعالى:

وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى [طه: ۱۳۴].

و إلى العقل و الشرع أشار بالفضل و الرحمة بقوله:

وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء: ۸۳].

و عنى بالقليل: المصطفين الأخيار».

۱-۱-۳-۴ (الإنسان الحقيقي هو الّذي يعبد اللّه سبحانه و تعالى)

ثمّ شرع في بيان من لم يتخصص بالشرع و عبادة الربّ و بيان أنه ليس بإنسان و لا عاقل و إن كان اسمه إنسانا أو عاقلا فقال:

«لمّا كان الإنسان إنّما يصير إنسانا بالعقل و لو توهّمنا العقل عنه مرتفعا لخرج عن كونه إنسانا و لم يكن إذا تخطينا الشبح الماثل إلّا مثل بهيمة مهملة (إلّا بهيمة مهملة) أو صورة ممثّلة ، و (لمّا كان) العقل لن (لا) يكمل بل لا يكون عقلا إلّا بعد الاهتداء (اهتداءه) بالشرع كما تقدّم و لذلك نفي العقل (نفى اللّه العقل) عن الكافر لمّا تعرّى عن الاهتداء بالشرع (عن الكفّار لما تعروا عن الهداية بالشرع) في غير موضع من كتابه، و (لمّا كان) الاهتداء بالشرع هو عبادة اللّه تعالى، فالإنسان إذن في الحقيقة هو الّذي يعبد اللّه و لذلك خلق» كما قال تعالى:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶].

وكما قال تعالى:

وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ [البيّنة: ۵].

وكلّ من (فكلّ ما) أوجد لفعل فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم، و لذلك كثيرا ما يسلب عن الشيء اسمه إذا وجد فعله ناقصا لقولهم للفرس الرديء: ليس هذا بفرس، و للإنسان الرذل: ليس هو بإنسان، و يقال: فلان لا عين له و لا أذن إذا بطل فعل عينه و أذنه و إن كان شبحهما باقيا، و على هذا قال تعالى:

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ [البقرة: ۱۷۱].

فيمن لم ينتفع بهذه الأعضاء.

فالإنسان يحصل له من الإنسانيّة بقدر ما يحصل له من العبادة الّتي لأجلها خلق، فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانيّة، و من رفضها فقد انسلخ من الإنسانيّة، فصار حيوانا أو دون حيوان، كما قال في صفة الكفّار.

إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [الفرقان: ۴۴].

و قال تعالى:

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ [الأنفال: ۲۲].

فلم يرض أن جعلهم أنعاما و دوابّ حتّى جعلهم أضلّ منها، و جعلهم من أشرارها، و أخرج كلامهم من جملة البيان فقال:

وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَ تَصْدِيَةً [الأنفال: ۳۵].

۱-۱-۳-۵ (من لم يكن له دين ليس بإنسان حقيقة)

أن الإنسان لا يكون إنسانا إلّا بالدين، و لا ذا بيان إلّا بقدرته على الإتيان بالحقايق الدينيّة، فقال تعالى:

الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ [الرحمن: ۱].

فابتدأ بتعليم القرآن ثم بخلق الإنسان ثمّ بتعليم البيان، و لم يدخل الواو بينهما، (فيما بينها)، وكان الوجه على متعارف النّاس أن يقول:

خلق الإنسان، و علّمه البيان، و علّمه القرآن، فإنّ إيجاد الإنسان بحسب نظرنا مقدّم على تعليم البيان، و تعليم البيان مقدّم على تعليم القرآن، لكن لمّا لم يعدّ الإنسان إنسانا ما لم يتخصّص بالقرآن ابتدأ بالقرآن ثم قال: «خلق الإنسان» تنبيها على أنّ بتعليم القرآن جعله إنسانا على الحقيقة، ثمّ قال: «علمه البيان» تنبيها على أنّ البيان الحقيقي المختصّ بالإنسان يحصل بعد معرفة القرآن، فنبّه بهذا الترتيب المخصوص، و ترك حرف العطف منه، و جعل كلّ جملة بدلا ممّا قبلها لا عطفا: على أنّ الإنسان ما لم يكن عارفا برسوم العبادة متخصّصا بها لا يكون إنسانا و أنّ كلامه ما لم يكن على مقتضى الشرع لا يكون بيانا.

فان قيل: فعلى ما ذكرت لا يصحّ أن يقال كلّ كافر إنسان، و قد سمّاهم اللّه تعالى بذلك في عامّة القرآن.

(قلنا) قيل: أنّا لم نقل إنّا لا نسمّي الكافر إنسانا على تعارف الكافّة، بل (قلنا) قضيّة العقل و الشرع تقتضي أن لا يسمّى به إلّا مجازا ما لم يوجد منه الفعل المختصّ به، ثمّ إن سمّى به على سبيل تعارف الكافّة (العامّة) فليس بمنكر، فكثير من الأسماء تستعمل على هذا الوجه فبيّن الشرع أن ليس استعماله على ما استعملوه كقولهم: «الغنى» فإنّهم استعملوه في كثرة المال فقالوا:

«ليس الغنى بكثرة المال إنّما الغنى غنى النفس».

فبيّن أنّ الغنى ليس هوكثرة المال، و قال تعالى:

وَ مَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ [النساء: ۶].

أي كثير الأغراض، فاستعمله على ما هو متعارف.

۱-۱-۳-۶ (الإنسان المطلق)

و جملة الأمر أنّ الشيء إذا أطلقه الحكيم على سبيل المدح يتناول الأشرف كقوله تعالى:

وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ [الزخرف: ۴۴].

وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ [الشرح: ۴].

و إن كان الذكر قد يقال للمحمود و المذموم، و على هذا يمدح كلّ شيء بلفظ نوعه، فيقال: فلان هو إنسان، و هذا السيف سيف، و لهذا قيل:

«الإنسان المطلق هو نبيّ زمانة (كل زمان)»، و قال بعض العلماء:

قول من قال: «الإنسان هو الحيّ الناطق المايت» صحيح و ليس معناه ما توهّم كثير من الناس من له (من أنّه من) الحياة الحيوانيّة و الموت الحيواني و النطق الّذي هو في الإنسان بالقوّة، و إنّما أريد بالحيّ من كان له الحياة المذكور في قوله: عَلَّمَهُ الْبَيانَ [الرحمن: ۴].

و بالمايت من جعل قوّتي الشهويّة و الغضبيّة مقهورتين على مقتضى الشريعة، فيكون حينئذ ميّتا بالإرادة، حيّا بالطبيعة كما قيل: مت بالإرادة تحيي بالطبيعة».

۱-۱-۳-۷ (الموت الإرادي)

و بالحقيقة عن هذا الموت أخبر نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله في قوله:

«موتوا قبل أن تموتوا» وكذلك أمير المؤمنين عليه السّلام في قوله:

«قد أحيا عقله و أمات نفسه حتّى دقّ جليله و لطف غليظه و برق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق و سلك به السبيل و تدافعته الأبواب إلى باب السلامة و دار الإقامة و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و الراحة بما استعمل قلبه و أرضى ربّه» [نهج البلاغة، الخطبة: ۲۲۰].

و أمثال ذلك كثير في هذا الباب فأطلب من مظانّها، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

هذا آخر بحث الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و آخر بحث احتياج العقل إلى الشرع و احتياج الشرع إليه بقدر هذا المقام، و لهذه الأبحاث أبحاث أخرى، و هي من توابعها و لوازمها، و بل لا يتحقّق هذه الأبحاث على ما ينبغي إلّا بها و هي بحث الأصول و الفروع و القواعد و الضوابط الّتي تتعلّق بهما و سيّما بحث كلّ أصل و فرع من (في) مراتب ثلاث من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، وكيفيّة تدويره فيها.

ثمّ بحث المذاهب و الملل و الآراء و النحل في صورة دائرتين مجدولتين مشتملتين على اثنين و سبعين فرقة من أهل الإسلام، و اثنين و سبعين فرقة من أهل الكفر مطابقا لما ذكر الشهرستاني في كتابه المسمّى بالملل و النحل.

و حيث إنّ هذه الأبحاث لها طول و بسط نجعلها في أصلين و ثلاث قواعد:

الأصل الأوّل في الضوابط الكلّية المقرّرة بين الأنبياء و الأولياء و الرسل عليهم السّلام لإرشاد الخلائق و هدايتهم إلى الطريق المستقيم و الدّين القويم.

الأصل الثاني، في تعيين كمال كلّ موجود من الموجودات، وكيفيّة سلوكه إليه و اتّصافه به.

و القاعدة الأولى، في بحث الأصول الخمسة، وكيفيّة تدويرها في المراتب الثلاث من الشريعة و الطريقة و الحقيقة.

و القاعدة الثانية، في الفروع الخمسة، وكيفيّة تدويرها في المراتب الثلاث أيضا.

و القاعدة الثالثة، في بيان المذاهب و الملل، و تعدادها في العدد المعيّن مطابقا للحديث النبويّ:

«ستفترق أمّتي على ثلاث و سبعين فرقة، الواحدة منها ناجية و الباقي هالك».

و إذا تقرّر هذا فلنبدأ بالأوّل ثمّ بما بعده على الترتيب المذكور، و باللّه التوفيق.

۱-۱-۳-۸ الأصل الأوّل في الضوابط الكلّيّة المقرّرة بين الأنبياء و الرّسل عليهم السّلام لإرشاد الخلايق و هدايتهم إلى الطريق المستقيم و الدّين القويم

۱-۱-۳-۸-۱ (في أنّ غرض الأنبياء و هدفهم إيصال الخلق إلى كمال المطلوب)

اعلم أنّ الضوابط الكلّيّة و القواعد الجمليّة المقرّرة بين الأنبياء و الرسل و الأولياء و الأئمّة من آدم إلى نبيّنا

صلّى اللّه عليه و عليهم أجمعين، و منه إلى المهدي عليه السّلام هي إيصال كلّ إنسان إلى كماله المعين له بحسب الاستعداد و القابليّة، و إخراجه من درك النقصان و الجهل بحسب الطاقة و الجهد، لقوله تعالى فيهم:

كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة: ۱۵۱].

لأنّ غرضه تعالى من إيجاد الخلق لم يكن إلّا هذا، كما أشار إليه في كتابه الكريم في قوله:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶].

و في قوله:

اللَّهُ الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [الطّلاق: ۱۲].

و في قوله في الحديث القدسي:

«كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق».

و قوله أيضا:

وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً [النور: ۲۱].

إشارة إليه، و معناه: و لو لا فضل اللّه عليكم بإنزال الكتب و رحمته بإرسال الرسل، ما زكى منكم من جهله وكفره أبدا، لأنّ الشيء إذا كان بالقوّة لا بدّ له من آخر يخرجه إلى الفعل، فكمال الّذي للموجودات و المخلوقات بالقوّة لو لا الأنبياء و الرسل و تكميل قوّتي العلمية و العملية اللّتان هما في الإنسان بالقوة ما ترقى أحد من النقصان إلى الكمال أبدا، و قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

«أوتيت جوامع الكلم».

و: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

دالّ على هذا، لأنّه يقول: بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق الّذي وضعوها الأنبياء قبلي وكان تمامها موقوفا على بعثتي في عالم الشهادة، و إن كان جميع الأنبياء و الرسل في عالم الغيب و الشهادة كانوا خلفائي و (نوّابي) نائبي و مظهر من مظاهري، كما قال:

«آدم و من دونه تحت لوائي».

و قال:

«كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين».

و هذا لمكان يحتاج إلى عقليّة، ثمّ إلى كلمات خطابيّة نقررها أوّلا، و نرجع بعدها الى الغرض.

۱-۱-۳-۸-۲ (في أنّ لكلّ استعداد خاصّ)

فمنها، أن تعرف: أنّ كلّ ذات لها استعداد فيض من الفيوض الإلهي و لم يمنع منه مانع لم يحرم منه لا في عالم الغيب و لا في عالم الشهادة، و طلب الفيض إنّما يمكن لمن علم شيئين: أحدهما وجود هذا الفيض بالنفس التامّ، و ثانيهما أنّ كلّ ذات حصل لها هذا الفيض اقتضى كمالها، و هذا العلمان يقارنان استعداد قبول ذلك الفيض في جميع الأحوال.

و منها، أن تعرف أنّ للنفس الناطقة قوّتي علم و عمل، و لكلّ واحدة منهما مراتب في الكمال و النقصان، و أكملها فيها ما يسمّى عقلا مستفادا، و هو حصول العلوم الكسبيّة بالفعل، المتعلقة بالأمور العلميّة و العمليّة، و الطريق الصّواب هو المؤدى إليها، دون الحيرة الّتي هي التردد في الإعتقاد، و الضّلال الّذي هو سلوك طريق الخطأ، و نعم اللّه تعالى و ان كانت غير متناهية إلّا أنّها متفاوتة في الكمال و أعلاها مرتبة العقائد اليقينيّة في الأصول الدينيّة إذ من حصلت له هذه المرتبة خلص من العذاب السرمد و حصل بالنعيم المؤبّد.

و منها أنّ اللّه تعالى يفعل لغرض لا عايد إليه تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا بل هو نفع للعباد، لأنّ الفاعل لا لغرض عابث و العبث عليه محال، و لأنّ القرآن ناطق به كقوله:

وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ [البقرة: ۲۵۱].

وكقوله:

وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ [الأنبياء: ۱۶].

و هاهنا مسائل:

۱-۱-۳-۸-۳ (في معنى اللطف الواجب على اللّه سبحانه و تعالى)

الأولى: انّ اللطف واجب على اللّه تعالى، و اللطف ما كان معه المكلّف أقرب إلى الطاعة و أبعد من المعصية، لأنّه لايق بحكمته وكرمه و رحمته، و لا نعني بالوجوب إلّا ذلك، و لأنّ أنّ من أراد من آخر فعلا و علم أنّه يرجح فعله عند فعل نوع ما من اللطف به، و هو قادر عليه، و لا ضرر في فعله عليه و لا على غيره و لا على ذلك المكلّف، فإنّه إن لم يفعل به كان ناقضا لغرضه و نقض الغرض على الحكيم محال، و إنزال الكتب و إرسال الرسل لطف، و التكليف أيضا لطف، فيجب على اللّه تعالى جميع ذلك عقلا لئلّا يناقض فعله غرضه الّذي أشار إليه في كتابه في قوله:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶].

و وجه آخر: و هو أنّه تعالى خلق الشهوات في بني آدم و أقدرهم على مقتضاها و لم تف عقول كثير منهم بإدراك الحسن و القبح، و بسبب استيلاء الجهل على أكثرهم يسهل فعل القبيح و الإخلال بالحسن، و يسهل اختلال نظام النوع في إبلاغ القوة الشهويّة و الغضبيّة و مقتضاهما، و مع إنزال الكتب و إرسال الرسل و إيجاب طاعتهم على النّاس يكون معه الناس إلى الصلاح أقرب، و من الفساد أبعد، فهذا هو اللطف فيجب عليه، و لأنّه لو لا أن يفعل ذلك لكان تاركا للحسن و فاعلا للقبيح، و هما محالان على اللّه تعالى.

و بالجملة يجب عليه اللطف مع عباده لئلّا يلزم بإخلاله له هذه المفاسد و العلم بهذه المقدمات من ضروريّات هذا البحث و أكثرها بل بأجمعها منقولة من كتب أرباب الظاهر و أهل المنقول منهم، لأنّه مطابق موافق لأغراض أهل الباطن.

و إذا عرفت هذا نرجع إلى الغرض و نقول:

اعلم أنّ الكمال و النقصان بحسب كلّ شخص من الأشخاص و نوع من الأنواع كما ستعرفه في موضعه، و أمّا الكمال مطلقا فهو منحصر في معرفة اللّه تعالى و عبادته على حسب طبقاتها و مراتبها، و أمّا النقصان مطلقا فهو الّذي يكون بإزاء هذه المعرفة أو الكمال على حسب مراتبها و مدارجها أيضا، و حيث أنّ تحصيل هذه الكمالات و الإخراج من هذه النقصانات لم يكن يتيسّر إلّا بتكميل قوّتي العلم و العمل و مقتضاهما، فجميع سعيهم و اجتهادهم و إرشادهم و دعوتهم كان في تكميل القوّتين و تحصيل هاتين القاعدتين المشار إلى الأولى بالأصول، و إلى الثانية بالفروع، و لهذا ما تعدى أوامرهم و نواهيهم من حيث الإجمال عنهما، و إن استقريت عرفت تحقيق هذا من غير شك و لا شبهة، و الّذي قيل: إنّ جميع أوامر اللّه و نواهيه منحصرة في كلمتين من قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله اللّتين هما التعظيم لأمر اللّه و الشفقة على خلق اللّه فهو مطابق لهذا القول، لأنّ من قام بحق هاتين الكلمتين و ما اشتمل عليهما من الأوامر و النواهي فقد قام بجميع أحكام اللّه الشرعيّة و أوامرها و نواهيها، فكذلك أيضا في تلك الصورة، فإنّ كلّ من قام بالأصول و الفروع المذكورة على ما ينبغي فقد قام بجميع أوامر اللّه و نواهيه و وصل إلى كماله المعين له بحسب الاستعداد و القابليّة، و غرضه تعالى من ذلك ان تحصل العلّة الغائيّة من إيجاد الخلق و تكليفهم و لا يقع فعلها عبثا و مهملا لأنّ العبث و الإهمال من الحكيم الكامل قبيح، و بل مستحيل كما أشرنا إليه غير مرّة و أشار إليه هو في قوله:

وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ [الأنبياء: ۱۶].

۱-۱-۳-۸-۴ (تكليف كلّ طائفة يكون بحسبها)

و حيث إنّ جميع الناس كانوا منحصرين في طبقات ثلاثة الّتي هي البداية و الوسط و النهاية، فانحصرت مراتب إرشادهم و هدايتهم إجمالا في هذه الثلاث المعبّرة عنها بالشريعة و الطريقة و الحقيقة، و حيث إنّهم مع هذا الحصر ليسوا في مرتبة واحدة من حيث الذوات و الماهيّات بل مختلفين فيها و في الاستعدادات و القابليّات المرتبة عليهما أيضا اقتضت الحكمة الإلهيّة و العناية الربانيّة نظم هذا الترتيب إجمالا و تفصيلا ليمكن إيصال كلّ واحد منهم إلى كماله المعين له و إخراجهم من النقصان الّذي هم فيه قوة و فعلا، و بناء على هذا اختلف التكاليف بحسب كلّ طائفة بل بحسب كلّ نوع و صنف و شخص، و إن كان من حيث الإجمال حكمهم واحد، و من هذا صار تكليف كلّ طائفة من الطوائف المذكورة خلاف طائفة أخرى من حيث الفروع و الأحكام لا من حيث الأصول و القواعد، أعني صار تكليف كلّ طائفة من الطوائف المذكورة خلاف طائفة أخرى من حيث الفروع و الأحكام لا من حيث الأصول و القواعد، أعني صار تكليف أهل الشريعة وكمالهم و معرفتهم غير تكليف أهل الطريقة وكمالهم و معرفتهم، وكذلك أهل الحقيقة فإنّ كمالهم و معرفتهم غيركمال أهل الطريقة و كمالهم و معرفتهم، و قد عرفت هذا عند تفصيل كلّ طائفة من الطوائف الثلاث على الأخرى شرفا و رتبة مع اتحادهم في المقصد، و من هذا كان تكليف الأنبياء و الرسل و الرسل و الأولياء و الأوصياء من تابعيهم غير تكليف الخلايق بعد مشاركتهم في تكليفهم من غير عكس، لقوله تعالى:

فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ [هود: ۱۱۲].

و قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«شيّبتني سورة هود».

و من هذا يعرف قدرهم و منزلتهم عند اللّه و شرفهم و رفعتهم عند الخلق، و هاهنا سؤالان:

۱-۱-۳-۸-۵ (وجه وصول الإنسان الى مقام إلهى من قبل اللّه سبحانه)

الأوّل: انّهم لم خصصوا بهذه المراتب من بنى النوع دون غيرهم؟

و الثاني: أنّهم لم صاروا مكلّفين بزيادة تكليف مع عظمة قدرهم و جلالة شأنهم؟

أمّا جواب السؤال الأوّل، فهو انّ اللّه تعالى حيث خلق الخلق وكلّفهم بتكليف معيّن و ليس لهم علم بذلك التكليف يجب عليه تعالى ان يعلمهم التكليف ليقومون به و يخرجون عن عهدته، و يحصل به غرضه تعالى منهم، و لا يقع فعله عبثا كما بيّناه و قررناه قبل هذا، و هذا يسمّى لطفا عند أهل الظاهر، و عند أهل الباطن عناية، و إذا كان كذلك و لم يكن لكل واحد منهم استعداد أخذ هذا التكليف منه تعالى بنفسه لعدم المناسبة و بعد الجنسيّة، لقوله جلّ ذكره:

ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ [الشورى: ۵۱].

وجب عليه تعالى عقلا، تعيين جماعة يكون بينه و بينهم مناسبة مّا حتّى يأخذون منه ذلك التكليف وحيا و إلهاما و يوصلونه إلى المكلفين من عبيده بحكم المناسبة أيضا لقوله:

وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ [الأنعام: ۸].

فهؤلاء الجماعة هم الأنبياء و الرسل بالأصالة، و الأولياء و الأوصياء بالتبعيّة، لقوله فيهم على الإطلاق و التقييد:

إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً [النساء: ۱۶۴].

و إن قلت: هذا بيان علّة الاحتياج إلى جماعة يكونون واسطة بين اللّه و بين الخلق في إيصال تكليفهم إليهم لا بيان خصوصيّتهم بذلك.

قلنا: علّة خصوصيّتهم بذلك، المناسبة الذاتيّة بينه و بينهم الآتية بيانها بعد هذه الكلمات من الاتّصاف بصفاته التخلّق بأخلاقه لقوله:

«كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله».

و لقوله:

وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى [الأنفال: ۱۷].

و إن قلت: ذلك المناسبة الذاتيّة ممن حصلت لهم أو من أين حصلت.

قلنا: هاهنا قولان:

الأوّل على طريق أهل الشرع و أهل الظاهر، و ذلك راجع إلى عناية اللّه تعالى و إعطائه لهم هذه المراتب و المقامات لقوله:

لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ۲۳].

و الثاني، على طريق أرباب الباطن و أهل الحقيقة، و ذلك راجع إلى بحث الأعيان و الماهيّات و أنّها بجعل الجاعل أم لا؟ و قد بسطنا الكلام فيها في المقدّمة الأولى، و بيّناه أنّ استحقاق تلك المناصب لهم من اقتضاء ذواتهم و ماهيّاتهم بمقتضى علمه تعالى بها لأنّ العلم تابع للمعلوم و المعلوم لا يوجد إلّا على الوجه الّذي كان مقررا في نفي العالم، و هاهنا أبحاث و أسرار لا يعرفها إلّا أهلها، و قد بيّنا أكثرها في المقدمة الأولى، و مع ذلك أيّ جماعة فرض فيهم هذه المناصب يمكن عليهم هذا الاعتراض و يلزم من هذا امّا دور و امّا ترجيح من غير مرجّح، و امّا الإخلال بالواجب منه تعالى و الكلّ مستحيل بالنسبة إلى حضرته، فيجب عليه تعيينهم و تخصيصهم بمقتضى علمه و حكمته، لقوله أيضا تأكيدا للأقوال المذكورة:

إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ [ص: ۴۷- ۴۶].

و إذا عرفت هذا لا بدّ من بيان المناسبة الواقعة بينهم و بين الحقّ بوجه، و بينهم و بين الخلق بوجه آخر.

امّا الأولى أي المناسبة التي بينهم و بين الحقّ فتلك بوجهين:

۱-۱-۳-۸-۶ (بيان وجه المناسبة الموجبة للمحبّة بين الحق و الخلق عقلا)

الأوّل من حيث العقل. و الثاني من حيث النقل.

امّا العقل، فالعقل الصحيح يحكم بانّ بين الذاتين أو الشخصين مثلا لو لم يكن مناسبة مّا لم يمكن تصوّر المحبّة بينهما أصلا، لأنّ أعظم شرط المحبّة: المناسبة الذاتيّة، ثمّ العارضيّة، و تلك بأنواع كما هي مذكورة في الكتب الحكميّة في باب المحبّة، وكذلك في كتب المحقّقين من أرباب التوحيد، حتّى ذهب بعض الحكماء إلى أنّ اللّه تعالى لا يجوز له أن يحبّ أحدا و يحبّه أحد، لأنّ المحبّة تقتضي الجنسيّة و ليس للواجب مع الممكن جنسيّة بوجه من الوجوه فلا يجوز له محبّته أصلا، و هذا الكلام ليس له أصل لكن ذكرناه تنبيها لك على فساد عقائدهم و قواعده.

و الغرض أنّه لا بدّ في المحبّة من المناسبة، ذاتيّة كانت أو عرضيّة كما ورد في اصطلاح أهل اللّه و هو قولهم: المحبّة الأصليّة هي محبّة الذات عينها لذاتها لا باعتبار أمر زائد لأنّها أصل جميع أنواع المحبّات، فكلّ ما بين اثنين فهي إمّا لمناسبة في ذاتهما أو لاتّحاد في وصف أو مرتبة أو حال أو فعل، فمناسبتهم مع اللّه حينئذ يكون من

حيث تقديسهم و تنزيههم من دنس البشريّة، و رجس الحدوث و الإمكان، و اتّصافهم بالأوصاف الربّانيّة و الأخلاق الإلهيّة، و الدليل على ذلك و هو أنّهم إذا كانوا في عالم البشريّة و حكم الطبيعة لم يتمكّنوا من هذا، كما قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل».

۱-۱-۳-۸-۷(ظهور الملائكة في صورة الإنسان)

بل لا بدّ لهم من الانسلاخ عن عالم البشريّة، و الاتّصاف بالصفات الإلهيّة، ليتمّكنوا من هذا، لأنّه ورد في الخبر الصحيح أنّه إذا كان من عالم البشريّة الصرفة، لم يتمكّن من أخذ الوحي بنفسه لعدم المناسبة، بل كان يحتاج إلى جبرئيل في صورة دحية الكلبي و غيره، لئلّا يحصل له غيبة عن عالم الحسّ و انزعاج في النفس، و يتمكّن من الإبلاغ و الرسالة و الدعوة و الإرشاد، و قدكان يحصل له غشيان في بعض الأوقات عند نزول الوحي فكان يقول لعائشة:

«كلّميني يا حميراء كلميني يا حميراء».

ليرجع من تلك العوالم إلى عالم الحسّ و الشهادة، و يقوم بالأمر المأمور به من إبلاغ الرسالة، و يعضد ذلك حال موسى عليه السّلام حيث قال:

وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً [الأعراف: ۱۴۳].

لأنّ ذلك كان من اقتضاء البشريّة و الطبيعة الحيوانيّة، و إلّا كلّم اللّه موسى تكليما في حال التجرّد و المناسبة الحقيقيّة، شاهد عدل لأنّه في ذلك الوقت تكلّم مع اللّه تعالى و ما حصل له هذه الحالة حتّى قال تعالى له:

فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً [طه: ۱۲].

و قال:

إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ [القصص: ۳۰].

و قطّ ما تغيّر من حاله وكان يتكلّم حتى قال في جواب كلام واحدكم من كلام و هو قوله تعالى:

وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَ أَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى [طه: ۱۷-۱۸].

وكذلك نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ليلة المعراج الّذي هو الانسلاخ عن عالم البشريّة حيث قال تعالى:

فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى [النجم: ۱۰].

۱-۱-۳-۸-۸ (شرف الإنسان الكامل على الملائكة)

فان ذلك كان في حال التجرّد و المناسبة الذاتيّة من غير واسطة ملك أو جبرئيل، و ورد أنّه أوحى إليه تعالى ثلاثين ألف خبر أو أكثر في ساعة واحدة أو أقل و في هذا المقام قال جبرئيل:

«لو دنوت أنملة لاحترقت».

و هذا أيضا يدل على شرف الإنسان و فضيلته على الملك و غيره، هذا من طرفهم، و أمّا من طرف الحقّ فيكفي فيه قوله:

فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ [الحجر: ۲۹].

لأنّ هذا القول دالّ على شيئين: الأوّل، المناسبة بينه و بين عبده، و الثاني، على شرف الإنسان و فضيلته على الملك، و قد ورد في اصطلاحهم أيضا ما يؤكّد ذلك و هو قولهم:

المناسبة الذاتيّة بين الحق و عبيده من وجهين: إمّا أن لا تؤثّر أحكام تعيّن العبد و صفات كثرته في أحكام وجوب الحقّ و وحدته، بل تتأثّر منها و تتصبغ ظلمة كثرته بنور وحدته، و إمّا بأن يتّصف العبد بصفات الحقّ و يتحقّق بأسمائه كلّها.

فإن اتّفق الأمران فذلك العبد هو الكامل المقصود بعينه، و إن اتّفق الأمر الأوّل بدون الثّاني فهو المحبوب المقرّب، و حصول الثّاني بدون الأوّل محال، و في كلا الأمرين مراتب كثيرة:

أمّا في الأمر الأوّل فبحسب (فيجب) شدّة غلبة نور الوحدة على الكثرة و ضعفها و قوّة استيلاء أحكام الوجوب على أحكام الإمكان و ضعفه.

و أمّا في الأمر الثاني، فبحسب (فيجب) استيعاب تحقّقه بالأسماء كلّها و عدمه بالتّحقّق ببعضها دون البعض، و هاهنا أبحاث كثيرة بالنسبة إلى أرباب الظّاهر من المعتزلة و الأشاعرة و أرباب التّوحيد من المتقدّمين و المتأخّرين، و ليس هذا موضع تلك الأبحاث فاطلب في مظانّها.

۱-۱-۳-۸-۹ (بيان وجه المناسبة الموجبة للمحبة بين الحق و الخلق نقلا)

و امّا الوجه الثاني الّذي هو من حيث النقل فلقوله تعالى:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ [المائدة: ۵۴].

و لقوله في الحديث القدسي:«ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي، و إنّي لأشدّ شوقا إليهم» و لقوله فيه:

«كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق».

لأنّ هذه كلّها تشهد بالمحبّة من طرف الحقّ أوّلا، ثمّ من طرف العبد آخرا.

المحبّة كما تقرّر لا تكون إلّا بعد حصول المناسبة و المؤانسة، و قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

۱-۱-۳-۸-۱۰ (إخبار الإنسان الكامل من عالم الواحدة الصرفة)

«لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل».

إشارة إلى هذا، لأنّه من عالم الوحدة الصرفة، و مقام رفع البشريّة بالكلّيّة الّتي هي الاتصاف بالصفات الإلهيّة، و التخلّق بالأخلاق الرّبانيّة، و معلوم أنّ هذا لا يكون إلّا بعد فناء أوصاف العبد في أوصاف الربّ و فناء وجوده

في وجوده كفناء القطرة في البحر، و فناء الجليلد في الماء و إن لم تفهم هذه الإشارات في صورة هذه المناسبات.

۱-۱-۳-۸-۱۱ (بيان ما يحصل للإنسان بفناءه في الحقّ سبحانه)

نضرب لك مثلا تفهم منه مطلوبك من غير شكّ، و ذلك المثل و هو أن تعرف النار مثلا نوراني مضيء شفّاف يحصل منه الطبخ و النضج و الإضائة و غير ذلك، و الفحم أو الحطب ظلماني مظلم كدر ما يحصل منه هذه الفوائد، و بل في طبعه البرودة و الغلظ و اليبوسة و غير ذلك لكن إذا حصل له مجاورة النار تدريجا أو دفعيا و اتصف به صار نارا، و صدق عليه أنّه نورانيّ مضيء شفاف، و يحصل منه كلّ ما يحصل من النار من الطبخ و النضج و الإضائة و غير ذلك من الأوصاف، و من هذا قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«من رآني فقد رأى الحقّ».

و قال غيره:

«سبحان ما أعظم شأني».

و قال غيره:

«أنا الحقّ».

و قال:

«أنا من أهوى و من أهوى أنا».

وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [العنكبوت: ۴۳].

هذا بالنسبة الحاصلة بين الأنبياء و الحقّ تعالى جلّ ذكره.

۱-۱-۳-۸-۱۲ (المناسبة الحاصلة بين الأنبياء و الخلق)

و أمّا بالنسبة المناسبة الحاصلة بينهم و بين الخلق فتلك أيضا بوجهين:

الأوّل العقل، و الثاني النقل:

امّا العقل، فالّذى تقدّم ذكره من حيث الإمكان و الحدوث و البشريّة و الخلقيّة، فإنّ الناس و بل الموجودات كلّها من هذه الحيثيّة سواء، لأنّ الموجودات منحصرة في الممكن و الواجب، و الواجب واحد بالاتّفاق فلم يبق إلّا الممكن و الممكنات من حيث ذواتهم و ماهيّاتهم متساوية كما هو معلوم عند أهله.

و أمّا النقل، فلقوله تعالى:

إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ [الكهف: ۱۱۰].

و لقوله:

ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ [الفرقان: ۷].

فإنّ ذلك كلّه يدل على بشريّته، و مناسبته للخلق في أوصافهم البشريّة و أخلاقهم الطبيعيّة.

إذا عرفت المناسبة الّتي بينهم و بين الحقّ، و المناسبة الّتي بينهم و بين الخلق.

فاعلم، أنّ بينهم و بين الملك أيضا مناسبة، وكذلك بين اللّه و بين الملك.

۱-۱-۳-۸-۱۳ (المناسبة بين الأنبياء و الملائكة)

و أمّا المناسبة الّتي بينهم و بين الملك فلقوله تعالى على العموم:

إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ [فصّلت: ۳۰].

و على الخصوص:

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى [النجم: ۵].

وكذلك:

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ [الشعراء: ۴- ۱۹۳].

۱-۱-۳-۸-۱۴ (المناسبة الحاصلة بين الحق سبحانه و الملائكة)

و أمّا المناسبة الّتي بين اللّه و بين الملك فلتقديسهم و تنزيههم عن نقائص البشرية و حسائس الجسمانية و دنس الطبيعة الحيوانيّة، و لقوله تعالى فيهم:

نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ [البقرة: ۳۰].

لأنّ هذا كلام صادر من اقتضاء ذواتهم، و مقتضى مقاماتهم لقولهم:

وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ [الصافات: ۱۶۴].

و ذلك المقام ليس إلّا مقام التقديس و التنزيه و التسبيح، و يدلّ على ذلك كلّه تعليم اللّه لهم في قوله:

قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [البقرة: ۳۲].

لأنّ التعليم لا يتيسّر إلّا بالمناسبة بين المعلّم و المتعلم كما قال تعالى لآدم عليه السّلام حيث يشاهد فيه المناسبة العلميّة بينه و بينهم و هو قوله:

قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [البقرة: ۳۳].

و إذا عرفت هذا فقس عليه حال الأولياء و الأوصياء و أمثالهم فإنّهم يأخذون منه العلوم و الحقائق من غير واسطة أحد لقوله تعالى فيهم:

آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً [الكهف: ۶۵].

و لقوله في الإنسان:

اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ [العلق: ۳- ۵].

و لقوله فيهم:

الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ [الرحمن: ۱- ۳].

و أمثال ذلك كثيرة في هذا الباب، و اللّه أعلم و أحكم، هذا بالنسبة إلى السؤال الأوّل.

۱-۱-۳-۸-۱۵ (في وجه زيادة تكليف الأنبياء و الأولياء بالنسبة الى غيرهم)

امّا السؤال الثاني، فهو أنّهم لم صاروا مكلّفين بتكليف زيادة مع عظمة قدرهم و جلالة شأنهم، فجواب ذلك من وجهين أيضا:

الأوّل باستعدادهم الحاصل لهم في الأزل من غير سبب سابق و عمل لا حق كما بيّناه في المقدّمات السابقة بحكم قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ [الأنبياء: ۱۰۱].

و قوله:

هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ [ص: ۳۹].

و قوله:

ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد: ۲۱].

و أمّا الثاني، فلزيادة مجاهدتهم و سعيهم و رياضاتهم في طاعة اللّه و تحصيل مرضاته، لقوله تعالى:

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً [النساء: ۱۱۴].

أمّا نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله فرياضته و مجاهدته بعد الجهاد و الحرب مع الكفّار و حمل إيذائهم لقوله:

«ما أوذي نبيّ بمثل ما أوذيت».

معلومة مشهورة، خصوصا ما ورد في القرآن من قوله تعالى:

طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى [طه: ۱- ۲].

و ما روى عن عائشة:

أنّه قام في الليل للصلاة و التهجد حتّى تورّمت قدماه، فقالت:

يا رسول اللّه ما ورد فيك:

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ [الفتح: ٢].

فقال لها:

«أفلا أكون عبدا شكورا».

و أمّا باقي الأنبياء عليهم السّلام فرياضتهم و مجاهدتهم معلومة من كتبهم و صحفهم مفصّلا، و على الإجمال من القرآن، و ذلك لا يخفى على أحد من العلماء، و نعم الشاهد القرآن، و نعم الدليل البرهان، وكفى باللّه شهيدا و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

و هاهنا أبحاث كثيرة نختصر منها على هذا، و نشرع في القاعدة الثانية و تعيين كمال كلّ موجود و سيره و سلوكه صورة و معنى بحسب هذا المقام و هي هذه و باللّه التوفيق.

١-١-٣-٩ الأصل الثّاني في تعيين كمال كلّ موجود من الموجودات الروحانيّة و الجسمانية صورة و معنى

١-١-٣-٩-١ (كلّ موجود سائر إلى اللّه سبحانه و يسبّح له)

اعلم أنّ السير و السلوك و طلب الكمال ليس مخصوصا بالإنسان فقط بل جميع الموجودات و المخلوقات علويّة كانت أو سفليّة، فإنّها في السير و السلوك و طلب الكمال، و له توجّه إلى مطلوبه و مقصوده، و يشهد بذلك النقل و العقل، أمّا النقل وكقوله تعالى:

وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام: ٣٨].

وكقوله:

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ [الحجّ: ١٨].

وكقوله:

كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ [النور: ٤١].

وكقوله:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: ٤٤].

و هذه الأقوال الأربعة دلالات قاطعة على أنّ الكلّ مكلّفين و مأمورين بحسب قابليّتهم و استعدادهم، لأنّ القول الأوّل يشمل الأرض و أهلها، و القول الثاني يشمل السّماوات و الأرض و ما بينهما، و القول الثالث يشمل الكلّ على التعيين، و القول الرابع يشمل الكلّ على الإطلاق.

فيعلم من هذا أنّ الكلّ متوجّهون إلى اللّه تعالى، سائرون إليه، طالبون معرفته و عبادته، لأنّ السّجدة و الصّلاة هاهنا بمعنى العبوديّة و المعرفة، لا بمعنى السّجدة المتعارفة في الشّرع، وكذلك التسبيح لأنّ تسبيحهم و صلاتهم لوكان من قسم صلاة الإنسان و تسبيحهم لعرفوها و فهموها لكن لمّا لم يعرفوها بشهادة اللّه لهم في قوله:

لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: ۴۴].

عرفنا أنّها ليست من تلك الأقسام، فحينئذ صلاة كلّ موجود و سجدته و تسبيحه يكون مناسبا لحاله، و عند التحقيق تسبيح كلّ موجود غير الإنسان هو الّذي هو عليه من الأوضاع و الأفعال و الأخلاق و الأحوال، لقوله تعالى:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ [الإسراء: ۸۴].

۱-۱-۳-۹-۲ (حقيقة الصلاة و الذكر و التسبيح)

وكذلك صلاته و سجدته، و المراد من الكلّ واحد و هو معرفة اللّه أو عبادته لقوله فيهما: أمّا المعرفة فلقوله:

«كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» و أمّا العبادة، فلقوله:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶].

و مثال ذلك مثال روح الإنسان و بدنه و أعضاؤه و قواه فإنّ الكلّ ساجدون له منقادون لأمره مطيعون لأحكامه و هذا هو الصّلاة الحقيقيّة و السّجدة المعنويّة و التسبيح و الذّكر المعنويان و غير ذلك.

۱-۱-۳-۹-۳ (أنّ العالم بدن للإنسان الكبير) (الإنسان الكامل و الروح الكلي الإنساني خليفة اللّه في العالم كما هو مظهره سبحانه)

و المراد من هذا المثال أنّ نسبة جميع العالم بالنسبة إلى روح الإنسان، هذا هو بعينه، لأنّ العالم بأسره بدن الإنسان الكبير، و جميع ما في ضمنه و ما اشتمل عليه بمثابة أعضائه و جوارحه و قواه كما سبق ذكره في المقدّمات.

فتسبيح الكلّ و صلاتهم و سجدتهم بالنسبة إليه يكون مطاوعتهم فيما ينهاهم و يأمرهم، و تسبيح هذين المظهرين و سجدتهما هو تسبيح الحقّ و سجدته في الحقيقة، لأنّ الروح الجزئي الإنساني كما هو خليفة اللّه في البدن، فالروح الكلّي الإنساني خليفة اللّه في العالم و ليس مظهره الحقيقي أيضا إلّا الإنسان الّذي هو خليفة اللّه فيكون السجدة و التسبيح لهما حقيقة، السجدة و التسبيح للّه، لقوله تعالى:

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ [النساء: ۸۰].

وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [العنكبوت: ۴۳].

و من هذا ورد في الشكر الحقيقي من بعض الأئمّة:

«إنّه صرف كلّ عضو فيما خلق لأجله».

۱-۱-۳-۹-۴(لا يقع شيء في الوجود و يكون خلاف علم اللّه سبحانه و تعالى)

و قيل: «إنّ كلّ موجود من الموجودات العلوّية و السفليّة بالنسبة إلى الإنسان الكبير، هو في الّذي خلق لأجله إلّا الإنسان».

يعني ليس هناك موجود يخالفه في أمره و نهيه و طاعته و عبادته إلّا الإنسان، فإنّه في حالة المخالفة للّه تعالى ليس في أمره و طاعته كأنفسنا في بعض الأوقات بالنسبة إلى روحنا و عقلنا و ان كانت تلك المخالفة أيضا عين الموافقة في الحقيقة، لأنّ كلّ مخالفة فرض في العالم من حيث الأوامر الشرعيّة و نواهيها، فهو موافق لعلم اللّه به أزل الآزال و أبد الآباد، لوجوب تطابق العلم المعلوم أيّ معلوم كان، كما قال بعض العارفين في هذا المعنى: «من خالف اللّه في أمره لم يخالفه، و من خالفه في مراده منه وافقه في مراده به، و إلى هذا أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام في بعض خطبه بالنسبة الى آدم عليه السّلام أو ذرّيته في قوله:

«و أسكنه جنته و أرغد فيها أكله، و أوعز إليه فيما نهاه عنه، و أعلمه أنّ في الإقدام عليه التعرّض لمعصيته، و المخاطرة بمنزلته، فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله» [نهج البلاغة: صبحي الخطبة ۹۱ و فيض: ۹۰].

و يدلّ على هذا أيضا قوله في موضع آخر:

«اعلموا علما يقينا أنّ اللّه لم يجعل للعبد- و إن عظمت حيلته، و اشتدّت طلبته، و قويت مكيدته- أكثر ممّا سمّى له في الذكر الحكيم، و لم يحل بين العبد في ضعفه و قلّة حيلته، و بين أن يبلغ ما سمّى له في الذكر الحكيم، و العارف لهذا، العامل به، أعظم الناس راحة في منفعة، و التارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلا في مضرّة، و ربّ منعم عليه مستدرج بالنّعمى، و ربّ مبتلى مصنوع له بالبلوى، فزد أيّها المستمع (المستنفع) في شكرك، و قصّر من عجلتك، وقف عند منتهى رزقك» [نهج البلاغة: الحكمة رقم ۲۷۳].

وكذلك قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«جفّ القلم بما هوكائن».

و قوله:

«كلّ ميسر لما خلق له».

وكذلك قوله تعالى:

كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ [القمر: ۵۲].

و قوله:

وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ [الأنعام: ۵۹].

و ليس مرادنا بهذا إثبات مسألة الجبر، و لا إثبات قول من قال: إنّ كلّ ما علم اللّه تعالى وقوعه يجب وقوعه، و كلّ ما علم اللّه تعالى بعدم وقوعه يستحيل وقوعه، بل مرادنا أنّه لا يقع شيء في الوجود خلاف علم اللّه تعالى

موافقا كان ذلك الشيء أو مخالفا، و هذا شمّة من بحر سرّ القدر المنهيّ «عن كشف» أسراره، و إن سبق من سرّ القدر أكثر من ذلك في المقدّمات، و لهذا مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام ما شرع في جواب سرّ القدر إذا سئل، و بل منعهم عن ذلك، و هو قوله:

«ألا إنّ القدر سرّ من سرّ اللّه عزّ و جلّ، و ستر من ستر اللّه، و حرز من حرز اللّه، مرفوع في حجاب اللّه، مطويّ عن خلق اللّه، مختوم بخاتم اللّه، سابق في علم اللّه، وضع اللّه عن العباد علمه (وضع اللّه العباد عن علمه)، و رفع فوق شهاداتهم، و منع عقولهم بأنّهم لا ينالونه (و رفعه فوق شهاداتهم و مبلغ عقولهم لأنّهم لا ينالونه) لا بحقيقة الربانيّة، و لا بقدرة الصمدانيّة، و لا بعظمة النورانيّة، و لا بعزّة الوحدانيّة، لأنّه بحر زاخر خالص للّه عزّ و جلّ، عمقه ما بين السّماء و الأرض، عرضه ما بين المشرق و المغرب، أسود كالليل الدّامس، كثير الحيّات و الحيتان، يعلو مرّة و يسفل أخرى، في قعره شمس تضيء، و لا ينبغي أن يطلع عليها إلّا الواحد الصمد (الفرد)، فمن تطلّع إليها فقد ضادّ اللّه في حكمه، و نازعه في سلطانه، وكشف عن سرّه و ستره باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

و تلك شقشقة هدرت ثمّ فرت، فنرجع إلى كنّا بصدده و نقول:

۱-۱-۳-۹-۵ (كل موجود له تسبيح و حياة)

اعلم، حيث ثبت إنّ كلّ موجود له صلاة و تسبيح و سجدة، ثبت أنّ كلّ موجود له حياة و نطق و معرفة، و هذا هو الكمال المقصود من الكلّ، أمّا الحياة فتلك حقيقيّة و مجازيّة.

۱-۱-۳-۹-۶ (الحياة الحقيقيّة هي العلم و المعرفة)

أمّا الحقيقيّة فقد تقرّر أنّ الحياة الحقيقيّة هي العلم و المعرفة أي العلم باللّه و المعرفة به، و هذه حاصلة لكلّ موجود بحكم قوله:

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [لقمان: ۲۵].

لأنّ هذا إقرار بألوهيّته و وحدانيّته، و هذا المقدار يكفي في المعرفة الجبليّة دون الكسبيّة، وكذلك قوله:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [الإسراء: ۴۴].

لأنّ التسبيح للشيء يكون مسبوقا عن معرفة، لأنّ التسبيح بدون المعرفة مستحيل جبليّة كانت أو كسبيّة.

و أمّا المجازيّة، فقد تقرّر أنّ كلّ موجود له حياة بحسبه و يشهد به قوله تعالى:

وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ [الأنبياء: ۳۰].

فهذا الماء إن قلنا: من المركّبات فذلك ظاهر، لأنّ جزء كلّ مركب ماء عنصريّ صوريّ الّذي تركّب به بدن الإنسان لقوله:

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً [الفرقان: ۵۴].

و إن قلنا: من البسائط فذلك يرجع إلى الهيولى الكلّيّة الّتي كان العرش عليه قبل إيجاد العالم و ما فيه لقوله

تعالى:

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [هود: ٧].

و بالجملة للكلّ حياة مناسب بحاله، فإن شئت سمّها علما و معرفة، و إن شئت سمّها ماء عنصريّا، و إن شئت هيولى كلّيّا، لا مشاحّة في الألفاظ.

و أمّا النطق فذلك أيضا مجازيّ و حقيقي.

امّا المجازي فلقوله تعالى:

أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ [فصّلت: ٢١].

و لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«يشهد للمؤذن كلّ رطب و يابس ، و يستغفر لطالب العلم كل شيء حتّى الحيتان في البحر و الطير في السماء».

فإنّ هذين القولين دالّان على أن لهم نطق و أظهر و أبين من ذلك تسبيح الحصى في كفّ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله الّذي هو الجماد، و أنين الخشبة الّذي هو النبات، و تكلّم الذراع المشوى، لأنّ المولّدات منحصرة في هذه الثلاث، و أمّا العنصريات و الطبيعيّات فقد تقدّم تقريرها.

و امّا الحقيقي، فالنطق هو التعقّل مطلقا و تعقّل الشيء ذاته و ذات موجوده هو النطق الحقيقي، و قد سبق بيان ذلك بحكم الآية و الخبر، و الدليل على أنّهم عرفوه و سبّحوه لأنّهم لو لم يعرفوه لم يسبحوه لأنّ الشيء المجهول الغير المعلوم لا يسبحه أحد أصلا.

١-١-٣-٩-٧ (المعرفة حقيقية و مجازية و المراد من المعرفة في «عالم أ لست» هي المعرفة في عالم الفطرة و الجبلّة)

و أمّا المعرفة فتلك أيضا حقيقيّة و مجازيّة، أعني جبليّة وكسبيّة.

أمّا الجبليّة الحقيقيّة فقد شهدت به الآية في قوله:

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [لقمان: ٢٥].

و شهد به قوله:

أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى [الأعراف: ١٧٢].

و ان قلت: هنا ضمير راجع إلى ذريّة آدم لا إلى الموجودات مطلقا.

قلنا: هذا صحيح، أنّه ضمير إلى ذرّيّة آدم لكن آدم يشمل الإنسان الكبير و الصغير، و هذا ضمير إلى آدم الكبير الّذي هو العالم و ما فيه من الموجودات، لأنّ الكلّ ذريّة له كما أشار إليه الحقّ في قوله:

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً

[النساء: ۱].

و المراد بالرجال و النساء الذكورة و الأنوثة الحاصلة في كلّ موجود من الموجودات العلويّة و السفليّة المشار إليه في قوله:

وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ [الذاريات: ۴۹].

أي الإناث و الذكور، و الذي قيل:

و في كلّ شيء له آية تدل على أنّه واحد

أيضا دليل على هذا.

و أمّا الكسبيّة المجازيّة، فتلك مخصوصة بالإنسان و الملك و الجنّ مع أنّ لهم معارف جبلّية سابقة على الكسبيّة و قد تقدّم ذكرها بوجوه كثيرة، و العود إلى ما سبق غير مستحسن، فأرجع إليه، هذا من حيث النقل الممزوج بالعقل، و أمّا من حيث العقل الممزوج بالكشف المحبوب و الذوق:

۱-۱-۳-۹-۸ (ليس في الوجود سوى اللّه، و هو العارف و المعروف و هو المحبّ و المحبوب)

فاعلم، انّه قد تقرّر عند أهل اللّه باتّفاق أكثر العقلاء أنّ الوجود واحد، و ذلك دائر بين المحبّ و المحبوب، و العارف و المعروف، و الطالب و المطلوب، بشهادة قوله تعالى:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ [المائدة: ۵۴].

و قوله:

«فأحببت ان أعرف».

فالمحبوب الحقيقي عند التحقيق يكون هو اللّه فقط، و المحبّ ما سواه من المخلوقات و الموجودات جمادا أو نباتا، أو حيوانا أو إنسانا، أو جنّا أو ملكا، كما قيل:

و كل مليح حسنه من جماله معار له بل حسن كلّ مليحة

وكما قيل:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلّا للحبيب الأوّل

و بناء على هذا يصدق على الكلّ أنّهم محبّون له، متوجّهون إليه، سايرون إلى حضرته، و إن حقّق عرف أنّه المحبّ و المحبوب، و الطالب و المطلوب، و العارف و المعروف، لأنّ من هذه الاعتبارات يلزم الغيريّة و الكثرة و مشاهدة الغير، و هذا خلاف التوحيد الحقيقي، و المقصد ليس إلّا التوحيد، فيجب حينئذ مشاهدة وجود باعتبارين:

بوجه باعتبار أن لا تعتبر معه أحد غيره أصلا و هو اعتبار الحضرة الأحديّة، و مقام الإطلاق و الوحدة. و الثاني باعتبار أن تعتبره مع أسماؤه و صفاته و أفعاله، و المظاهر الّتي بإزائها المعبّر عنها بالأكوان، و بالنسبة إلى الأوّل قيل:

لقدكنت دهرا قبل أن تكشف الغطاء أخالك إني ذاكر لك شاكر
لقدكنت دهرا قبل أن تكشف الغطاء بأنّك مذكور و ذكر و ذاكر

و قيل: لا يحبّ اللّه إلّا اللّه، و لا يعرف اللّه إلّا اللّه، و لا يذكر اللّه إلّا اللّه.

و بالنسبة إلى الثاني قيل: ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله فالكلّ هو و به و منه و إليه، و قال هو بنفسه:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد: ٣].

و قال:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [فصّلت: ٥٤-٥٣].

و فيه قيل:

جمالك في كلّ الحقائق سائر و ليس له إلّا جلالك ساتر
تجليت للأكوان خلف ستورها فنمت بما ضمت عليه الستائر

و قيل:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة فشاهدته في كلّ معنى و صورة

و أكثر ذلك قد ذكرناه مرارا، و الغرض واحد و هو إثبات أنّ كلّ شيء له سير و سلوك صورة و معنى، و قد ثبت ذلك و الحمد للّه، و حيث إنّه كان على سبيل الإجمال فالواجب أن نشرع فيه على سبيل التفصيل بعون اللّه و حسن توفيقه و هذا:

١-١-٣-٩-٩ (كمال كل شيء وصوله إلى الإنسان وكمال الإنسان وصوله الى الحق سبحانه)

اعلم، أنّ لكلّ موجود سيران صوري و معنوي:

أمّا السير الصوري للجماد فهو انّه يصل إلى مرتبة النبات كالمرجان فإنّه ينبت و يحصل له أغصان و أوراق و شعب كالنبات و الشجر.

و أمّا السير المعنوي له فهو أن يصير جزء بدن الإنسان على أيّ وجه كان، أعني في صورة الأغذية و الأشربة و المعاجين و غير ذلك.

و أمّا السير الصوري للنبات فهو أن يصل إلى مرتبة الحيوان كالنخل، فإنّ له تعشّق و تحبّب كالحيوان إلى نخل آخر بقوّة التناسب الّتي بينه و بينه و غير ذلك من المناسبة مع الحيوان لأنّه إذا قطع رأسه يموت، و إذا غرق في الماء يموت، و أمثال ذلك وكلّ ذلك من خصال الحيوان.

و أمّا السير المعنوي له، فهو ان يصير جزء بدن الإنسان على أيّ وجه يكون بالأغذية كانت أو بغيرها.

و أمّا السير الصوري للحيوان، فهو أن يصل إلى مرتبة الإنسان، و يحصل له النطق و التكلّم كالقرد و الببغاء و غير

ذلك من الحيوانات.

و أمّا السير المعنوي له، فهو أن يصير جزء بدن الإنسان على أيّ وجه كان، و السرّ في ذلك كلّه أنّ كمال جميع الموجودات دون الإنسان هو وصوله إلى الإنسان فقط، وكمال الإنسان في وصوله إلى الحقّ تعالى فقط، فحينئذ توجّه جميع العالمين يكون إلى الإنسان صورة و معنى كبيرا كان الإنسان، أو صغيرا لحصول كما لهم المعيّن لهم في الأزل، و توجّه الإنسان إلى الحقّ تعالى مطلقا لحصول كمالهم المعين لهم في الأزل.

فافهم جدّا، و إليه الإشارة:

وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً [الجاثية: ١٣].

و أبلغ من ذلك قوله لنبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

«لولاك لما خلقت الأفلاك».

أي لولاك لما خلقت العالم و ما فيه.

و امّا السير الصوري للإنسان، فهو أن يصير ملكا و يحصل له الطهارة و التجرّد من ملابس الصورة البشريّة و خسائس الطبيعة الحسيّة.

و امّا السير المعنوي له، فهو أن يحصل مرتبة النبوّة و الرسالة و الولاية، و يصل منها إلى مرتبة الوحدة الصرفة الّتي هي عبارة عن رفع الإثنينيّة الاعتباريّة، لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل».

و قوله أيضا:

«من رآني فقد رأى الحقّ».

لأنّ كلّ ذلك دليل عليه، و قوله تعالى:

وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى [الأنفال: ١٧].

يكفي فيه، لأنّه نفي في عين الإثبات، و إثبات في عين النفي، و المراد إثبات مقام الوحدة له و رفع الإثنينيّة و الكثرة، الموجب للاتّحاد الكلّي المشار إليه في قوله تعالى:

ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى [النجم: ٨- ٩].

و قد ذكرنا من كلام العارف في هذا الباب أقوال كثيرة فارجع إليها.

و أمّا السير الصوري للجنّ، فهو أن يحصل له مرتبة الملكيّة السماويّة من التجرّد و التقديس (التقدّس)، فإنّ عند أكثر الناس الجنّ من الملائكة الأرضيّة و سمّاهم الجنّ لخفائهم عن عيون الإنس، كما قال تعالى في حقّ إبليس:

كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ [الكهف: ٥٠].

و إن كان عند البعض هم أشكال ناريّة موضعهم كرة الأثير، و لهم دخول في كرة الماء و التّراب، وكيفيّة ذلك موقوف على بسط عظيم ليس هذا موضعه.

و امّا السير المعنوي له، فهو أن يحصل له المراتب الإنسيّة و المعارف البشريّة، و يؤمن بالشرع و القرآن، كما نطق به الكتاب الكريم في قوله:

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً [الجنّ: ١- ٢].

و أمّا السير الصوري للملك، فهو أن يحصل له مقام القرب و التقديس و التنزيه، و يصل إلى مرتبة الكروبيين الّذين أخرجهم اللّه تعالى عنهم بالاستثناء الفاضل بين النوع و الأشخاص كإخراج جبرئيل و ميكائيل من الملائكة، أو الإنسان من الحيوان المطلق، و قد سبق ذكره في الديباجة.

١-١-٣-٩-١٠ (في أنّ الإنسان أفضل من الملائكة)

و امّا السير المعنوي له، فهو أن يحصل له الإطلاع على بعض أسرار الإنسان الحاصلة له من اللّه تعالى المخصوصة بالإنسان دون الملك لقول جبرئيل عليه السّلام:

«لو دنوت أنملة لاحترقت».

و يشهد به تعليم آدم الملائكة في قوله:

فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ [البقرة: ٣٣].

و لهذا ذهب العارف: أنّ الإنسان أعظم من الملك ، و أشرف منه لأنّ السرّ الّذي هي مخصوص به ليس للملك حظّ و لا سمع رائحته أبدا، و هاهنا أبحاث سيجيء في موضعها إن شاء اللّه.

هذا آخر بحث الكمالات المخصوصة لكلّ موجود من الموجودات العلويّة و السفليّة، و إذا عرفت هذا، و عرفت أنّ كمال الإنسان و مرتبته أعظم و أشرف في الكلّ، فاجتهد في تحصل كمالك و تكميل مرتبتك، وكن بمعزل عن غيرك و لوكان ملكا، فإنّ الإشتغال بالغير يمنعك عن الوصول إلى سعادتك العظمى و مرتبتك العليا، وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ [هود: ١٢٠].

و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، و إذا فرغنا من الأصلين المذكورين فالشروع في القواعد المذكورة واجب و هي هذه:

١-١-٣-١٠ القاعدة الأولى

في بيان الأصول الخمسة من التوحيد و العدل و النّبوّة و الإمامة و المعاد في المراتب الثلاثة الّتي هي الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و علّة حصرها فيها اعلم، أنّ غرض الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام كما سبق ذكره حيث كان إيصال الخلق إلى كمالهم المعين لهم بحسب استعدادهم و قابليتهم، و إخراجهم من ظلمات نقصهم و جهلهم بقدر الجهد و الطاقة، وكانوا عالمين بأنّ هذا لا يتيسّر إلّا بتكميل قوّتي العلم و العمل، اللذين هما عبارتان عن الأصول و الفروع، فوضعوا الأصول لتطهير بواطنهم و تكميل عقائدهم، و الفروع لتطهير ظواهرهم و تكميل

أعمالهم و أفعالهم، و أخبروا عنهما بنعمتي الظاهر و الباطن بأمر اللّه و إذنه المشار إليه في كتابه بقوله:

وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً [لقمان: ۲۰].

و قالوا بعد ذلك كلّه:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها [النحل: ۱۸].

ليعرف العبد أنّ نعم اللّه في حقّه غير قابلة للحصر في الدنيا و الآخرة.

۱-۱-۳-۱۰-۱ (في أن غرض الأنبياء طهارة الإنسان، ظاهرا و باطنا)

و بيان ذلك، و هو أنّ طهارة الباطن من نجاسة الشرك الجليّ و الخفي، و تصقيل مرآة النفس من رين الكفر و الضلال لا يمكن إلّا بالاعتقاد الصحيح بالتوحيد و العدل و النّبوّة و الإمامة و المعاد المشار إليها بقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«بني الإسلام على خمسة».

و قوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ [النساء: ۱۱۶].

إشارة إلى الشركين اللّذين هما بإزاء التوحيدين المذكورين الآتي ذكرهما مرّة أخرى من الألوهي و الوجودي المبنيّ عليهما الأصول الخمسة.

وكذلك طهارة الظاهر من نجاسة الأحداث العيني و الحكمي، و تطهير البدن و نظافته من القاذورات و النجاسات، فإنّه لا يمكن أيضا إلّا بالفروع الخمسة من الصّلاة و الصّوم و الزكاة و الحجّ و الجهاد المشار إليه بقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«بني الإسلام على النظافة».

و بقوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: ۲۲۲].

و إليهما معا أشار أمير المؤمنين عليه السّلام و قال:

«فرض اللّه الإيمان تطهيرا من الشرك، و الصلاة تنزيها عن الكبر، و الزكاة تسبيبا للرزق، و الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق، و الحجّ تقوية للدين، و الجهاد عزّا للإسلام و الأمر بالمعروف مصلحة للعوام، و النهي عن المنكر ردعا للسّفهاء، وصلة الأرحام (الرحم) منماة للعدد، و القصاص حقنا للدماء، و إقامة الحدود إعظاما للمحارم، و ترك شرب الخمر تحصينا للعقل، و مجانبة السرقة إيجابا للعفة، و ترك الزنا حفظا و تحصينا للنسب، و ترك اللواط تكثيرا للنسل، و الشهادات استظهارا على المجاحدات، و ترك الكذب تشريفا للصدق، و السلام أمانا من المخاوف، و الإمامة نظاما للأمّة، و الطاعة تعظما للإمامة» [نهج البلاغة، الكلمات القصار، الرقم في فيض

۲۴۴ و في ص ۲۵۲].

فكلّ من أراد تطهير الظاهر و الباطن على الوجه الّذي تقرّر، فعليه بالقيام بالأصول و الفروع المذكورة، و ما اشتمل عليهما في المراتب الثلاث من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، لأن أصول كلّ واحدة من أهل هذه المراتب و فروعها خلال أصول ذاك الآخر و فروعه كما ذكرناه و سنذكر إن شاء اللّه، و بناء على هذا لا بدّ أوّلا من تعيين الأصول و الفروع على مذهب الحقّ، ثم تحقيق القيام بهما، ثمّ تعيين أركانهما، ثمّ بيان انحصارهما في العدد المذكور.

۱-۱-۳-۱۰-۲ أمّا الأصول و تحقيقها على مذهب الحقّ (الأصول الخمس على مذهب الحق)

فاعلم، انّ الناس قد اختلفوا فيها اختلافا شديدا لأنّ عند البعض منهم أصول الإيمان شيئان: التصديق باللّه و بكون النبيّ صادقا، و التصديق بالأحكام الّتي يعلم يقينا أنّه صلّى اللّه عليه و آله حكم بها دون ما فيه اختلاف أو اشتباه، و هؤلاء البعض هم الأشاعرة.

و عند البعض الآخر ثلاث: التصديق بالقلب، و الإقرار باللسان، و العمل بالجوارح، و على هذا ذهب بعض الشيعة أيضا، و قال:

«أصول الإيمان ثلاثة: التصديق بوحدانيّة اللّه في ذاته، و العدل في أفعاله، و التصديق بنبوّة الأنبياء و إمامة الأئمّة المعصومين عليهم السّلام».

و عند البعض الآخر من الشيعة أصول الإيمان أربعة: التوحيد، و العدل، و النّبوّة، و الإمامة.

و عند المعتزلة، خمسة: التوحيد، و العدل، و الإقرار بالنبوّة، و بالوعد و الوعيد، و القيام بأمر المعروف و نهي المنكر.

و بعض متأخرين الشيعة ذهبوا إلى هذا، لكن بعبارة أخرى و هي:

أنّ اصول الإيمان خمسة: التوحيد، و العدل، و النّبوّة، و الإمامة، و المعاد، و هذا هو الحقّ في نفس الأمر و المختار عندي و أكثر المحققين من أهل اللّه.

أمّا حقيّته فلانحصاره في العدد المذكور لا غير، لأنّ صاحب الإعتقاد الصحيح و الإيمان الكامل لا بدّ له من التوحيد ليخلص من الشرك، و مع هذا التوحيد لا بد له من أن يعتقد أنّ اللّه تعالى عادل حكيم لا يفعل القبيح و لا يخلّ بالواجب حتّى تخلص من الجبر و إضافة أفعال الخير و الشرّ إلى اللّه، لأنّ ذلك يؤدّي إلى ظلمه تعالى على العباد و جلّ جنابه عن أمثال ذلك و إليه أشار أيضا بقوله:

وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصّلت: ۴۶].

و حيث إنّ هذين الاعتقادين هما موقوفان على وجود النبيّ و إظهار معجزته لبيان سقمهما و صحتهما فلا بدّ له أيضا من الإعتقاد في النبيّ و نبوّته، و الذي قال بعض النّاس: أنّ الأصول ليست موقوفة على النقل بل يكفي في حصولها العقل ليس بحسن، لأنّ العقل لوكان كاف في معرفة الدين و الأصول لكان كلّ عاقل مصيب (مصيبا) في اعتقاده و ليس كذلك، و مع ذلك لم يكن يلزمنا مذمّة البراهمة و الفلاسفة الّذين يقولون بالعقل المجرّد و لا

يلتفتون إلى النقل، نعم يعرف المكلّف الأصول بنظره العقلي بعد أن تحقّق حقيّتها و باطليّتها من النبيّ المعصوم أو الإمام، و لا يلزم من هذا، الميل إلى مذهب الإسماعيليّة، و لا إلى غيره، بل هو الحقّ في نفسه و هذا هو مذهب الأئمّة المعصومين و العلماء المتقدّمين دون متأخريهم.

و حيث إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله لا يبقى دينه و شرعه إلّا بوجود إمام كامل معصوم الّذي يحفظ شرعه و يقوم بأداء أركانه قوّة و قهرا و إرشادا و تعليما، المعبّر عنه بأولى الأمر، لقوله تعالى:

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ۵۹].

فلا بدّ له أيضا من الإعتقاد في الإمام، لأنّ النبيّ كما هو لطف في حقّ المكلّف كذلك الإمام فإنّه لطف في حقّه أيضا، فكما أنّ إرسال الرسول و النبيّ يجب على اللّه تعالى فكذلك تعيين الإمام و تمكينه يجب عليه لئلّا يلزم منه الإخلال بالواجب، و هذان الأصلان ترجع إلى اللّه و إلى تعيينه، فيكون حصولهما نقليّا لا عقليّا كما سبق، و هاهنا أبحاث كثيرة ليس هذا موضعها و هي مخصوصة بعلم الكلام من أصول الدين.

و حيث إنّ جميع ذلك ليس إلّا لدعوة الخلق إلى المعاد و إرشادهم إلى القيامة و الإخبار بالوعد و الوعيد فلا بدّ له أيضا من الإعتقاد في المعاد و ما يتعلّق به من الثواب و العقاب المعبر عنهما بالنقصان و الكمال، لئلّا يهمل في شيء من الأصول المذكورة و الفروع المعلومة الآتية ذكرها، فتكون الأصول حينئذ منحصرة في هذه الخمسة، و لا يحتاج المكلّف إلى أكثر من ذلك، و لا يجوز له الوقوف على أقلّ منه.

و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحق و هو يهدي السبيل.

هذا من حيث الأصول و أمّا الفروع فسيجيء بيانه عند بحث الفروع إن شاء اللّه.

و إذا تقرّر هذا فلنشرع في بيان كلّ واحدة من هذه الأصول في المراتب الثلاث الّتي هي الشريعة و الطريقة و الحقيقة:

۱-۱-۳-۱۰-۳ أمّا التوحيد و أقسامه

۱-۱-۳-۱۰-۳-۱ (في توحيد الأنبياء و الأولياء و بيان التوحيد الألوهي و الوجودي)

فذلك يحتاج أوّلا إلى مقدّمة ثمّ إلى تقسيمه في المراتب المذكورة.

۱-۱-۳-۱۰-۳-۱-۱أمّا المقدّمة فهي أن تعرف:

أنّ التوحيد مع كثرة أقسامه و أنواعه، كما سيجيء بيانها في موضعها بعد هذه المقدّمة مفصّلا، مشتمل على قسمين: الأوّل: توحيد الأنبياء، و الثاني: توحيد الأولياء.

أمّا التوحيد الأنبياء فهو التوحيد الألوهي الظاهر العام الّذي هو دعوة الخلق إلى عبادة إله مطلق من عبادة آلهة مقيّدة، أو إلى إثبات إله واحد و نفي آلهة كثيرة، لقوله تعالى في الأوّل:

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ [آل عمران: ۶۴].

و لقوله أيضا فيه:

أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ [ص: ۵].

و لقوله تعالى في الثاني:

قُلْ إِنَّما يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ [الأنبياء: ۱۰۸].

و لقوله:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ [محمّد: ۱۹].

وكلمة لا إله إلّا اللّه، هذا معناها، أعني نفي آلهة كثيرة و إثبات إله واحد، و يشهد به قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

«أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا اللّه».

و بهذا كان دعوة الأنبياء و الرسل من آدم إلى محمّد عليهما السّلام.

و سيجيء اثبات هذا عقلا و نقلا في المقدّمة السابعة الآخرة إن شاء اللّه.

و أمّا توحيد الأولياء فهو التوحيد الوجودي الباطنيّ الخاصّ، و هو دعوة إلى مشاهدة وجود مطلق من مشاهدة وجودات مقيّدة، أو إلى إثبات وجود واحد حقّ واجب بالذات و نفي وجودات كثيرة ممكنة بالذات معدومة في نفس الأمر لقوله تعالى:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [القصص: ۸۸].

و لقوله:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [الرحمن: ۲۶].

و لقول العارفين بأجمعهم فيه:

«ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله فالكلّ هو و به و إليه».

و بهذا كان دعوة الأولياء و الأئمة من شيث إلى المهدي عليهم السّلام كما سيجيء إثباته في موضعه أيضا.

۱-۱-۳-۱۰-۳-۱-۲ (الشرك الجليّ و الشرك الخفيّ)

و ليس غير هذين التوحيدين هناك توحيد آخر، و الدليل على حصره في القسمين، هو أنّ الشرك الّذي هو بإزاء التوحيد منحصر في الشركين:

الجليّ و الخفيّ، لأنّ الشرك إمّا أن يكون في الظاهر أو الباطن، فإن كان في الظاهر كعبادة الأصنام و الأوثان، و الحجر و المدر، و الشمس و القمر، و أمثال ذلك فهو شرك جليّ لجلائه و ظهوره بين أهل العالم المشار إليه في

قوله تعالى:

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لا حَياةً وَ لا نُشُوراً [الفرقان: ٣].

و هو بإزاء التوحيد الألوهي.

و إن كان في الباطن كمشاهدة وجود الغير و إثباته في الخارج من مشاهدة الموجودات الممكنة كالعقل و النفس، و الأفلاك و الأجرام، و العناصر و المواليد، و غير ذلك و هو الموسوم بالشرك الخفّي لخفائه بين الناس المشار إليه في قوله تعالى:

يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [يوسف: ۴۰].

و هو بإزاء التوحيد الوجودي.

و ليس غير هذين الشركين هناك شرك آخر، فتحقّق حينئذ أنّ التوحيد منحصر في التوحيدين المذكورين، وكذلك الشركين.

۱-۱-۳-۱۰-۳-۱-۳ (في أن دعوة الأنبياء كانت إلى التوحيد الألوهي، أمّا دعوة الأولياء فتكون إلى التوحيد الوجودي)

و إذا عرفت هذا فاعلم، أنّ ظهور جميع الأنبياء و الرسل عليهم السّلام لم يكن إلّا لدعوة الخلق إلى التوحيد الإلهي و الخلاص من الشّرك الجلي الّذي هو بإزائه، و ظهور جميع الأولياء و الأئمّة عليهم السّلام لم يكن إلّا لدعوة الخلق إلى التوحيد الوجودي و الخلاص من الشرك الخفي الّذي هو بإزائه.

وكلّ من توجّه إلى الإله المطلق من الإله المقيّد، و عدل عن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق و نطق بكلمة التوحيد الألوهي الّتي هي: لا إله الّا اللّه خلص من الشرك الجليّ و صار في الشريعة مسلما مؤمنا موحّدا بحسب الظاهر، و صار ظاهره و باطنه طاهرا من نجاسة الشرك الجليّ، لقوله تعالى:

إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ [التوبة: ٢٨].

و ان لم يكن كذلك يكون مشركا كافرا نجسا في الظاهر و الباطن.

وكل من توجّه إلى الوجود المطلق من الوجود المقيّد، و عدل عن مشاهدة الممكن إلى مشاهدة الواجب و نطق بكلمة التوحيد الوجودي الّتي هي: ليس في الوجود سوى اللّه، خلص من الشرك الخفي و صار في الحقيقة موحّدا عارفا محقّقا بحسب الباطن، و صار ظاهره و باطنه طاهرا من نجاسة الشرك الخفي لقوله تعالى:

وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ۱۰۶].

و ان لم كذلك يكون مشركا نجسا في الباطن دون الظاهر عند البعض، لأنّ عند بعض المحقّقين و هو أيضا نجس

في الظاهر و الباطن. و يشهد بذلك قوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ [النساء: ۴۸].

لأنّ حكمه حكم العموم و لا مخصص هناك، فكلّ من يكون مشركا، جليّا كان شركه أو خفيّا، فهو لا يكون مغفورا، و هذا في غاية الصعوبة لأنّه ما يخلص منهما إلّا القليل النادر لقوله تعالى:

وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ [سبأ: ۱۳].

و لقوله:

وَ قَلِيلٌ ما هُمْ [ص: ۲۴].

و من هذا قال العارف: إنّ الخلاص من الشرك الجليّ أسهل من الخلاص من الشرك الخفيّ، كما أن الوصول إلى التوحيد الألوهي أسهل من الوصول إلى التوحيد الوجوديّ، لأنّ صاحب الشرك الخفيّ يعد نفسه من المؤمنين الموحّدين بمجرّد توحيده الألوهي، و هو غافل عن الشرك الخفي الّذي هو محجوب به، و من هذا قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«دبيب الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء».

لأنّه كان عارفا بأنّ أكثر أمّته لا يخلصون منه، و معلوم أنّ هذا الشرك الخفيّ مخصوص بالمؤمنين و المسلمين، دون المنافقين و الكفّار، لأنّ اللّه تعالى ضمّه إلى الإيمان في قوله:

وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ۱۰۶].

و النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ضمّه إلى المسلمين من أمّته، و اجتماع الشرك الجلي و الإيمان مستحيل، فلم يبق إلّا أن يكون المراد به الشرك الخفيّ، و قد عبّر القرآن بالشرك الخفيّ بالهوى في قوله:

أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ [الجاثية: ۲۳].

لأن بالهوى يصيّر الشخص كافرا و مشركا و منافقا كما قيل:

«لو لا الهوى ما عبدت الأصنام أصلا»، و قيل: «ما عبد إلها دون اللّه أعظم من الهوى»، لأنّ من هوائه مال الكافر إلى دين آبائه و أجداده، و صار من المشركين، كما أخبر اللّه تعالى عنهم في قوله:

بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ [الزّخر: ۲۲].

و هاهنا أبحاث كثيرة و دقائق شريفة و قد سبقت بعضها أبسط من ذلك في المقدّمة الرابعة عند بحث الكلمة، و سيجيء أكثر منه إن شاء اللّه في المقدّمة السابعة المخصوصة بالتوحيد.

و إذا عرفت هذه القواعد في هذه المقدّمة على سبيل الاختصار فلنشرع إلى تخصيص التوحيد بكلّ طائفة من الطوائف الثلاث و هو هذا:

۱-۱-۳-۱۰-۳-۲ أمّا توحيد أهل الشريعة

فهو التوحيد الألوهي الّذي هو عبارة عن نفي آلهة كثيرة، و إثبات إله واحد، أو نفي آلهة مقيّدة و إثبات إله مطلق، لا مشاحّة في الإصطلاح.

۱-۱-۳-۱۰-۳-۲-۱ (في بيان التوحيد التقليدي)

و هذا التوحيد ينقسم إلى قسمين: قسم يتعلّق بأرباب التقليد منهم كالعوام و الجهلة، و قسم يتعلّق بأرباب النظر و الاستدلال كالخواصّ و العلماء.

أمّا الطائفة الأولى فطريقتهم و هي أنّهم يعتقدون في الباطن أنّ الإله واحد، لا شريك له في الإلهيّة، و لا نظير له في الوجود، ليس كمثله شيء، و هو السميع البصير، و يتمسّكون في هذا بقوله تعالى:

لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا [الأنبياء: ۲۲].

و بقوله: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ [التوحيد: ۱- ۴].

و يعتقدون أنّه حيّ، عالم، قادر، سميع، بصير، مريد متكلّم، «لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّموات و لا في الأرض» [سبأ: ۴] و هو بكلّ شيء عليم» [البقرة: ۲۹].

و يعتقدون أنّ غيره من الآلهة أصنام و أوثان لا يملكون نفعا و لا ضرّا و لا موتا و لا حياة، و عابديها كفّار مشركون ملعونين، أينما ثقفوا يجب البراءة منهم في الدنيا و الآخرة، كما أمر اللّه تعالى به في قوله:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [التوبة: ۲۳].

و لقوله:

لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ [المجادلة: ۲۲].

و هؤلاء القوم بهذا الإعتقاد يكونون في حماية الإسلام و حفظة في دار الدنيا، آمنين على أنفسهم و أموالهم و أعراضهم، و في الآخرة يكون رجوعهم إلى فضل اللّه و رحمته، فإن اللّه ذو فضل عظيم.

و قد أشار إلى هذا المعنى الشيخ الكامل أبو إسماعيل الهروي قدّس اللّه سرّه في كتابه الموسوم ب «منازل السائرين» ، و هو قوله:

«و التوحيد على ثلاثة أوجه (وجوه):

الوجه الأوّل، توحيد العامّة، الّذي يصح بالشواهد، و الوجه الثاني توحيد الخاصّة، و هو الّذي يثبت بالحقايق، و الوجه الثالث توحيد قائم بالقدم، و هو توحيد خاصّة الخاصّة.

و امّا توحيد الأوّل، فهو شهادة أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، الأحد الصمد الّذي لم يلد و لم يولد و لم

يكن له كفوا أحد، هذا هو التوحيد الظاهر الجليّ الّذي نفي الشرك الأعظم، و عليه نصبت القبلة و به وجبت الذمّة، و به حقنت الدماء و الأموال، و انفصلت دار الإسلام عن دار الكفر، و صحت به الملّة للعامّة و إن لم يقوموا بحق الاستدلال.

۱-۱-۳-۱۰-۳-۲-۲ (في بيان التوحيد النظري و الاستدلالي)

و أمّا الطائفة الثانية، فطريقتهم مع حصول هذا يكون طريقة النظر و الاستدلال، و هو أنّهم يثبتون بالدليل العقلي أنّ الإله واحد و لا يجوز أن يكون أكثر من واحد.

و بيانه و هو أنّه لوكان في الوجود إلهين مستقلّين لكان كلّ واحد منهما متميّزا عن الآخر بالذّات و مشاركا له بالصفات فليزم أن يكون كلّ واحد منهما مركّبا من جزء المباينة و جزء المشاركة، وكلّ مركّب ممكن، لأنّه محتاج إلى جزئه، و جزؤه غيره، و المحتاج إلى الغير ممكن فيكون الواجب ممكنا هذا خلف فيجب أن يكون الإله واحدا و هذا هو المطلوب.

و هؤلاء بهذا الإعتقاد يكونون في مقام التوحيد البرهاني دون العياني، و يكون لهم مرتبة النظر و الاستدلال، و يصدق عليهم أنّهم الحقّ ببعض الوجوه، و صاروا من الّذين نجوا و دخلوا الجنّة الصوريّة الموعودة في القيامة .

و قد يعبّر عن هذا التوحيد بالتوحيد الفعلي لأنّهم بالفعل يستدلّون على الفاعل و بالصنع على الصانع، و ليس لهم وراء هذا مرمى، ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [النجم: ۳۰].

يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ [الروم: ۷].

۱-۱-۳-۱۰-۳-۳ و أمّا توحيد أهل الطريقة

(في بيان التوحيد الفعلي و التوحيد الوصفي) فهم أنّهم يشاهدون بعد حصول هذا التوحيد و الوصول إليه بعين البصيرة أنّ الإله واحد، و ليس في الوجود غيره و لا فاعل سواه، لقولهم: لا فاعل إلّا اللّه و ليس في الوجود فاعل غيره، فيقطعون النظر عن الأسباب و المسبّبات، و يتّكلون عليه حقّ التوكّل، يسلمون أمرهم إليه بالكلّي، و يفرحون بما يجري عليهم منه، و يرضون به، لقوله:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ [المائدة: ۱۱۹].

و بهذا يحصل لهم مقام التوكّل و التسليم و الرضا و أمثالها لقوله تعالى:

وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً [الطلاق: ۳].

و يصلون بذلك إلى مرتبة التوحيد الوصفي بعد الفعلي و يستحقّون به درجة جنّة الصفات و مقام الرّضا الّذي هو أعلى المقامات في التوحيد الوصفي كما أشار إليه الحقّ جلّ ذكره في قوله:

وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ [التوبة: ۷۲].

و لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«الرضا باب اللّه الأعظم».

و إلى هذا التوحيد أشار الشيخ أبو إسماعيل الهروي قدّس اللّه سرّه أيضا في قوله:

«و أمّا التوحيد الثّاني، الّذي يثبت بالحقايق، فهو توحيد الخاصّة، و هو إسقاط الأسباب الظاهرة، و الصعود عن منازعات العقول، و عن التعلّق بالشواهد، و هو أن لا يشهد في التوحيد دليلا، و لا في التوكّل سببا، و لا للنجاة وسيلة، فيكون مشاهدا سبق الحقّ بحكمه و علمه، وضعه الأشياء مواضعها، و تعليقه إيّاها باحايينها، و إخفائه إيّاها في رسومها، و يحقق معرفة العلل، و تسلك سبيل إسقاط الحدث».

و الفرق بين هذا التوحيد و التوحيد المخصوص بأهل الشريعة، و هو أنّ ذلك من التوحيد العلمي المنسوب إلى العوام، و هذا التوحيد العيني المنسوب إلى الخواصّ، و الأوّل موجب للخلاص من الشرك الجليّ، و الثّاني للخلاص من الشرك الخفيّ الّذي هو الأعظم و الأصعب و بينهما بون بعيد.

أمّا الفرق بين هذا التوحيد و توحيد خاصّ الخاص من أهل اللّه، و هو أنّ التوحيد المخصوص بأهل الطريقة مبنيّ على التوكّل و التسليم و الرضا و أخواتها منوط بتحصيل المقامات و المراتب و التخلّق بأخلاق اللّه و الاتّصاف بصفاته، و هذا كلّه من باب التوحيد الوصفي الّذي يقتضي الواصف و الموصوف و الصفة، و هذا لا يخلوا من الكثرة بل هو عين الكثرة، لأنّه مشتمل على الموكّل و المتوكّل و الراضي و المرضي و أمثال ذلك، و بين الكثرة و التوحيد مباينة كلّيّة، و توحيد خاصّ الخاص مبني على الفناء المحض و الطمس الكلّي، و العبور عن جميع المقامات و المراتب و الإضافات و الاعتبارات حتّى الوجود و توابعه لقولهم:

«التوحيد إسقاط الإضافات».

و أين هذا من ذاك؟ و أين الباقي بنفسه من الفاني بربّه، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم، و ستعرف توحيدهم أبسط من ذلك في موضعه ان شاء اللّه.

و في الكتاب العزيز جلّت كلمته: علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين، إشارة إلى هذا التوحيدات الثلاث، و كذلك الإسلام، و الإيمان، و الإيقان ، و أصحاب الشمال و أصحاب اليمين، و السابق المقرّب ، و أمثال ذلك و كأنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله. إلى أهل هذه المراتب أشار بقوله:

«الدنيا حرام على أهل الآخرة، و الآخرة حرام على أهل الدنيا، و هما حرامان على أهل اللّه».

لأنّ الطائفة الاولى حيث إنّهم في مقام التقليد و مرتبة الظاهر جعلوهم من أهل الدنيا، لأنّهم ما تجاوزا عنها لحرصهم و شرّهم في طلبها، و بخلهم و شحّهم على متاعها، و:

«حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة».

مقرّر، فنسبتهم إليها يكون صحيحة واقعة، و فيهم ورد قوله تعالى:

يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ [الروم: ٧].

و الطائفة الثانية، حيث إنّهم في مقام التّحقيق و مرتبة الباطن و التّوحيد العيني، الّذي هو فوق العلمي، جعلوهم من أهل الآخرة، لأنّهم تجاوز عن الظاهر و وصلوا إلى الباطن، و شاهدوا المطلوب بعين البصيرة على ما هو عليه المشار إليه في قوله:

قُلْ هذهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي [يوسف: ١٠٨].

و الطائفة الثالثة، حيث إنّهم في مقام الفناء و مرتبة الباطن و خاصّ الخاصّ و التوحيد الذاتي، جعلوهم من أهل اللّه و خاصّته، لأنّهم تجاوزوا عن الظاهر و الباطن، أعني الملك و الملكوت و الغيب و الشّهادة، و وصلوا إلى المقصود بالذّات من الكلّ الّذي هو الحقّ تعالى، و شاهدوه، بنوره على ما ينبغي و نطقوا لما نطق العارف مثلهم و هو قولهم:

«سبحان من لا يوصل إليه إلّا به»، و طابق قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«رأيت ربّي بربّي، و عرفت ربّي بربّي».

و حيث كان سلمان من أهل هذا المقام قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في حقّه:

«إنّ الجنّة أشوق من سلمان من سلمان إلى الجنّة».

لأنّ الجنّة من الآخرة و سلمان من أهل اللّه الّذين هم فوق أهل الجنّة بمراتب كثيرة فكيف يشتاق إليها؟

لأنّ التنزّل من الأعلى إلى الأدون نقص، و فيه قال نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

«حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين».

و قد سبق بعض هذا البحث في المقدّمة الأولى، و سيجيء أكثر من ذلك في المقدّمة السابعة إن شاء اللّه.

هذا توحيد أهل الطريقة.

١-١-٣-١٠-٣-٤ و أمّا توحيد أهل الحقيقة

١-١-٣-١٠-٣-٤-١ (وحدة الشهود و وحدة الوجود)

بعد وصولهم إلى التوحيدين المذكورين، فهو أنّهم لا يشاهدون في الوجود غير اللّه و لا يعرفون في الحقيقة غيره، لأنّ وجوده حقيقيّ ذاتي، و وجود غيره عارضيّ مجازيّ في معرض الفناء و الهلاك آنا فآنا، لقوله:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [القصص: ٨٨].

و لقوله:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [الرحمن: ٢٦- ٢٧] لأنّ هذا الفناء و الهلاك ليس موقوفا على زمان و آن، كما ذهب إليه بعض المحجوبين، بل هو واقع دائما من الأزل إلى الأبد على وتيرة واحدة، لهلاك الأمواج في البحر، و فناء القطرات في المحيط، فإنّ الأمواج و القطرات و إن كانت لها اعتبارا عقليّا و تميزا وهميّا، لكن في الحقيقة ليس لها وجود أصلا لأن الوجود الحقيقيّ للبحر فقط، و الأمواج هالكة فانية في نفس الأمر، و هذا أمر معقول يعرفه كلّ عاقل، و بل أمر محسوس يعرفه كلّ ذي حسّ، و فيه قيل:

البحر بحر على ما كان في (من) قدم إنّ الحوادث أمواج و أنهار

لا تحجبنك أشكال تشاكلها عمن تشكّل فيها فهي أستار

فكما أنّ من شاهد البحر و الأمواج و القطرات على الوجه المذكور، و عرف أنّه ليس في الحقيقة وجود إلّا للبحر، و الأمواج و القطرات معدومات في نفس الأمر لأنّها ساعة فساعة في معرض الفناء و الهلاك و الزّوال، و قال ليس في الحقيقة و لا في الخارج إلّا البحر، فكذلك من شاهد الحقّ و الخلق و المظاهر على ما يقرّر و عرف أنّه ليس في الحقيقة وجود إلّا للحقّ، و الخلق و المظاهر معدومات في نفس الأمر لأنّهم آنا فآنا في معرض الزوال و الهلاك، فإنّه يجوز له أيضا أن يقول: ليس في الحقيقة و لا في الخارج إلّا الحقّ، و هذا معنى قولهم:

«الباقي باق في الأزل، و الفاني فان لم يزل»

و إليه الإشارة بقوله:

بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ [ق: ١٥].

لأنّ عند العارف، الوجود الإضافي القائم بنفس الرحمان و مدد الوجود الحقيق ساعة فساعة في معرض الزوال و الفناء و قبول الوجود مثله، و من هذا يصعب إدراكه، لأنّه في غاية الخفاء، و إلى هذا أشار أيضا و قال:

تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ [النمل: ٨٨].

و يعرف هذا من كبر الثمرة ساعة فساعة و عدم إدراك الحس ذلك الكبر و الصغر و الإعدام و الإيجاد، وكذلك في سريان الماء و تموّجه، فإنّه في كلّ ساعة يعدم و يوجد مثله بقدرة اللّه وكمال صنعه، و إليه الإشارة في اصطلاحهم أيضا و هو قولهم:

«المدد الوجودي هو وصول كلّما يحتاج إليه الممكن في وجوده على الولاء حتّى يبقى، فإنّ الحقّ يمده من النفس الرحماني بالوجود، حتّى يترجّح وجوده على عدمه الّذي هو مقتضى ذاته بدون موجده، و ذلك في التحلّل و بدله من الغذاء و التنفّس و مدده من الهواء ظاهر محسوس».

و أمّا في الجمادات و الأفلاك و الروحانيات، فالعقل يحكم بدوام رجحان وجودها من مرجّحة، و الشّهود يحكم بكون كلّ ممكن في كلّ آن خلقا جديدا، و بالجملة ليس في نظر هذا العارف الّذي شهد الحقّ أو الوجود على ما هو عليه إلّا الحقّ تعالى المعبّر عنه بالوجود تارة، و بالذات أخرى.

١-١-٣-١٠-٣-٤-٢ (ليس في الوجود سوى اللّه تعالى)

و يعضد ذلك قول جميع العارفين مثله، الّذي قالوا بالاتّفاق:

«ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله فالكلّ هو و به و منه و إليه» و هذا معنى قوله تعالى عند التحقيق:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد: ٣].

و معنى قوله:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [فصّلت: ۵۴- ۵۳].

لأنّ المحيط لا ينفكّ عن المحاط و لا المحاط عن المحيط، و المحاط عند التحقيق أسماؤه و أفعاله و أثاره، أو الوجود الإضافي الإمكاني الّذي لا حقيقة له في الخارج، فلا يكون في الخارج إلّا هو، و لهذا قال تأكيدا للأقوال المذكورة:

فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة: ۱۱۵].

لأنّ الوجه هو الذات بالاتّفاق فيكون تقديره: أينما تولّوا من الأمكنة و الجهات، ثمّ ذاته و وجوده لأنّه المحيط، و المحيط لا يكون مخصوصا بمحاط دون محاط، و لا بموضع دون موضع، و اللّه بكلّ شيء محيط، فافهم جدا مع انّه قد مرّ هذا البحث مرارا و سيجيء أيضا مرارا.

۱-۱-۳-۱۰-۳-۴-۳ (في توحيدات الثلاث الفعلي و الوصفي و الذاتي)

فالتوحيد الفعلي كما أنّه عبارة عن إسقاط كلّ فاعل و فعل عن النظر حتّى يصل صاحبه إلى الفاعل الحقيقيّ الواحد الّذي هو مصدر كلّ الأفعال، و يثبت قدمه العقليّ في التّوحيد الفعلي.

و التوحيد الوصفيّ عن إسقاط كلّ صفة و موصوف عن النظر حتّى يصل صاحبه إلى الموصوف الحقيقيّ الوحدانيّ الّذي هو منشأ كلّ صفة و موصوف، و يثبت قدمه البصيري في التوحيد الوصفيّ.

و التوحيد الذاتي المشار إليه الآن عبارة عن إسقاط كلّ ذات و وجود عن النظر حتّى يصل صاحبه إلى الوجود المطلق المحض، و الذات البحت الخاصّ الّذي هو موجد كلّ موجود، منشئ جميع الذوات، و يثبت بذلك قدمه الشهودي الروحي في التوحيد الوجوديّ الذاتيّ، و يصير به عارفا كاملا مكمّلا محقّقا، و أصلا مقام الاستقامة و التمكّن، الّذي لا مقام فوقه، المعبّر عنه في قولهم:

«ليس وراء عبّادان قرية».

و إلى التوحيدات الثلاث أشار النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في دعائه المشهور عند الخاصّ و العام و الموافق و المخالف، و هو قوله:

«اللهمّ إنّي أعوذ بعفوك من عقابك، و أعوذ برضاك من سخطك و أعوذ بك منك».

لأنّ الأوّل إشارة إلى التوحيد الفعلي، و الثاني إلى التوحيد الصفاتي، و الثالث إلى التوحيد الذاتي.

وكذلك القوم في اصطلاحهم فإنّهم قسّموا التّوحيد ثلاثة أقسام، و سمّوا صاحب القسم الأوّل بذو العقل، و صاحب القسم الثاني بذو العين، و صاحب القسم الثالث بذو العقل و العين، لأنّه الجامع لهما و الفائق عليهما، نذكره هاهنا و نختم هذا البحث عليه و هو قولهم:

«ذو العقل هو الّذي يرى الخلق ظاهرا و الحقّ باطنا، فيكون الحقّ عنده مرآة الخلق، لاحتجاب المرآة بالصورة

الظاهرة فيه احتجاب المطلق بالمقيّد.

ذو العين هو الّذي يرى الحقّ ظاهرا و الخلق باطنا فيكون الخلق عنده مرآة الحقّ لظهور (لظهوره) عنده و اختفاء الخلق فيه اختفاء المرآة بالصورة.

ذو العقل و العين هو الّذي يرى الحق في الخلق، و الخلق في الحقّ، و لا يحتجب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الوجود بعينه: حقّا من وجه، خلقا من وجه، فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد، و لا تزاحم في شهوده كثرة المظاهر أحديّة الذات الّتي يتجلّى فيها، و لا يحتجب بأحديّة وجه الحقّ عن شهود الكثرة الخلقيّة و لا تزاحم في شهودها أحديّة الذات المتجلّية في المجالي كثرتها».

و إلى المراتب الثلاث أشار الشيخ الكامل محيي الدين الأعرابي (ابن العربي) قدّس اللّه سرّه في أبيات له:

ففي الخلق عين الحقّ إن كنت ذا عين و في الحقّ عين الخلق إن كنت ذا عقل
و ان كنت ذا عين و عقل فما ترى سوى عين شيء واحد فيه بالشكل

و حيث هذا مقام شريف ليس فوقه مقام كما أشرنا إليه قال الشيخ أيضا في فصوصه:«و إذا ذقت هذا فقد ذقت الغاية الّتي ليس فوقها غاية في حقّ المخلوق، فلا تطمع و لا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذا الدرج فما هو ثمّ أصلا و ما بعده إلا العدم المحض».

رزقنا اللّه و ايّاكم الوصول إلى هذا المقام بمحمّد و آله الكرام صلّى اللّه عليه و آله.

هذا آخر بيان التوحيدات الثلاث بقدر هذا المقام بالنسبة إلى الطوائف الثلاث. و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

۱-۱-۳-۱۰-۴و أمّا العدل

۱-۱-۳-۱۰-۴-۱ (المراد من العدل الإلهي)

فالمراد بالعدل و هو أنّه تعالى لا يفعل القبيح و لا يخلّ بالواجب، و القبيح كلّ فعل ينفر العقل عنه، و لا يكون ملائما لحكمه كالكذب و الظلم و السرقة و أمثال ذلك، فإنّ العقل الصحيح ينفر عن أمثالها، و لا يحكم بها أصلا، و الواجب عليه تعالى و هو الّذي تقدّم ذكره بانّه تعالى حيث خلق الخلق وكلّفهم بتكليف يجب عليه أن يبعث إليهم أحدا من عنده، ليعلّمهم هذا التكليف، و يرشدهم إلى سواء الطّريق لقوله فيه جلّ ذكره:

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [آل عمران: ۱۶۴].

و إلّا يلزم منه الإهمال و الإجمال في التكليف و الأفعال، و الإخلال بالواجب عن الحكيم الكامل، و يؤدّي ذلك إلى نقض غرضه، و نقض الغرض على الحكيم الكامل محال، فيجب أن يبعث أحدا إليهم ليعلّمهم ذلك التكليف، و هم يقوموا به و يحصل غرضه منهم لقوله:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶].

و لقوله في الحديث القدسي:

«كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق».

۱-۱-۳-۱۰-۴-۲ (المراد من اللطف اللهي)

و هذا يسمّى لطفا كما سبق ذكره غير مرّة بأنّ اللطف هو الّذي يكون العبد به إلى الطاعة أقرب و من المعصية أبعد، وكلّ ذلك راجع إلى حكم العقل لأنّ الحسن و القبح عند أكثر العقلاء عقليّان لا نقليّان، و عند البعض بعكس ذلك أعني هما نقليّان و بينهما خلاف، فالمعتزلة و تابعيهم ذهبوا إلى أنّهما عقليّان، و الأشاعرة و تابعيهم ذهبوا إلى أنّهما نقليان، و الحقّ في طرف المعتزلة بحكم العقل الصحيح أيضا، لأنّ النقل ماله دخل في ذلك، لأنه لوكان موقوفا على النقل و الشرع، ما أقرّوا به الكفار و عبدة الأوثان لأنّ عندهم الصدق حسن و الكذب قبيح، و العدل حسن و الظلم قبيح، وكذلك جميع الأفعال المستحسنة عند العقل، و المستقبحة عنده، فإنّ أكثر العقلاء اتفقوا على أنّهما عقليان لا نقليان.

و مع ذلك كلّه، المعتزلة و تابعيهم استدلّوا عليه ببرهان عقلي غير قابل للمنع، نقرره هاهنا حتّى يتحقّق عندك صدق دعوانا و دعواهم و هو قولهم:

مرادنا في كونه تعالى عادلا و هو أنّه لا يفعل القبيح و لا يخلّ بالواجب، و هذه المسألة متفرّعة على إثبات الحسن و القبح بحكم العقل مطلقا، فنقول:

۱-۱-۳-۱۰-۴-۳ (في اثبات الحسن و القبح العقليان)

اعلم أنّ كلّ من صدر عنه فعل المكلفين من الأفعال الاختياريّة لا يخلو إمّا أن يكون صدور ذلك الفعل منافرا للعقل، أو لا يكون، فالأوّل هو القبيح، و الثاني إمّا أن يكون تركه منافرا للعقل أو لا يكون، و الأوّل هو الواجب، و الثاني إمّا أن يكون فاعله مستحقا للمدح أو لا يكون، و الأوّل هو الندب، و الثاني إمّا أن يكون فعله أولى من تركه أو لا يكون، و الأوّل هو الحسن، و الثاني إمّا أن يكون تركه أولى من فعله أو لا يكون، و الأوّل هو المكروه، و الثاني هو المباح، و ليس أفعال المكلّفين بخارج عن هذا الحصر.

و إذا ثبت هذا فلا شك أنّ بعض أفعالنا ما يكون العقل منافرا عن فعلها، كالظلم و الكذب و العبث و المفسدة و غير ذلك، و بعض أفعالنا ملائما للعقل، كشكر المنعم، و ردّ الوديعة، و قضاء الديون و غير ذلك، و العلم بذلك يجده كل عاقل من نفسه، و لا يحتاج فيه إلى شرع و لا نقل، و لهذا يعرفه المنكرون للشرائع كالكفار الأصليّة و البراهمة و عبدة الأوثان، كما يعرفه المليّون و أرباب الأديان و الشرائع، و من أنكر ذلك فهو جاهل مكابر، لا يستحقّ الخطاب.

و حيث تقرّر هذا فلنشرع في بيانه بالنسبة إلى الطوائف الثالث.

۱-۱-۳-۱۰-۴-۴ أمّا عدل أهل الشريعة

(في نفي الظلم و القبيح عن فعل اللّه سبحانه و تعالى) فجميع ما مرّ في هذا الباب، و بوجه آخر، هو أنّه تعالى لا يفعل القبيح و لا يخلّ بالواجب لأنّه إذا كان عالما بقبح القبيح و عالما باستغنائه عنه فعلمه دائما يصرفه عن فعله و لا يدعوه الدّاعي إليه لاستغنائه، و مع عدم الداعي و وجود الصارف يستحيل أن يصدر أمثال هذه الأفعال

عن القادر المختار، فثبت أنّه تعالى لا يفعل القبيح البتّة، و لا يخلّ بالواجب.

و إذا ثبت أنّه تعالى لا يفعل القبيح، فكلّ ما صدر من أحداث العالم و ما فيه من خلق الحيوانات الموذية، و النبات المضرّة، و السموم القاتلة، و غير ذلك من التكاليف الشّاقّة، و تعذيب بعض الحيوان بلا سبب معلوم و أمثاله، يكون حسنا، وكلّ ما يصدر في العالم من الظلم و القبح و الكذب و الفساد و غير ذلك، إنّما يصدر عن غيره لا عنه، و لا يريد شيئا من القبائح أصلا، لأنّ إرادة القبيح قبيحة، و إلى عدم إرادة القبيح و عدم صدوره عنه قال:

وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ [الأعراف: ٢٨- ٣٠].

و هذه الآيات من أعظم الدلالات على صدق ما قلناه، و قد سبق الكلام في هذا المعنى مبسوطا في المقدّمة الأولى عند بيان المتشابهات سيّما قوله:

وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَ أَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً [النساء: ٧٨- ٨٠].

فإنّ هذه الأقوال تشهد بانّ الأفعال القبيحة من العبد، و الأفعال الحسنة أيضا منه، لكن بتوفيق اللّه و هدايته، لأنّ المدح و الذّم فيهما راجعان إليه لا إلى غيره، و على جميع التقادير ليس هناك قول يدلّ على ظلمه تعالى، و صدور الأفعال القبيحة عنه، و هذا هو المراد بالعدل عند أرباب الشريعة بحكم العقل و النقل المطابق لقوله أيضا:

مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصّلت: ۴۶].

۱-۱-۳-۱۰-۴-۵ و أمّا عدل أهل الطريقة

(في أنّ العدل هو إعطاء كلّ شيء حقّه حسب ما هو مستعدّ له و تقتضي قابليّته من الوجود و الكمال) فالعدل عندهم بعد رسوخهم في هذا الاعتقاد، و هو أنّ اللّه تعالى أعطى كلّ شيء ما أعطى من الحقائق و الكمالات و الطبائع و الغرائز و الأحوال و الأفعال، بمقتضى العدل و القسط من غير حيف و ميل و تقصير و إهمال لأنّه الجواد المطلق، و الجواد المطلق ما يجود على القوابل و المستعدّين إلّا على الوجه الأتمّ و إلّا لا يكون جوادا، و إلى هذا أشار بقوله:

رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى [طه: ۵۰].

وكذلك بقوله:

وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها [إبراهيم: ۳۴].

و معناه على ما مرّ مرارا، أي آتاكم من كلّ ما سألتموه في الأزل بلسان استعدادكم و قابليّاتكم من غير زيادة و نقصان، و إن تعدّوا نعمة اللّه لا تحصوها، أي و إن تعدّوا هذه النعمة الّتي أنعم بها عليكم ظاهرا و باطنا بقوله:

وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً [لقمان: ۲۰].

لم تقدروا عليها و لا على إحصائها فإنّها غير قابلة للحصر و العدّ، و قوله:

قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [التوبة: ۵۱].

بيان لهذا المعنى و تأكيد بأنّ كلّ فعل يصدر منه لا يكون إلّا بمقتضى العدل و الحكمة و القسط فيجب على العبد أن يتّكل و يعتمد على أفعاله و أقواله، و لا يتحرّك إلّا بأمره و إشارته من غير التفات إلى غيره كما قال أيضا:

أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ [الزمر: ۳۶].

و قال:

وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً [الطلاق: ۳].

و من هذا ثبتت قدمهم في مقام الاستقامة و التمكّن دائما، أي قدم أهل الطريقة و أرباب العرفان في مقام التوكّل و التسليم و الرضا و أمثال ذلك كما أشار إليه بقوله:

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ [إبراهيم: ۲۷].

و لا يمكن التجاوز عنه، لأنّ كلّ شخص يعرف أن الحكيم الكامل في ذاته، العالم بجميع الأشياء قبلها و بعدها، لا يفعل إلّا بمقتضى علمه و حكمته و لا يصدر منه شيء خلاف الواقع، لا بدّ و أن يتّكل عليه و يرضى بفعله، حسنا كان ذلك الفعل أو قبيحا، لأنّ مقام الرضا و التسليم و العلم بعلم ربّه، و أنّه عالم بحقائق الأشياء كلّها يقتضي هذا، و من حيث إنّ هذا الرضا موجب لرضاء ربّه عنه أشار الحقّ تعالى في قوله و قال:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ [البيّنة: ۸ و ۷].

و لهذا ورد في أوليائه الّذين هم في هذا المقام أعني مقام الرضا و التسليم و التوكّل و عدم الالتفات إلى الماضي و المستقبل، و قلّة التعلّق بالأمور الدنيويّة، الّتي تكون هي موجبة للحزن و الخوف، أي الحزن على ما فات و الخوف على ما سيجيء، أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس: ۶۲].

لأنّهم فارغين عن الهمّ و الحزن بالأمور الماضية و الآتية لعلمهم بعلم ربهم، و أنّه ما يفعل شيء إلّا على الوجه الّذي ينبغي، و من هذا قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

وجدت الزهدكلّه في كلمتين من القرآن و هو قوله تعالى:

لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ [الحديد: ٢٣].

لأن المراد تساوي الحالين في جميع الحالات من المحبوبات و المكروهات و الملايم و غير الملايم و قد أشار إلى هذا في بعض أقواله في هذا المعنى أبسط من ذلك، و هو قوله:

«اعلموا علما يقينا أنّ اللّه لم يجعل للعبد-، و إن عظمت حيلته، و اشتدّت طلبته، و قويت مكيدته،- أكثر ممّا سمّي له في الذكر الحكيم.

و لم يحل بين العبد في ضعفه و قلّة حيلته، و بين أن يبلغ ما سمّي له في الذكر، و العارف لهذا و العامل به أعظم النّاس راحة في منفعة، و التارك له الشاكّ فيه أعظم النّاس شغلا في مضرّة. و ربّ منعم عليه مستدرج بالنّعمى، و ربّ مبتلى مصنوع بالبلوى! فزد أيّها المستنفع في شكرك، و قصّر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك» [نهج البلاغة: الحكمة (فيض) ٢٦٥ و (صبحي) ٢٧٣].

و ورد (هذا) الكلام برهان قاطع على صدق جميع ما قلنا في هذا الباب. و ورد عن ابن عباس رضي اللّه عنه انّه قال:

كنت رديف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال:

«يا غلام، (أو يا غليم)، أو يا بنيّ! ألا أعلّمك كلمات ينفعك اللّه بهنّ»، قلت: بلى يا رسول اللّه قال:

«احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده أمامك، و تقرّب (تعرّف) إلى اللّه في الرخاء يقربك (يعرفك) في الشدائد، و إذا سئلت فاسئل اللّه، و ان استعنت فاستعن باللّه، فقد جفّ القلم بما هوكائن الى يوم القيامة، فلو أنّ الخلايق أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه اللّه عليك، لم يقدروا عليه، و إن أرادوا أن يضرّوك بشيء لم يقضه اللّه عليك لم يقدروا عليه، و اعمل للّه بالشكر و اليقين، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل و إن لم تستطع فاصبر، و أعلم أنّ في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، و أنّ النصر مع الصبر، و أنّ الفرح مع الكرب و أنّ مع العسر يسرا».

و معلوم أنّ الشخص ما يتمكّن من هذا بشيء إلّا إذا صار عالما بما سبق ذكره من سبق علم اللّه بالأشياء قبلها و بعدها، و صدور الأفعال منه تعالى على مقتضى العلم و الحكمة.

و جاء في الآثار أيضا: أنّ جابر عبد اللّه الأنصاري رحمة اللّه عليه الّذي كان من كبار الصحابة، ابتلى في آخر العمر بضعف الهرم و العجز، فزاره محمّد بن علي الباقر عليه السّلام، فسأله عن حاله، فقال: أنا في حالة أحبّ فيها الشخوخة على الشباب، و المرض على الصحّة، و الموت على الحياة، فقال الباقر عليه السّلام:

«أما أنا (يا جابر) فإن جعلني اللّه سبحانه شيخا أحبّ الشيخوخة، و إن جعلني شابا أحبّ الشيبوبة، و إن أمرضني أحبّ المرض، و إن شفاني أحبّ الشفاء (و الصحة)، و إن أماتني أحبّ الموت، و إن أبقاني أحبّ البقاء».

فلما سمع جابر هذا الكلام منه قبّل وجهه و قال: صدق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فإنه قال لي:

«أنّك ستدرك ولد من أولادي اسمه اسمي يبقر العلم (أبقرا) كما يبقر الثور الأرض، و لذلك سمّي باقرا، أي

باقر علم الأوّلين و الآخرين».

۱-۱-۳-۱۰-۴-۵-۱ (في بيان التفاوت بين الصبر و الرضا)

و يعلم من هذا الكلام الّذي سبق في بيان مقامات العارفين أنّ جابرا كان في مرتبة الصبر، و محمّد الباقر عليه السّلام كان في مرتبة الرضا، و الفرق بينهما ظاهر.

و بالجملة هذه المراتب لا تحصل إلّا بعلم العبد بربّه أنّه عالم بحاله و بحال جميع المخلوقات أزلا و أبدا، و أنّه عادل في أفعاله و أحواله، منزّه عن الظلم و التعدّي على نفسه و على غيره، كما قال:

إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [يونس: ۴۴].

و إذا عرفت هذا فعليك بتحصيل هذا الإعتقاد، ثمّ بتحصيل المقامات اللازمة له ممّا مرّ ذكرها.

و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، هذا عدل أهل الطريقة و اعتقادهم في الحقّ تعالى ذكره.

۱-۱-۳-۱۰-۴-۶ و أمّا عدل أهل الحقيقة

(تطابق الوجود العلمي و الخارجي و بالعكس) بعد رسوخهم في العدلين المذكورين، فهو أنّ اللّه عادل في إعطاء وجود الموجودات، كما هو عادل في إعطاء أخلاقهم و أوصافهم، بعد النظر إلى استعدادهم الذاتي و قابليّاتهم الجبليّة، و ذلك لأنّ كلّ موجود فرض في العالم أو لم يفرض، له تعيّن و تحقّق في علم ربّه قبل أن يوجد في العين و الخارج، و الوجود له تابع لوجوده العلمي، فيجب عليه تعالى حينئذ إعطاء وجود ذلك الموجود العلمي الأزلي المعدوم في الخارج الموجود في العلم، على ما هو عليه في تحقّقه و تعيّنه في علمه، لا أزيد و لا أنقص، لأنّه لو أعطي وجوده بخلاف ذلك لكان ظلما فاحشا، لأنّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، و هذا غير جايز منه لأنّه عادل في فعله و قوله، مقسط في إعطائه و صنعه كما سبق ذكره، فيجب أن يعطي وجود كلّ موجود على ما هو عليه في نفسه من غير تفاوت من الزيادة و النقص، و هذا هو العدل الحقيقي، لأنّ العدل هو وضع الشيء في موضعه بعكس الظلم.

و هاهنا أبحاث كثيرة و أسرار دقيقة قد بسطنا الكلام فيها في المقدّمة الأولى عند بحث المشيئة و الإرادة و العلم و الأمر، و غير ذلك.

و نقل كثير ورد في هذا الباب، منها ما سبق من قوله تعالى:

وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ [ابراهيم: ۳۴].

لأنّه يقول: و آتاكم من كلّ ما سألتموه في الأزل عند الوجود العلمي ليطابق الأزل الأبد، و الوجود العلمي الوجود الخارجي.

و منها ما سبق أيضا من قوله:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ [الإسراء: ۸۴].

لأن هذا شاهد عدل على صدق هذه الدعوى، لأنّه يقول: «قل كلّ يعمل على شاكلته»، أي كلّ يعمل على شاكلته الظاهرة و صورته الحسّيّة مطابقا لما في شاكلته الباطنة و صورته المعنويّة، و من هذا قال:

فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ [الأنعام: ۱۴۹].

على عباده، أي فللّه الحجّة البالغة عليهم بأفعالهم الصادرة منهم على مقتضى ذواتهم و ماهيّاتهم، و إعطائهم الوجود مطابقا لتلك الماهيّات و الذوات.

و منها، ما سبق من قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«كلّ ميسّر لما خلق له».

و قد سبق معناه مرارا. وكذلك سؤال داود عليه السّلام حين قال:

يا ربّ لما ذا خلقت الخلق، قال: لما هم عليه.

أي لما هم عليه من القابليّات و الاستعدادات.

و على هذه التقادير لا يكون لأحد لسان اعتراض و إقامة حجّة على اللّه تعالى بأنّك لم خلقتني كذا وكذا، بأنّ اللّه تعالى يجيبه بلسان الحال: بأن ما أعطيت وجودك إلّا على قدر قابليّتك و استعدادك، و قابليّتك و استعدادك من اقتضاء ذاتك و ماهيّتك لا منّي، لأنّي فاعل و أنت قابل، و قابليّة القابل لا يكون من الفاعل، بل وجوده مطابقا لماهيّته و قابليته، فأنت حينئذ تعرض على قابليّتك و استعدادك لا عليّ، لأنّ الفاعل ليس له تصرّف في القابل إلّا على قدر قابليّته و إعطائه الوجود على ما هو عليه من حيث القابليّة.

و إن قلت: بالعلم و إنّي كنت عالما بك فالعلم ليس له تصرّف في المعلوم حتّى يرد هذا و المطابقة شرط بين العلم و المعلوم، لأنّ العلم تابع للمعلوم، فالتابع لا يكون عالما بالمتبوع إلّا على الوجه الّذي هو عليه من معلوميّته، فحينئذ ما أعطيت وجودك إلّا على الوجه الّذي كنت عالما بك و بماهيّتك على مقتضى قابليّتك، و أنا حكيم عادل عالم كامل لا يصدر منّي شيء إلّا على الوجه الّذي ينبغي و قولي:

لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ۲۳].

إشارة إلى هذا، و مرادي إنّي عالم، حكيم و لا يسأل عن فعل العالم الحكيم، و لكن هم يسألون من جهلهم بحقائق الأشياء و قدرتهم على وضع كلّ شيء موضعه، و أنت لوكنت مثلي عالما بحقائق الأشياء كلّها قبلها و بعدها، ما كنت ممّا يسأل عن فعله، و أنا العالم الحكيم الكامل فلا ينبغي أن يسأل عن فعلي أصلا، لأنّي ما أفعل شيئا إلّا بمقتضى علمي و حكمتي و على الوجه الّذي ينبغي، و من هذا قلت:

لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ [سبأ: ۳].

و هو قولي:

وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ [يونس: ۶۱].

و قولي أيضا:

ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الأنعام: ۹۶].

يشهد بهذا كلّه فارجع إليه و تدبّر فيه، فإنّه ينفتح عليك أسرار هذا المعنى بأسرها من غير مانع لقولنا أيضا:

اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ [العلق: ۳- ۵].

و لقولي:

الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ [الرحمن: ۱- ۴].

و بالجملة هاهنا أبحاث كثيرة موقوفة على بحث المشيئة و الإرادة و العلم و الأمر، و أنّ الحقائق و الماهيّات بجعل الجاعل أم لا، و أنّ قابليّة الأشياء من اللّه أو من غيره، و أنّ القابل عين الفاعل أو غيره أو هما شيء واحد، و أمثال ذلك، و قد سبق ذكره مبسوطا في المقدّمة الأولى و العود إلى ما سبق غير مستحسن فارجع إليه تظفر به، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

۱-۱-۳-۱۰-۵ و أمّا النبوّة

فهي على الإطلاق عبارة عن قبول النفس القدسي حقايق المعلومات و المعقولات عن اللّه تعالى بواسطة جوهر العقل الأوّل المسمّى بجبرئيل تارة، و بروح القدس أخرى، و الرسالة تبليغ تلك المعلومات و المعقولات إلى المستفيدين، و التابعين لذلك النبيّ و الرسول.

۱-۱-۳-۱۰-۵-۱و أمّا عند أهل الشريعة

۱-۱-۳-۱۰-۵-۱-۱ (تعريف النّبوّة عند أهل الشريعة)

فالنّبي إنسان مبعوث من اللّه تعالى إلى عباده ليكملهم بأن يعرّفهم ما يحتاجون إليه من طاعته، و يعلّمهم ما يجترحهم عن معصيته، و تعرف نبّوته بثلاثة أشياء:

أوّلها، أن لا يقرّر ما يخالف ظاهر العقل، كالقول بأنّ الباري أكثر من واحد.

و الثاني، أن يكون دعوته للخلق إلى طاعة اللّه و الاحتراز عن معصيته.

و الثالث، أن يظهر منه عقيب دعوى النّبوّة معجزة مقرونة بالتحدّي مطابقة لدعواه.

۱-۱-۳-۱۰-۵-۱-۲ (في معنى المعجزة و الكرامة)

و المعجز: كلّ فعل خارق للعادة يعجز عن أمثاله البشر، و التحدّي هو أن يقول النبيّ لأمّته: إن لم تقبلوا قولي فافعلوا مثل هذا الفعل أو بالعكس، أعني تقول أمّته هذا القول بعينه معارضة له مثل ما قالوا لنبيّنا: افعل كذا وكذا حتّى نصدّق بنبوّتك، كشقّ القمر و إنطاق الحجر و غير ذلك من المعجزات، و الفعل الّذي يظهر من أحد على غير التحدّي و التعارض يسمّى بالكرامة و هو المختصّ بالأولياء، كما أنّ المعجزة مختصّة بالأنبياء.

۱-۱-۳-۱۰-۵-۱-۳ (الهدف من بعثة الأنبياء)

و العلّة في بعثة هذا النبيّ و الرسول و هي أنّ اللّه تعالى حيث غرضه من خلق العبيد إيصالهم إلى كمالهم المعيّن لهم في الأزل لمقتضى ذواتهم و ماهيّاتهم، وجب عليه بعثة هؤلاء ليعلّمهم كيفيّة التكليف و العبادة و المعرفة، ليحصل به غرضه، و بيان ذلك و هو:

أنّه تعالى إذا أمكنهم بسبب كثرة حواسّهم و قواهم، و اختلاف دواعيهم و آرائهم وقوع الشرّ و الفساد، و وقوع الخير و الصلاح، فيجب عليه بعثة أحد إليهم ليبيّنهم على كيفيّة معاشرتهم و حسن معاملتهم و انتظام أمور معاشهم و معادهم الّتي تسمّى شريعة، و هذا اللطف الواجب عليه المتقدّم ذكره، و حيث إنّ اللّه تعالى غير قابل للإشارة الحسيّة، و ليس لكلّ أحد قوّة أخذ هذا المعنى منه تعالى، و تعليم هؤلاء العباد بغير واسطة ممتنع، فيجب عليه تعيين طائفة من الرسل يكون بينه و بينهم مناسبة ليأخذوا منه و يوصلوا إلى عبيده التابعين، و هذا النبيّ أو الرسول بعد تخلّقه بأخلاق اللّه و الاتّصاف بصفاته يجب أن يكون معصوما من الصغائر و الكبائر من أوّل عمره إلى آخره ليحصل الوثوق بقوله و فعله كما قالوا:

امتناع وقوع القبائح و الإخلال بالواجبات عن الرسل على وجه لا يخرجون عن حدّ الإختيار، لئلّا ينفر عقول الخلق عنهم، و يثقون بما جاءوا به، لطف، و اللطف واجب عليه تعالى ، و يسمّى عصمة، فالرسل يجب أن يكونوا معصومين من الخطأ و الزلل.

وكلّ مبعوث من حضرته إلى قوم لم يقابل بأمر خارق العادة، خال عن المعارضة، مقرون بالتحدّي موافق لدعواه، لم يكن لهم طريق إلى تصديقه، و يسمّى ذلك معجزا، فظهور معجزات الرسل واجب بالضرورة لئلّا تبطل بعثتهم و يحصل غرض اللّه منهم، فافهم جدّا، و إليه الإشارة بقوله تعالى:

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [آل عمران: ۱۶۴].

هذا ما عند أهل الشريعة في النبيّ و الرسول و النّبوّة و الرسالة بقدر هذا المقام، و اللّه أعلم و أحكم.

۱-۱-۳-۱۰-۵-۲و أمّا عند أهل الطريقة

۱-۱-۳-۱۰-۵-۲-۱ (تعريف النّبوّة عند أهل الطريقة)

(و تعريف النبوّة لإنبائي و التشريعي) فالنبوّة عندهم بعد رسوخهم في الطريقة المذكورة اعتقادا و تصديقا هي الإخبار عن الحقائق الإلهيّة و الأسرار الربانيّة، مترتبا على تحقيق أسمائه و صفاته و أفعاله، و هي على قسمين: نبوة التعريف و نبوّة التشريع.

فالأولى هي الإنباء عن معرفة الذات و الأسماء و الصفات، و الثانية جميع ذلك مع تبليغ الأحكام، و التأديب بالأخلاق، و التعليم بالحكمة، و القيام بالسياسة، و يخصّ هذه بالرسالة، و بيان ذلك على سبيل التفصيل و البسط و هو أن نقول:

۱-۱-۳-۱۰-۵-۲-۲ (في أنّ النبيّ هو الحاكم بين الأسماء و المظاهر)

اعلم أنّ للحقّ تعالى ظاهرا و باطنا، و الباطن يشمل الوحدة الحقيقيّة الّتي للغيب المطلق، و الكثرة العلميّة حضرة

الأعيان الثابتة، و الظاهر لا يزال مكتفيا بالكثرة لا خلو له عنها، لأنّ ظهور الأسماء و الصفات من حيث خصوصيّتها الموجبة لتعدّدها لا يمكن إلّا أن يكون لكلّ منها صورة مخصوصة فيلزم التكثّر، و لمّا كان كلّ منها طالبا لظهوره و سلطنته و أحكامه حصل النّزاع و التّخاصم في الأعيان الخارجيّة باحتجاب كلّ منها عن الإسم الظاهر في غيره فاحتاج الأمر إلى مظهر حكم عدل ليحكم بينها، و يحفظ نظام العالم في الدّنيا و الآخرة، و يحكم بربّه الّذي هو ربّ الأرباب بين الأسماء بالعدالة، و يوصل كلا منها إلى كماله ظاهرا و باطنا و هو النبيّ الحقيقيّ و القطب الأزليّ أوّلا و آخرا و ظاهرا و باطنا و هو الحقيقة المحمّديّة صلّى اللّه عليه و آله كما أشار إليه بقوله:

كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين.

أي بين العلم و الجسم.

و أمّا الحكم بين المظاهر دون الأسماء فهو النبيّ الّذي تحصل نبوّته بعد الظهور نيابة عن النّبيّ الحقيقيّ، فالنّبيّ هو المبعوث إلى الخلق ليكون هاديا لهم و مرشدا إلى كمالهم المقدّر لكلّ منهم في الحضرة العلميّة باقتضاء استعددات أعيانهم الثابتة إيّاه، و هو قد يكون مشرّعا و قد لا يكون كأنبياء بني إسرائيل.

و النبوّة: البعثة، و هي اختصاص إلهيّ حاصل لعينه من التجلّي الموجب للأعيان في العلم، و هو الفيض الأقدس، و لمّا كان من المظاهر طالبا لهذا المقام الأعظم بحكم التفوّق على أبناء جنسه، فرتّب النبوّة بإظهار المعجزات و خوارق العادات مع التحدّي، لتميّز النبيّ من المتنبّي.

فالأنبياء عليهم السّلام مظاهر الذات الإلهيّة من حيث ربوبيّتها للمظاهر و عدالتها بينها.

فالنّبوّة مختصّة بالظاهر و يشترك كلّهم في الدعوة و الهداية و التصرّف في الخلق و غيرها ممّا لا بدّ منه.

في النّبوّة دائرة تامة مشتملة على دوائر متناهية متفاوتة في الحيطة التامّة كأولي العزم و المرسلين عليهم السّلام، و غير التامة كأنبياء بني إسرائيل، فالنّبوّة دائرة تامّة مشتملة على دوائر متناهية متفاوته في الحيطة، كما بيّناه قبل هذا في الدّائرة و غير الدّائرة، هذا ما عند أهل الطريقة في بحث النّبوّة و الرسالة و النبيّ و الرسول، و باللّه التوفيق.

١-١-٣-١٠-٥-٣ و أمّا عند أهل الحقيقة

١-١-٣-١٠-٥-٣-١ (تعريف النّبوّة و الخلافة عند أهل الحقيقة)

(و في أنّ حقيقة نبوّة الخاتم صلّى اللّه عليه و آله هي الروح الأعظم، و ظهرت فيها جميع أسماء الحقيقة و صفاتها) فالنّبوّة عندهم بعد رسوخهم في المرتبتين المذكورتين، و هي الخلافة الإلهيّة المطلقة، لكن لها مراتب بحسب مراتب الشخص الّذي هو مظهر تلك الخلافة، و تلك المراتب لها تعريفات قد سبقت بعضها و قد بقيت البعض الآخر نقرّره بعبارة أخرى و هي هذه:

١-١-٣-١٠-٥-٣-٢ (في أنّ نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله ذاتيّة دائمة غير منصرمة)

اعلم أنّ النّبوّة عندهم بمعنى الإنباء، و النبيّ هو المنبئ عن ذات اللّه تعالى و صفاته و أسمائه و أحكامه و مراداته، و الإنباء الحقيقيّ الذاتيّ الأوّليّ ليس إلّا للروح الأعظم الّذي بعثه اللّه إلى النفس الكليّة أوّلا ثمّ إلى

النفس الجزئيّة ثانيا لينبّئهم بلسانه العقلي عن الذات الأحديّة و الصفات الأزليّة، و الأسماء الإلهيّة، و الأحكام الجليلة، و المرادات الجسميّة.

وكلّ نبيّ من آدم عليه السّلام إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله مظهر من مظاهر نبوّة الروح الأعظم، فنبوّته ذاتيّة دائمة، و نبوّة المظاهر عرضيّة منصرمة إلّا نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله فإنّها دائمة غير منصرمة، إذ حقيقته حقيقة الروح الأعظم، و صورته صورته الّتي ظهرت فيها الحقيقة بجميع أسمائها و صفاتها، و ساير الأنبياء مظاهرها ببعض الأسماء و الصفات، تجلّت في كلّ مظهر بصفة من صفاتها و اسم من أسمائها إلى أن تجلّت في المظهر المحمّدي بذاتها و جميع صفاتها، و ختم به النّبوّة فكان الرسول صلّى اللّه عليه و آله سابقا على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة متأخرا عنهم من حيث الصورة كما قال: «نحن الآخرون السابقون».

و قال: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين».

هذا تعريف النّبوّة و النبيّ بقدر هذا المقام.

۱-۱-۳-۱۰-۵-۳-۳ (في تعريف الخلافة و الخليفة و بيان الولاية التكوينيّة له)

أمّا تعريف الخلافة و الخليفة و ذلك أيضا بعبارتهم فهو أنّهم قالوا:

لمّا اقتضى حكم سلطنة الذات الأزليّة و الصفات العليّة بسط مملكة الألوهيّة و نشر ألوية الربوبيّة بإظهار الخلايق و تسخيرها و إمضاء الأمور و تدبيرها، و حفظ مراتب الوجود و رفع مناصب الشهود، وكان مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة بغير واسطة بعيدا جدا لبعد المناسبة بين عزّة القدم و ذلّة الحدث، حكم الحكيم بتخلف نائب ينوب عنه في التصرّف و الولاية و الحفظ و الرعاية، و له وجه في القدم يستمدّ به من الحقّ تعالى، و وجه في الحدث يمدّ به الخلق فجعل على صورته خليفة يخلف عنه في التصرّف و خلع عليه جميع أسمائه و مكّنه في مسند الخلافة بإلقاء مقاليد الأمور إليه، و إحالة حكم الجمهور عليه، و تنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه و ملكوته، و تسخير الخلايق لحكمه و جبروته، و سمّاه إنسانا لإمكان وقوع الإنس بينه و بين الخلق برابطة الجنسيّة، و روابط الإنسيّة و جعل له بحكم اسمية الظاهر و الباطن حقيقة باطنة و صورة ظاهرة، ليتمكّن بهما من التصرّف في الملك و الملكوت.

و حقيقته الباطنة هي الروح الأعظم و هو الأمر الّذي يستحقّ به الإنسان الخلافة، و العقل الأوّل وزيره و ترجمانه، و النفس الكليّة خازنه و قهرمانه، و الطبيعة الكليّة عامله و هي رئيس القوى الطبيعيّة.

و أمّا صورته الظاهرة صورة العالم من العرش إلى الفرش و ما بينهما من البسايط و المركبات، و هذا هو الإنسان الكبير المشير إليه قول المحققين: «العالم إنسان كبير».

و أمّا قولهم: الإنسان عالم صغير أرادوا به نوع البشر و هو خليفة اللّه في الأرض و الإنسان الكبير خليفة اللّه في السّماء و الأرض.

و الإنسان الصغير نسخة منتخبة، و نخبة منتسخة من الإنسان الكبير بمثابة الولد من الوالد، و له أيضا حقيقة باطنة و صورة ظاهرة:

أمّا حقيقته الباطنة فالروح الجزئيّ، و النفس و الطبيعة الجزئيّتان.

و أما صورته الظاهرة فنسخة منتخبة من صورة العالم، فيها من كلّ جزء من أجزاء العالم لطيفها وكثيفها قسط و نصيب، فسبحانه من صانع جمع الكلّ في أحد أجزائه، و قول القائل:

و ما (ليس) على اللّه بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

صادق في حق الكلّ و إن أراد به شخصا معينا.

و صورة كلّ شخص نتيجة صورة آدم و حوّاء عليهما السّلام، و معناه نتيجة الروح الأعظم و النفس الكلّيّة.

و الإنسان الكبير هو مظهر الحقّ المبين، و الإنسان الصغير قد يصل إليه بفناء تعيّناته و محو تقيّداته، فيصح له حينئذ أن يقول بلسان الجمع حاكيا عن الإنسان الكبير ما يستعجم على بعض السامعين:

و إنّي و إن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

فافهم ذلك فإنّه أصل كبير يتفرّع عليه فهم كثير من الحقائق، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

هذا آخر البحث في النبوّة و الرسالة في المراتب الثلاث بقدر هذا المقام، و هذا ليس ببسط تام فيه لأنّا قد واعدناك في المقدّمة السابعة عند بحث التوحيد و ستعرف تحقيق ذلك هناك إن شاء اللّه، وكذلك عند تأويل البقرة و غير ذلك من المواضع لأنّ هذا المقام يحتاج إلى تعيين حالة الأنبياء و حالة الأولياء، و تعيين النّبوّة المطلقة المقرّرة و الولاية المطلقة و المقيّدة، و أمثال ذلك، و قد تقدّم بعض ذلك في المقدّمات في موضع الاحتياج و سيجيء تمامه في موضع قرّرناه، و الحمد للّه و نحمده.

و حيث فرغنا من بحث النّبوّة، فالشروع في بحث الإمامة واجب و هو هذا:

۱-۱-۳-۱۰-۶ و أمّا الإمامة

۱-۱-۳-۱۰-۶-۱ (تعريف الإمامة عند أهل الشريعة)

فهي على الإطلاق رئاسة دينيّة مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينيّة و الدنياويّة، و زجرهم عمّا يضرّهم بحسبهما.

۱-۱-۳-۱۰-۶-۲ و أمّا عند أهل الشريعة

۱-۱-۳-۱۰-۶-۲-۱ (في حاجة الناس الى الإمام المعصوم)

فالإمامة عندهم واجبة في الدّين عقلا و شرعا، كما أنّ النّبوّة واجبة في الفطرة و الإسلام عقلا و سمعا.

و أما الوجوب عقلا فهو أنّ احتياج الناس إلى إمام واجب العصمة يحفظ أحكام الشرع عليهم و يحملهم على مراعاة أحكامه بالوعد و الوعيد و اجراء حدود الدين، كاحتياجهم إلى نبيّ يشرع لهم الأحكام و يبيّن لهم الحلال و الحرام، و احتياج الخلق إلى استبقاء الشرع كاحتياجهم إلى تمهيده، و إذا كان إرسال النبيّ واجبا لكونه لطفا و تمكينا، كان نصب الإمام أيضا واجبا لئلّا تبطل حجة اللّه و بيّناته.

۱-۱-۳-۱۰-۶-۲-۲ (في أنّ نصب الإمام لطف من قبل اللّه سبحانه)

و بوجه آخر نصب الامام لطف و اللطف واجب عليه تعالى، فيكون نصب الإمام واجبا عليه ، و إنّما قلنا: نصب الإمام لطف، لأن اللطف هو ما عنده يختار المكلّف الطاعة، أو يكون إلى اختيارها أقرب، و لولاه لما كان ذلك مع تمكّنه في الحالين و لا يكون فيه وجه قبح.

و لا شك أنّ عند وجود الرئيس المهيب النافذ الأمر، الآخذ على يد السفيه الضعيف، المنتصف للمظلوم من الظالم، يرتفع الفسادكلّه أو أكثر، فوجب أن يكون وجوده لطفا كسائر الألطاف.

و إنّما قلنا: إنّ اللطف واجب على اللّه تعالى، لأنّ كلّما كان كذلك يجب أن يفعله الحكيم لأنّه لو لم يفعله مع بقاء التكليف لكان المكلّف غير مزاح العلّة فيكون الحقّ تعالى ناقضا لغرضه و هو عليه تعالى محال، و إذا ثبت المقدّمتان ثبت أنّ نصب الإمام واجب عليه تعالى، هذا من حيث العقل و الدلائل العقليّة.

فإمّا من حيث النقل و شواهد النقليّة فقوله تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النّساء: ۵۹].

و وجه الاستدلال به و هو أنّه تعالى أمر المكلّفين بطاعة أولي الأمركما أمر بطاعته و طاعة رسوله، و إذا كان طاعته و طاعة رسوله واجبة فوجب أن يكون طاعة أولي الأمركذلك، لأنّ حكم المعطوف حكم المعطوف عليه في الأغلب.

۱-۱-۳-۱۰-۶-۲-۳ (في أن الإمام يجب أن يكون شخصا معيّنا، معصوما)

و إذا ثبت هذا فنقول: لا يخلو إمّا أن يكون معيّنا أو غير معيّن، و الثاني باطل، و إلّا لزم الإجمال و التعطيل، و الأوّل إمّا أن يكون ذلك المعيّن جميع الأمّة أو بعض الأمّة، و الأوّل باطل بالضرورة، فبقي الثاني، فوجب أن يكون في الأمّة شخص معين معصوم لا يجوز عليه الخطأ يسمّى بأولي الأمر و هذا هو المطلوب، فيجب حينئذ أن يكون الإمامة واجبة في الدين عقلا و شرعا، خلافا لأكثر الأمّة: فإنّ أكثرهم لا يعدون الإمامة من أركان الدين و الإسلام، لقلّة دينهم و إسلامهم، و يجوّزون أن يكون هذا الشخص المسمّى بأولي الأمر سلطان من سلاطين العالم أو ملك من ملوكه موصوف بالظلم و الفسق، و لا يجوّزون أن يكون امام معصوم من أهل البيت عليهم السّلام منصوص من قبل اللّه و قبل رسوله، و لا يعرفون أن أولي الأمر إذا كان من السلاطين أو الملوك، و يكون سلطنتهم و تملّكهم قهرا و غلبة، لا يجوز عليه تعالى أن يأمر الخلق بمطاوعتهم وجوبا، لأنّ الأمر بمطاوعة الظالم أو الفاسق يكون ظلما و فسقا، تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا.

و الّذي ذهب إليه الطائفة الإماميّة بأنّ النبيّ و الإمام يجب أن يكونا معصومين، هذا علّته، لأنّهما لو لم يكون معصومين لكان يلزم من الأمر بمطاوعتهما فسق و ظلم من اللّه تعالى و جلّ جناب الحقّ ان يكون متّصفا بهما، و قد عرفت من النقل تنزيهه و تقديسه.

وكذلك من العقل، كقولهم: يجب أن يكون الإمام معصوما من جميع القبائح وكذلك النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قبل الإمامة و بعدها، لأنّ العلّة في وجوب عصمة النبيّ و الإمام واحد، و إذا كانت عصمة النّبي واجبة يجب أن يكون عصمة الإمام كذلك.

و أمّا قولهم في علّة عصمة النبيّ مطلقا فهو قولهم المتقدّم ذكره، يجب أن يكون النبيّ معصوما من القبائح كلّها صغيرها وكبيرها قبل النبوّة و بعدها، عمدا كان أو نسيانا لأنّ جواز ذلك عليه ينفر العقل عن متابعته و لا يليق بالحكيم إيجاب اتّباع من ينفر العقل عن متابعته، فيجب أن يكون معصوما من جميع القبائح.

و أيضا هذا الشخص المسمّى بأولي الأمر يجب أن يكون في زمان النبي صلّى اللّه عليه و آله معيّنا محقّقا، حتّى لا يلزم الإجمال و التعطيل و العبث من اللّه تعالى، لأنّ هذا لو لم يكن معيّنا لكان اللّه تعالى مخلّا بالواجب، و كذلك النبيّ و هذا غير جايز باتّفاق العقلاء.

و أيضا قد تقرّر أن نصب الإمام واجب عليه تعالى لأنّ الإمام يجب أن يكون معصوما و العصمة أمر خفيّ لا يطلع عليه غير اللّه، لأنّه لا يعلم الغيب إلّا اللّه فيجب عليه نصبه و تعيينه و قد عيّنه في كتابه تعيينا ظاهرا جليّا في قوله:

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ [المائدة: ۵۵].

لأنّ الزكاة في الركوع ما أعطى أحد غير أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام باتفاق أكثر المفسّرين، فيكون هو المراد بأولي الأمر، بتعيين الحقّ عليه لا غير، وكذلك بعده لا يكون إلّا أولاده المعصومون لأنّ العصمة شرط في الإمامة و الولاية، و ليس هناك أحد غيرهم يوصف بالعصمة بقول الخصم أيضا، و إليهم أشار الحقّ تعالى في قوله:

إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ۳۳].

وكذلك قوله:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة: ۵۴].

لأنّ هذا إخبار عن الاستقبال دون غيره من الأزمان، وكذلك قوله:

وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ [القصص: ۵].

لأنّ الإرث النبوي و العلم الإلهي الّذي هو الإرث لا يستحقّه أحد غيرهم، و علامة ذلك و صحّته قوله تعالى في الآية: ضعفهم عليهم السّلام في زمن المراونة و العباسيّين، و إلى الآن من كثرة الأعداء و قلة الناصر، لأنّ المهديّ عليه السّلام لو لم يكن خائفا من الأعداء لوجب عليه الظهور و إلا لكان مخلّا بالواجب و هذا لا يجوز كما هو مذكور في الكتب الكلاميّة و فيهم ورد أيضا:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي

بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون
السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [التوبة: ۱۱۱- ۱۱۲].

لأنّ استحقاق هذه الأوصاف ليس إلّا لهم عند التحقيق، و أمثال ذلك كثيرة في القرآن و الأخبار فاطلب من مظانّها، و أكثرها ذكرناها عند نسبة العلوم إليهم و نسبة الخرقة إلى تلامذتهم و مريديهم كالحسن البصري وكميل بن زياد النخعي رضي اللّه عنهما، و سيجيء الباقي منها عند بحث التوحيد إن شاء اللّه و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل هذا ما عند أهل الشريعة في الإمامة و ما يتعلّق بها.

۱-۱-۳-۱۰-۶-۳ و أمّا عند أهل الطريقة

۱-۱-۳-۱۰-۶-۳-۱ (تعريف الإمامة عند أهل الطريقة)

(و أنّ الإمام هو القطب) فالإمامة عندهم هي الخلافة من قبل اللّه، و من القطب الّذي يكون في زمانه، و الإمام عبارة عن صاحب هذه الخلافة المعبّر عنه بالوليّ، و الوليّ يكون على قسمين: قسم منهما هو الّذي يكون ولايته أزليّة ذاتيّة حقيقيّة: قسم منهما هو الّذي يكون ولايته أزليّة حقيقيّة يسمّى بالولي المطلق و هو القطب الأعظم.

و قسم آخر و هو الّذي يكون ولايته مستفادة من ذلك الوليّ المطلق أعني كسبيّة إرثيّة عارضيّة، و يسمّى بالوليّ المقيّد و هو الإمام أو الخليفة.

و القسمان ترجع إلى حقيقة نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و إلى من يكون ورثة له من أهل بيته كأمير المؤمنين و أولاده عليهم السّلام.

و هذا المقام على هذا التقدير يحتاج إلى تعيين ثلاثة أشياء: الأوّل إلى تعيين الولاية، و الثاني إلى تعيين الوليّ المطلق، و الثالث إلى تعيين الوليّ المقيّد.

۱-۱-۳-۱۰-۶-۳-۲ (الولاية هي باطن النبوّة و هي التصرّف في الخلق)

أمّا الأوّل فالولاية عندهم هي التصرّف في الخلق بعد فنائهم في الحقّ و بقائهم به، و ليست في الحقيقة إلّا باطن النبوّة الّتي ظاهرها الإنباء و باطنها التصرّف في النفوس بإجراء أحكام عليها، و حيث إنّ النبوّة مختومة من حيث الإنباء، إذ لا نبيّ بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله، فلم يبق إلّا الولاية من حيث التصرّف في النفوس أبد الآباد، لأنّ نفوس الأولياء من أمّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله حملة تصرّف ولايته يتصرّف بهم في الخلق بالحق إلى يوم القيامة بل إلى غير النهاية فباب الولاية مفتوح و باب النبوّة مسدود.

و علامة صحة الولي متابعة النبيّ في الظاهر، لأنّهما يأخذان التصرّف من مأخذ واحد إذ الوليّ هو مظهر تصرّف النبيّ فلا يتصرّف إلّا واحدا، و من هذا تكلّم بعض الأتباع عن نفسه بخصائص النبيّ صلّى اللّه عليه و آله على سبيل الحكاية فنزل نفسه من النبيّ بمنزلة الآلة من التصرّف نحو قول ابن الفارض رحمة اللّه عليه:

إليّ رسولا كنت منّي مرسلا و ذاتي بآياتي عليّ استدلّت

الى قوله:

و كلّهم عن سبق معناي دائر بدائرتى أو وارد من شريعتي

۱-۱-۳-۱۰-۶-۳-۳ (المهدي عليه السّلام هو الخاتم الولاية و قطب الأقطاب)

فكما أنّ النبوّة دائرة متألفة في الخارج من نقط وجودات الأنبياء، وكاملة بوجود النقطة المحمّديّة لأنّه مثل النبوّة

بحائط كمل إلّا موضع لبنة واحدة و هي وجوده، فالولاية أيضا دائرة متألفة في الخارج من نقط وجودات الأولياء كاملة بوجود النقطة الّتي سيختم بها الولاية، و هو محمّد بن الحسن صاحب الزمان المعبّر عنه بالمهدي عليه السّلام، كما أشار إليه بعض العارفين بعد قيام العقل و النقل و الكشف بصحته و هو قوله:

«القطبيّة الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب و هي باطن نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله فلا تكون إلّا لورثته لاختصاصه صلّى اللّه عليه و آله بالأكمليّة، فلا يكون خاتم الولاية و قطب الأقطاب إلّا على باطن خاتم النبوّة، و قال أيضا: فخاتم النبوّة هو الّذي ختم اللّه به النبوّة، و لا يكون إلّا واحدا، و هو نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله، وكذا خاتم الولاية و هو الّذي يبلغ به صلاح الدنيا و الآخرة نهاية الكمال، و يختلّ بموته نظام العالم و هو المهدي عليه السّلام الموعود في آخر الزمان».

۱-۱-۳-۱۰-۶-۳-۴ (في معنى آخر للولاية)

(الوليّ المطلق هو عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و الولاية المطلقة تختصّ له عليه السّلام) أنّ الولاية هي قيام العبد بالحقّ بعد (عند) الفناء عن نفسه، و ذلك بتولّي الحقّ إيّاه حتّى بلغه غاية مقام القرب و التمكين، و الواليّ من تولّي الحقّ أمره و حفظه عن العصيان و لم يخله و نفسه بالخذلان حتّى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال قال اللّه تعالى:

وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ [الأعراف: ۱۹۶].

و قال:

أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ [يوسف: ۱۰۱].

و الشيخ الأعظم قدّس سرّه قد فصّل الولاية تفصيلا، و قد قسّم لها تقسيما، و أوضح من ذلك كلّه، و ذلك قوله:

«اعلم أن الولاية تنقسم بالمطلقة و المقيّدة ، أي العامّة و الخاصّة، لأنّها من حيث هي هي صفة إلهيّة مطلقة، و من حيث استنادها إلى الأنبياء و الأولياء مقيّدة، و المقيّد متقوّم بالمطلق، و المطلق ظاهر في المقيّد، فولاية الأنبياء و الأولياء كلّهم جزئيّات الولاية المطلقة، كما أنّ نبوّة الأنبياء جزئيّات النبوّة المطلقة».

و النبوّة المطلقة ليست إلّا للحقيقة المحمديّة من حيث الظاهر، و الولاية المطلقة إلّا لباطنها من حيث الباطن، لكن ظهور ولايته المطلقة مخصوصة بورثته المقيّدة من أولاده و أهل بيته من الأئمّة المعصومين عليهم السّلام كما بيّناه عند بحث انتساب العلم إليهم.

فالنبوّة المطلقة كما هي مخصوصة به و بحقيقته بالأصالة، و بعده بالأنبياء و الرسل الّذين كانوا من مظاهره من آدم إلى عيسى عليه السّلام بالإضافة.

فالولاية المطلقة يكون مخصوصة بعلي بن أبي طالب عليه السّلام و بحقيقته بالوراثة الحقيقيّة الأزليّة الذاتيّة، و بعده بأولاده المعصومين عليهم السّلام بالإضافة إلى أن يختمها اللّه بالمهديّ عليه السّلام.

و عند الشيخ الولاية المطلقة مخصوصة بعيسى عليه السّلام، و الولاية المقيّدة بنفسه هو، كما ذكره في الفتوحات و الفصوص، و ليس الأمر كذلك كما أثبتناه و بيّناه في المقدّمات و سنبيّنه في تأويل البقرة و غيرها.

و علّة تخصيص الولاية المطلقة بعلي عليه السّلام بعد قيام العقل و النقل و الكشف بصحته كما هو مذكور في مواطنه: قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، ثمّ قول الشيخ الأعظم في مواضع شتّى.

و أمّا قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فالذيّ ورد عنه بإسناد صحيح عند الأخطب و الحنبل وكثير الصحابة أنّه قال:

«خلق اللّه تعالى روحي و روح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق آدم بألفي ألفي عام».

۱-۱-۳-۱۰-۶-۳-۵ (في قول الشيخ الأكبر بأنّ علي بن أبي طالب عليه السّلام سرّ الأنبياء)

و أمّا قول الشيخ فالّذي ذكره في فتوحاته بعد بحث طويل فيه و هو قوله مشيرا إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«وكان سيّد العالم بأسره، و أوّل ظاهر في الوجود، وكان وجوده من ذلك النور الإلهي، و من الهباء، من الحقيقة الكلّيّة، و في الهباء وجد عينه، و عين العالم تجليه (من تجلّيه)، و أقرب الناس إليه علي بن أبي طالب و أسرار الأنبياء أجمعين».

و هاهنا أبحاث و أسرار يحتاج إلى بسط عظيم حاصلها ما سبق ذكرها و ستعرفها أكثر من ذلك إن شاء اللّه.

و أمّا الثاني و الثالث من التقسيم المذكور أعني تعيين خاتم الأولياء مطلقا بالولاية المطلقة، و تعيين خاتم الأولياء مقيّدا بالولاية المقيّدة، فذلك يعرف من الأبحاث المذكورة الآن، و يحتاج إلى بسط و تفصيل مرّة أخرى. فالوليّ و الإمام عند أهل الطريقة هو الوليّ المقيّد و الإمام التابع للوليّ المطلق، كما أنّ النبيّ عندهم هو النبيّ المقيّد و الرسول التابع للنبيّ المطلق، و هذا هو المقصود من هذا البحث ليطابق ترتيب الولاية، و ترتيب المطلق ترتيب المقيّد.

و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، هذا ما عند أهل الطريقة في الإمام و الوليّ.

۱-۱-۳-۱۰-۶-۴ و أمّا عند أهل الحقيقة

۱-۱-۳-۱۰-۶-۴-۱ (تعريف الإمام عند أهل الحقيقة و أنّ عليه يكون مدار الوجود)

فالإمام و الوليّ عندهم الإمام الأعظم و الوليّ المطلق المعبّر عنه بالقطب و إمام الأئمّة الّذي يكون عليه مدار الوجود و قيام الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و إليه مراتب الكلّ من النبيّ و الرسول و الولي، و إليه أشار الشيخ الأعظم قدّس سرّه في فصوصه (فصّ شيثي) بعدكلام طويل بقوله:

«و ليس هذا العلم إلّا لخاتم الرسل، و خاتم الأولياء، و ما (لا) يراه أحد من الأنبياء و الرسل إلّا من مشكاة الرسول الخاتم و لا يراه أحد من الأولياء إلّا من مشكاة الوليّ الخاتم، حتّى أنّ الرّسل لا يرونه متى رأوه إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فإنّ الرسالة و النبوّة أعني نبوّة التشريع و رسالته تنقطعان، و الولاية لا تنقطع أبدا، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء؟ و إن كان خاتم الأولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه و لا يناقض ما ذهبنا إليه، فإنّه من وجه يكون أنزل، كما أنّه من وجه يكون أعلى».

و قال بعدكلام يسير بعده:

«فكلّ نبيّ من لدن آدم إلى آخر نبيّ، ما منهم أحد يأخذ إلّا من مشكاة خاتم النبيّين و إن تأخّر وجود طينته، فإنّه بحقيقته موجود، و هو قوله:

«كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين».

و غيره من الأنبياء ما كان نبيّا إلّا حين بعث، وكذلك خاتم الأولياء كان وليّا و آدم بين الماء و الطين، و غيره من الأولياء ما كان وليّا إلّا بعد تحصيله شرايط الولاية من الأخلاق الإلهيّة و الاتّصاف بها، من كون اللّه يسمّى بالولي الحميد، فخاتم الرسل من حيث ولايته، نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء و الرسل معه، فإنّه الوليّ و الرسول النبيّ (فإنّه الولي الرسول النبيّ)، و خاتم الأولياء (الوليّ) الوارث الآخذ عن الأصل الشاهد (المشاهد) للمراتب، و هو حسنة من حسنات خاتم الرّسل محمّد صلّى اللّه عليه و آله مقدّم الجماعة و سيّد ولد آدم في فتح باب الشفاعة».

و هذا الكلام بعد دلالته على وجود خاتم الأولياء و صدق جميع ما قلناه في هذا الباب، دالّ على أنّ خاتم الأولياء مطلقا أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام، لأنّه قيّده بحسنة من حسنات سيّد المرسلين، و ليس حسنة سيّد الرسل على الوجه الّذي ذكروا الشّراح في شروحهم إلّا هو.

و ستعرف إن شاء اللّه أوضح من ذلك لأن هذا أيضا يحتاج إلى بسط تامّ، و هذا المكان لا يحتمله على ما ينبغي.

و حيث عرفت بحث الإمامة من طريق الطوائف الثلاث فلنشرع في بحث المعاد الّذي هو آخر أصل من الأصول الخمسة على ما شرطناه، و باللّه التوفيق.

۱-۱-۳-۱۰-۷ و أمّا المعاد

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱ (تعريف المعاد على نحو الإطلاق)

فاعلم أنّ المعاد مطلقا عبارة عن رجوع العالم و ما فيه إلى ما صدر منه صورة و معنى في المراتب القيامات الثلاث الّتي هي الصغرى و الوسطى و الكبرى آفاقا و أنفسا.

و قدكتبنا في ذلك رسالة موسومة «برسالة المعاد في رجوع العباد»، و عيّنّا فيها إثنا عشر قيامة صوريّة و معنويّة، محتوية على الصغرى و الوسطى و الكبرى، و ترتيب ذلك و هو أن يعتبر في الآفاق ثلاث قيامات صوريّة، و ثلاث قيامات معنويّة، وكذلك في الأنفس، فيكون إثنا عشر قيامة ضرورة.

و نحن نبيّن لك تفصيل ذلك في هذا المقام اختصارا لأنّ هذا المكان لا يحتمل أكثر منه.

و إذا عرفت هذا فلنشرع فيها أوّلا من حيث الشريعة ثمّ من حيث الطريقة، ثمّ من حيث الحقيقة كما شرعنا في الأصول الأربعة المذكورة كذلك و هو هذا:

۱-۱-۳-۱۰-۷-۲ أمّا معاد أهل الشريعة

(تعريف المعاد عند أهل الشريعة) فالمعاد عندهم عبارة عن جمع أجزاء بدن الميّت و تأليفها مثل ما كان و إعادة روحه إليه، و هذا هو المعبّر عنه بحشر الأجساد، و هذا ممكن، و اللّه تعالى قادر على كلّ الممكنات و عالم

بها، و الجسم قابل للتأليف، فيكون قادرا و هو المطلوب. و بنوا على هذا مقدّمات عقليّة:

منها أنّ اللّه تعالى خلق الإنسان و أعطاه العلم و القدرة و الإرادة و الإدراك و القوى المختلفة، و جعل زمام الإختيار بيده وكلّفه بتكليف شاقّ، و خصّصه بألطاف خفيّة و جليّة لغرض عايد إليهم، و ليس ذلك إلّا نوع كمال لا يحصل إلّا بالكسب، إذ لو أمكن بلا واسطة لخلقهم عليه ابتداء، و لما كان الدنيا هي دار التكليف فهي دار الكسب يعمر الإنسان فيها مدّة يمكن تحصيل كماله فيها، ثمّ يحول إلى دار الجزاء و يسمّى دار الآخرة.

و منها أنّ الأنبياء بأسرهم أخبروا بحشر الأجساد، و هو موافق للمصلحة الكليّة، فيكون حقّا، لعصمتهم و استحالة صدور الكذب عنهم، وكذلك الجنّة و النار المحسوستان كما وعدوا به حقّ، لإمكانها و إخبار الصادق بها.

و منها ما قالوا في جواب قوم قالوا: إعادة المعدوم محال، و إلّا لزم تخلل العدم في وجود واحد، فيكون الواحد الإثنين و هو قولهم: و لمّا كان حشر الأجساد حقّا وجب أن لا يعدم أجزاء أبدان المكلّفين و أرواحهم بل بتبدّل التأليف و المزاج، و الفناء المشار إليه في قوله تعالى:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

كناية عنه.

و منها، ما قالوا في جواب قوم قالوا: حقيقة الإنسان عرض، و هو قولهم: الّذي يشير إليه الإنسان حال قوله: أنا، لوكان عرضا لاحتاج إلى محل يتّصف به، لكن لا يتّصف شيء بالإنسان بالضرورة، بل يتّصف هو بأوصاف غيره فيكون جوهرا، و لوكان هو البدن أو شيئا من جوارحه لم يتّصف بالعلم، لكنّه يتّصف به بالضرورة فيكون جوهرا عالما، و البدن و ساير الجوارح آلاته في أفعاله، و ذلك هو المسمّى بالروح في الشرع الإلهي، و مع ذلك كلّه قد أختلف النّاس فيه اختلافا شديدا:

فالدهريّة أنكروه و قالوا الإنسان ينعدم بموته، فلا يكون له عود إلى الوجود.

و القائلون بأن المعدوم شيء قالوا: بانّه ينعدم بموته ثمّ يعود إلى الوجود و حينئذ يثاب أو يعاقب، أمّا انعدامه فلقوله تعالى: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ [الرحمن: ٢٦].

و أمّا عوده فلوجوب كونه مثابا أو معاقبا في الآخرة كما أخبر به الكتاب الكريم في مواضع كثيرة.

و النّفاة القائلون بكونه جسما قالوا: إفناؤه و هلاكه عبارة عن تلاشي أجزائه و اضمحلال أعضائه كالتركيب و غيره و إعادة جميع أجزائه و إحداث أعراض فيه مثل ما كانت قبل موته، و هذا هو الحقّ من الأقوال المذكورة عندهم.

و القول بالأجزاء الأصليّة و الحكم بالتأليف بعد التبديل، و أنّ النفس جوهر بسيط، أولى و أنسب من غيره بأنّ صاحبه يخلص من جميع الشبهات و الاعتراضات.

و أكثر هذه الدلائل منقولة من كلام خواجه نصير الدين الطوسي رحمة اللّه عليه من الفصول في الأصول و غيره، و ذكر فيه أيضا شبهة الفلاسفة و قام بجوابهم نذكرها هاهنا و نقطع هذا البحث عليها و هو قوله:

«قالت الفلاسفة: حشر الأجساد محال، لأنّ كلّ جسد اعتدل مزاجه و استعدّ، استحقّ فيضان النفس من العقل الفعّال، فلو اتّصف أجزاء بدن الميّت بالمزاج لاستحقّ نفسا من العقل، و أعيد إليه نفسه الأولى على قولكم فيلزم اجتماع نفسين على بدن واحد و هو محال و نحن لمّا أثبتنا الفاعل المختار و أبطلنا قواعدهم لم نحتاج إلى جواب هذه الهذيانات».

و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، هذا ما عند أهل الشريعة في المعاد.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۳ و أمّا معاد أهل الطريقة

۱-۱-۳-۱۰-۷-۳-۱ (المعاد هو عود مظاهر الأسماء بعضها إلى بعض آخر)

فالمعاد عندهم بعد اعتقادهم في المعاد المذكور عبارة عن عود مظاهر بعض الأسماء إلى مظاهر أسماء أخر، لقوله تعالى:

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً [مريم: ۸۵].

و هذا البحث يفتقر إلى بسط تامّ و قد بسطنا الكلام فيه «في رسالة المعاد» بسطا لا مزيد عليه، في وجوه خمسة، لأنّ تلك الرسالة مشتملة على وجوه عشرة، خمسة منها في المعاد الإجمالي، و خمسة في المعاد التفصيلي بعد اشتمالها على التنبيه و التتميم في أوّلها و آخرها، و على الكشف من أسرار الجنان و الجحيم و ما فيهما من الأوضاع و الأشكال، و اللّذّات و الآلام، فحينئذ نذكر هاهنا من تلك الوجوه الخمسة الإجمالية الأسمائيّة وجه واحد، يكون هوكالأسّ لبناء هذه المباحث، وكالركن لتشييد هذه القواعد و هو هذا:

۱-۱-۳-۱۰-۷-۳-۲ (في أنّ حقيقة المعاد هي رجوع المظهر إلى الظاهر و المحاط الى المحيط)

اعلم، أنّ القيامة و المعاد إجمالا عبارة عن ظهور الحقّ بصور اسمي الباطن و الآخر مع أسماء أخر، كالعدل و الحقّ و المحيي و المميت، كما أنّ الدنيا و المبدأ عبارة عن ظهوره بصورة: الظاهر و الأوّل مع أسماء أخر كالمبدئ و الموجد و الخالق و الرازق و أمثالها، و ذلك لتوفّيه حقوق كلّ اسم من أسمائه الغير المتناهية لأنّ ظهوره بصور الأسماء مطلقا المسمّى بالخلق و العالم المشار إليه في قوله:

«كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق».

لم يكن إلّا لذلك اي عن توفية حقوق كلّ أسم من أسمائه.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۳-۳ (في ظهور الأسماء و عدم تناهيها)

و قد تقرّر عند أهل اللّه و خاصته أنّ أسمائه بحسب الجزئيات و الأشخاص غير متناهية، و إن كان بحسب الكليّات و الأنواع متناهية فيجب أن يكون دائما متجليا بصور أسمائه و صفاته دنيا كان أو آخرة، و لهذا ذهب بعض العارفين إلى أنّ الدنيا و الآخرة مظهران من مظاهره، فيجب أن يكونان دائما واقعتان غير موقوفتان على زمان و آن، فإن المظاهر يستحيل رفعها عن الوجود، و المراد من ذلك ان القيامة عبارة عن تغيير عالم الظاهر و تبديله و رجوعه إلى الباطن دائما، كما أنّ الدنيا عبارة عن ظهور الباطن بصور الظاهر دائما و رجوعه إليه كذلك، لأنّ الأسماء و إن كانت كثيرة لكن لا يخرج حكمها عن هذه الأربع، و هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن.

فإنّ الأوّل و الظاهر و أخواتها من قبيل الدنيا و المرتبة المبدئيّة، و الباطن و الآخر و أخواتها من قبيل الآخرة و المرتبة المنتهائيّة.

و هذا النظر و إن كان جائزا بوجه لكن هو غير جايز بوجه آخركما ستعرفه إن شاء اللّه.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۳-۴ (لكلّ اسم من الأسماء الحسنى اقتضاء و أحكام)

و الحقّ في ذلك و الّذي نحن بصدده و هو أنّ لكلّ اسم من أسماء اللّه تعالى اقتضاء و أحكام، فالآخرة من اقتضاء الإسم القهّار و الواحد و الأحد و الصمد و الفرد و المعيد و الماحي و المميت و غير ذلك، كما أنّ الدنيا من اقتضاء الإسم الظاهر و المبدء و الأوّل و الموجد و غير ذلك، و إن كان كلّ واحد منها نفس الآخر عند التحقيق، لأنّ المغايرة في الأحكام و الأثر لا في الذات و الحقيقة.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۳-۵ (المراد بالأمر في القرآن)

و الحقّ تعالى جلّ ذكره عن هذا الإبداء و الإعادة و الظهور و البطون و العروج و النزول و الكثرة و الوحدة و الدنيا و الآخرة عبّر في القرآن الكريم:

بالأمر في مواضع، منها قوله:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ [السجدة: ۵].

و منها قوله:

تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [المعارج: ۴].

و قد ذكرنا المناسبة بين الألف و الخمسين في رسالة المعاد.

و بعض ذلك و هو: أنّ سير الكواكب السبعة بعضه بالاشتراك، و بعضه بالانفراد، فالّذي بالانفراد خاصّة و هو ألف سنة لكلّ كوكب منها، و الّذي بالاشتراك و هو ستّة آلاف سنة يحصل على الحساب الهندسي، و ضرب السبعة في السبعة تسع و أربعون سنة، تكون تكميلها بإضافة الكبيسات إليه في هذه المدّة الّتي هي الألف، فتخرج خمسين ألف سنة كاملة، و هذه تسمّى بالقيامة العظمى، و السبعة المخصوصة بكلّ (لكلّ) واحدة من الكواكب القيامة الوسطى، و الألف الخاصّ يشير الخاصّ القيامة الصغرى.

و هاهنا أسرار غير هذا و ليس هذا موضعها و لا هذا البحث له مدخل في هذا الموضع فنرجع و نقول:

اعلم، أنّ الغرض من مجموع هذه الأبحاث أن يتحقّق عندك و عند غيرك أنّ الحقّ تعالى عبّر بالأمر عن مجموع هذا العروج و النزول و الظهور و البطون و الإبداء و الإعادة لقوله أيضا غير ما سبق:

اللَّهُ الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [الطلاق: ۱۲].

و لقوله:

اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ [الرعد: ٢].

١-١-٣-١٠-٧-٣-٦ (في بيان الفرق بين الظهور الكلّي و الظهور الجزئي)

ليعلم أنّ هذا الأمر المعبّر عنه بهذا المجموع راجع إليه دائما على الوجه الّذي قرّرناه، لأنّ الدنيا و الآخرة مظهران من مظاهر الكلّيّة كالمائة و الألف بالنسبة إلى الواحد في مراتب الأعداد و ظهوره بها، فإنّ الألف و المائة من أعظم مظاهر الواحد في مراتب الأعداد، لكن ليس انحصاره في مراتب الأعداد محصورة فيهما لأنّ ظهوره في الأعداد بحسب الكلّي ينحصر في مثل هذا، و إلّا من حيث الجزئي فغير منقطع أزل الآزال و أبد الآباد، وكذلك الحقّ و مظاهره فإنّ الدنيا و الآخرة و إن كان من أعظم مظاهره لكن ليس ينحصر ظهوره فيهما، لأنّ ظهوره فيهما و في أمثالهما ينحصر من حيث الكلّي.

و أمّا من حيث الجزئي فغير منقطع أزل الآزال و أبد الآباد، و على جميع التقادير لا بدّ من رجوع المظهر إلى الظاهر في موطني الدنيا و الآخرة المشتملان على مواطن غير متناهية.

و هذا هو حقيقة المعاد لا غير، أعني رجوع المظهر إلى الظاهر و المحاط إلى المحيط و عن هذا عبّر أيضا بالتقدير و الشأن في قوله:

ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [يس: ٣٨].

و في قوله:

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [الرحمن: ٢٩].

و تقديره و هو أنّه كلّ يوم من أيّامه الألوهيّة الّتي هي خمسين ألف سنة، أو من أيّام الدنيا الّتي هي سبعة آلاف سنة في شأن من هذه الشؤون، و أمر من هذه الأمور الّذي هو استيفاء حقوق كلّ اسم من أسمائه في صورة مظهر من مظاهره و مرتبة من مراتبه في مواطن النزول و العروج و الظهور و البطون، و ذلك لأنّ الأكوان مظاهر الأفعال، و الأفعال مظاهر الصفات و الصفات مظاهر الذات (الأسماء) و الأسماء مظاهر الذات وكمالاتها الذاتيّة الغير المتناهية.

و حيث تقرّر أنّ الأفعال و الصفات و الأسماء و الكمالات غير متناهية، تقرّر أن الرجوع و العود لا يكون إلّا كذلك، لكن من حيث الجزئيّات لا الكليّات، لأنّ الجزئي مثلا إذا عاد إلى الكلّي، أو المركّب إلى البسيط، يجوز عود الجزئي إلى الكلّي و المركّب إلى البسيط مرّة أخرى من غير توهّم قدم في شيء من المحدثات و الممكنات، أو توهّم نقص في الشرعيّات و النقليات، فإن اندراج بعض الأسماء في البعض الآخر أو اندراج بعض المظاهر في البعض الآخر لا يكون سببا لذلك أصلا، «و الباقي باق في الأزل، و الفاني فإن لم يزل»، إنّ في ذلك لمن كان له قلب أو القى السمع و هو شهيد، و قوله تعالى:

ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ

إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ [هود: ۱۰۳- ۱۰۸].

برهان قاطع على صدق هذا المعنى و إثبات القيامات الثلاث على الوجه المذكور، و ما يعرف ذلك إلّا من يعرف معنى قوله:

ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ [هود: ۱۰۷].

و هاهنا أيضا أسراركثيرة لبّها و خلاصتها ما جرى ذكرها من قبل.

و إذا عرفت هذه الضوابط كلّها و تحقّقت معنى العود الحقيقي و الرجوع الكلّي الأسمائي.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۳-۷ (في مراتب الأسماء الحسنى و أحكامها)

فاعلم، أنّ للأسماء الإلهيّة أحكاما و آثارا، أولها أيضا دول و دورات، و ابتداء و انتهاء.

و بيان ذلك مفصّلا و هو: أنّ العقل الصحيح يحكم بأنّ حكم الإسم الضّار غير حكم الإسم النافع، و أثر الإسم المحيي غير أثر الإسم المميت، و دولة الإسم الهادي غير دولة الإسم المضلّ، وكذلك.

الظاهر و الباطن و الأوّل و الآخر إلى غير ما لا يتناهى من الأسماء المتقابلة، فكما أنّ الدّنيا من اقتضاء الإسم الأوّل و الظاهر و أخواتها، فالآخرة من اقتضاء الإسم الآخر و الباطن، فكما أنّ وجود الدنيا و ظهور أحكامها كان واجبا في الحكمة الإلهيّة بمقتضى الأسماء المتعلّقة بها فكذلك وجود الآخرة و ظهور أحكامها فإنها يكون واجبة أيضا في الحكمة الإلهيّة بمقتضى الأسماء المتعلّقة بها كما مرّ ذكرها، و هذا ضابط كلّيّ يعرف منه ضوابط كثيرة، و مع ذلك كلّه نمثّل لك مثالا في هذا المعنى يسهل عليك إدراك هذا السرّ سريعا هو:

أنّ الوجود و سلطنته الحقيقيّة المعنويّة، واقعة على ترتيب السلطنة الصوريّة المجازيّة أعني كما أنّ السلطنة الصوريّة مترتبة على السلطان و الوزير و الأمير و الجنود و الرعايا و غير ذلك من التوابع، فكذلك السلطنة الحقيقيّة فإنّها أيضا مترتبة على ذلك كلّه، فالأسماء الذاتيّة كالوزير، و الصفاتيّة كالأمير، و الفعليّة كالجنود، و ما يحصل من تركيب كلّ واحد منها كالرعايا، فكما أنّ كلّ شخص من أعوان السلطنة الصوريّة فهو مخصوص بأمر لا يشاركه غيره، فكذلك كلّ اسم من أسماء السلطان الحقيقي و سلطنته الحقيقيّة فإنّه مخصوص بأمر لا يشاركه غيره.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۳-۸ (كلّ اسم ربّ لمظاهره)

و على هذا التقديركلّ موجود من الموجودات الخارجيّة يكون مظهرا لاسم من أسمائه تعالى و محلّا لأثره و حكمه، لا يكون رجوعه إلّا إليه، لأنّ ذلك الإسم هو ربّه و هو مربوب له كما سبق ذكره، و يشهد بذلك أيضا قوله تعالى:

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً [مريم: ۸۵].

و قوله:

وَ أَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى [النجم: ۴۲].

و إن كان في الحقيقة لا يكون رجوع الكلّ إلّا إلى اللّه، كرجوع كلّ الرعيّة إلى السلطان المجازي عند التحقيق مع وجود الوزير و الأمير و الحاجب و النائب، و تعلّق كلّ واحد منهم بهؤلاء.

١-١-٣-١٠-٧-٣-٩ و بيان ذلك مرّة أخرى: (كلّ محتاج إلى اللّه سبحانه لا بدّ أن يدعو من أسمائه الحسنى، الاسم الخاصّ المناسب بحاجته)

و هو أنّه إذا جاء شخص مثلا إلى السلطان المجازي و طلب منه إنعاما فإنعامه لا بدّ و أن يكون على يد خازن من خزّانه، وكذلك الّذي يجيء إليه و يطلب حكم مدينة فإنّه لا يكون رجوعه إلّا إلى الوزير، وكذلك الّذي يطلب منه النصرة و الغلبة على عدّوه أو ظالم من الظلمة، فإنّ رجوعه لا يكون إلّا إلى أمير من أمرائه، وكذلك إلى مالا نهاية له من الأعوان و الأجناد و الرعايا، لأنّ أمور السلطنة و انتظامها ما يجري بدون هؤلاء، فإنّ الكلّ من حيث الكلّ لا ينتظم إلّا بالكلّ، فكذلك السلطان الحقيقي فإنّ الفقير إذا توجّه إليه أو إلى حضرته و قال: يا اللّه! و طلب المال لا بدّ و أن يكون رجوعه إلى الإسم الغني، وكذلك المريض إذا توجّه و قال: يا للّه! و طلب الصحّة فانّه لا بدّ و أن يكون رجوعه إلى الإسم الشافي، وكذلك الضالّ إذا توجّه و قال: يا للّه! و طلب الهداية لا بدّ و أن يكون رجوعه إلى الإسم الهادي، وكذلك إلى ما لا يتناهي من الأسماء، فإنّ الأمر السلطنة الحقيقيّة من حيث السلطنة لا ينتظم إلّا بهذا كما قيل:

فالكلّ مفتقر ما الكل مستغ هذا هو الحقّ قد قلناه لا نكني
فالكلّ بالكلّ مربوط و ليس له عنه انفصال (انفكاك) خذوا ما قلته عنّي

و إن حقّق عرف أنّ قولهم:

«أنّ للربوبيّة سرّا لو ظهر لبطلت الربوبيّة».

هذا معناه لأنّ الربوبيّة أمر لا ينتظم إلّا بالمنتسبين، و أحد المنتسبين أسماء و الآخر أعيان، و الأعيان معدومة في نفس الأمر، موجودة بالاعتبار، وكلّ أمر ينتظم بالمعدوم فهو يكون غير منتظم في الحقيقة، و ذلك لأنّ الربوبيّة موقوفة على المربوب، و المربوب على الربّ، فلو فرض عدم المربوب لم يطلق الربوبيّة مع أن يكون الربّ موجودا، وكذلك بالعكس و إن كان هذا الفرض محال.

و في بيان هذا السرّ قال بعض العلماء:

سرّ الربوبيّة هو توقّفها على المربوب، لكونها نسبة لا بدّ لها من المنتسبين، واحد المنتسبين هو المربوب و ليس إلّا الأعيان الثابتة في العدم و الموقوف على المعدوم معدوم، و ذلك لبطلان ما يتوقّف عليه، و قيل أيضا بعكس ذلك و هو قولهم:

سرّ الربوبيّة هو ظهور الربّ بصور الأعيان، فهو من حيث مظهريّتها للربّ القائم بذاته الظاهر بتعيّناته قائمة به، موجودة بوجوده، فهي عبيد مربون (مربوبون) من هذه الحيثيّة و الحق ربّ لها، فما حصلت الربوبيّة في الحقيقة إلّا بالحقّ، و الأعيان معدومة بحالها في الأزل، فلسرّ الربوبيّة سرّ به ظهرت و لم تبطل، و هاهنا أسرار دقيقة و الكلّ راجع إلى ما قلناه:

أنّ المعاد عبارة عن رجوع كلّ مظهر إلى اسمه الّذي ظهر فيه بالحكم و الأثر، و إذا عرفت هذا في صورة المثال

مرّة غير أخرى فنرجع إلى الغرض و نقول:

١-١-٣-١٠-٧-٣-١٠ (في غلبة بعض الأسماء على البعض)

مع أنّه كذلك أي مع أنّ الأمر على هذه الصورة في الأسماء و مظاهرها، لكن للأسماء دول و دوران و آثار و أحكام يجوز أن يكون مظهر بعض الأسماء مغلوبا بالنسبة إلى البعض الآخر، وكذلك أحكامه و دورانه فظهور القيامة من مغلوبيّة الأسماء المتعلّقة بالدنيا و غلبة الأسماء المتعلّقة بالآخرة، و قس على هذا جميع الأسماء في جميع الأوقات، و قد أشار إلى هذا بعض العلماء العارفين بعبارة موجزة نذكرها و نرجع إلى غيرها و هي هذه:

«أعلم أنّ أسماء الأفعال بحسب أحكامها ينقسم أقساما:

منها أسماء لا ينقطع حكمها و لا ينتهي أثرها أزل الآزال و أبد الآبادكالأسماء الحاكمة على الأرواح القدسيّة و النفوس الملكوتيّة و على ما لايدخل تحت الزمان من المبدعات و ان كانت داخلة تحت الدهر.

و منها ما لا ينقطع حكمه أبد الآباد و إن كان منقطع الحكم أزل الآزال، كالأسماء الحاكمة على الآخرة فإنّها أبديّة كما دلّت الآيات على خلودها و خلود أحكامها، و غير أزليّة بحسب الظهور إذ ابتداء ظهورها من انقطاع النشأة الدنياويّة.

و منها ما هو مقطوع الحكم أزلا و متناه الأثر أبدا كالأسماء الحاكمة على كلّ ما لا يدخل تحت الزمان و على النشأة الدنياويّة، فإنّها غير أزليّة و لا أبديّة بحسب الظهور و إن كانت نتائجها بحسب الآخرة أبديّة، و ما ينقطع أحكامه: إما ان ينقطع مطلقا و يدخل الحاكم عليه في الغيب المطلق الإلهي كالحاكم على النشأة الدنياويّة، و إمّا أن يستتر و يختفي تحت حكم الإسم الّذي يكون أتمّ حيطة منه عند ظهور دولته، إذ للأسماء دول بحسب ظهوراتها و ظهور أحكامها و إليها يستند أدوار الكواكب السبعة الّتي مدّة كلّ دورة منها ألف سنة، و الشرائع إذ لكلّ شريعة اسم من الأسماء يبقى ببقائه و دولته و يدوم بدوام سلطنته و ينسخ بعد زوالها، وكذلك التجليات الصفاتيّة إذ عند ظهور صفة ما منها يختفي أحكام غيرها تحتها، وكلّ واحد من الأقسام الأسمائيّة يستدعي مظهرا به يظهر أحكامها و هي الأعيان، فان كانت قابلة لظهور الأحكام الأسمائيّة كلّها كالأعيان الإنسانيّة كانت في كلّ آن مظهرا لشأن من شؤونها، و إن لم يكن قابلة لظهور أحكامها كلّها، كانت مختصّة ببعض الأسماء دون البعض كأعيان الملائكة و دوام الأعيان في الخارج و عدم دوامها فيه دنيا و آخرة راجع إلى دوام الدول الأسمائية و عدم دوامها، فافهم و باللّه التوفيق».

١-١-٣-١٠-٧-٤ أمّا القيامة الصغرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الطريقة

١-١-٣-١٠-٧-٤-١ (الموت الإرادي الاختيارى)

فهي عبارة عن الانتباه و القيام بعد الموت الإرادي الاختياري بحكم قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«موتوا قبل أن تموتوا».

و حكم قول الحكيم:

«مت بالإرادة تحيي بالطبيعة».

و قوله عليه السّلام:

«من مات فقد قامت قيامته».

يعضد الكلّ صوريّا كان الموت أو معنويّا.

و هذا الموت عندهم على أربعة أقسام: و هي الأحمر و الأبيض و الأخضر و الأسود.

و أمّا مطلق الموت فهو عبارة عن قمع هوى النفس، فإنّ حياتها به، و لا تميل إلى لذّاتها و شهواتها و مقتضيات الطبيعة البدنيّة إلّا به، و إذا مالت إلى الجهة السفليّة جذبت القلب الّذي هو النفس الناطقة إلى مركزها فيموت عن الحياة الحقيقيّة العلميّة الّتي له بالجهل، فإذا ماتت النفس عن هواها بقمعه، انصرف القلب بالطبع و المحبّة الأصليّة إلى عالمه عالم القدس و النور و الحياة الذاتيّة التي لا تقبل الموت أصلا، و إلى هذا الموت و الحياة أشار الحقّ تعالى في قوله:

أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها [الأنعام: ۱۲۲].

و معناه أو من كان ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم و جعلنا له نورا فيه يمشي في الناس عالما كاملا حيّا بالحياة الأبديّة، كمن هو في ظلمات الجهل بعد و ما خرج منها، و بل لا يمكن إخراجه منها مادام هو موصوفا بالصفة المذكورة، و قال جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام:

«الموت هو التّوبة، قال تعالى:

فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [البقرة: ۵۴].

فمن تاب فقد قتل نفسه»، و إلى هذا أشار جلّ جلاله بقوله:

وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [آل عمران: ۱۷۰ و ۱۶۹].

و لهذا لمّا رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من جهاد الكفّار قال:

«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: يا رسول اللّه و ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس الّذي هو مخالفتها في هواها و مقتضياتها».

و ورد عنه عليه السّلام:

«المجاهد من جاهد نفسه».

۱-۱-۳-۱۰-۷-۴-۲ (في بيان الموتات الأربعة: الأحمر و الأبيض و الأخضر و الأسود)

لأنّ من مات عن هواه فقد حيي بهداه أي حيي بهدايته عن الضلالة و بمعرفته عن الجهالة، و هذا هو الموت المسمّى عند القوم بالموت الأحمر من الموتات الأربعة و قد سمّوه أيضا بالموت الجامع لجميع الموتات لأنّه

إذا حصل حصل الموتات بأقسامها و فيه قيل:

اقتلوني يا ثقاتي إنّ في قتلي حياتي و مماتي في حياتي و حياتي في مماتي

و نسبته إلى الأحمر لوجهين: الأوّل أنّ القتل يلازمه الدم فنسبوه إليه، و الثاني لاحمرار الوجه بالنور الإلهي بعده.

و أمّا الموت الأبيض فهو عبارة عن الجوع لأنّه ينوّر الباطن و يبيّض وجه القلب، فإذا لم يشبع السالك بل لا يزال جائعا مات الموت الأبيض فحينئذ تحيي فطنته، لأنّ البطنة تميت الفطنة، فمن مات بطنته حييت فطنته.

و أمّا الموت الأخضر فهو عبارة عن لبس المرقع الملقاة الّتي لا قيمة لها، فإذا قنع من لباس الجميل بذاك و اقتصر على ما يستر العورة و تصح فيه الصلاة، فقد مات الأخضر، لاخضرار عيشه بالقناعة و نضارة وجهه بنضرة الجمال الذاتي الّذي حيي به و استغنى عن التجمل العارضي كما قيل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكلّ رداء يرتديه جميل

و أمّا الموت الأسود فهو عبارة عن احتمال أذى الخلق، لأنّه إذا لم يحتمل أذى الخلق لم يكن محبّ حقّ و لا يتألّم و لا يشتكي، (لأنّه إذا لم يجد في نفسه حرجا عن أذاهم و لم يتألّم به لم يكن محبّا حقّا) بل يلتذّ به لكونه يراه من محبوبه كما قيل:

أجد الملامة في هواك لذيذة حبّا لذكرك فليلمني اللؤم
أشبهت أعدائي فصرت أحبّهم إذ كان حظي منك حظي منهم
و أهنتني فاهنت نفسي عامدا ما من يهون عليك ممن يكرم

فقد ما مت موت الأسود، و هو الفناء في اللّه لشهوده الأذى منه برؤية فناء الأفعال في فعل محبوبه بل برؤية نفسه، و أنفسهم فانين في المحبوب، و حينئذ يحيي بوجود الحق من إمداد حضرة الوجود المطلق و الجنّة الحاصلة من هذه القيامة بعد الموت المذكور تسمّى جنّة نفسانيّة لقوله تعالى:

وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى [النازعات: ۴۱ و ۴۰].

و وصفها بأنّ فيها ما تشتهي الأنفس و تلذّ الأعين، لأنّها محسوسة و فيها المآكل و المشارب المحسوستان من غير انقطاع، و لهذا قال:

خالِدِينَ فِيها أَبَداً [البيّنة: ۸].

رزقك اللّه الوصول إليها، و من هذا لا يقبل الحصر و العدّ لقوله:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها [ابراهيم: ۳۴].

و ستعرف شرحها أكثر من ذلك في الأبحاث الآتية عند تعداد الجنات المعبّر فيها بالثمانية و اللّه أعلم و أحكم.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۵ و أمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنّسبة إلى أهل الطريقة

۱-۱-۳-۱۰-۷-۵-۱ (موت الإنسان من الأخلاق الذميمة الّذي هو المقصود من بعثة الرسل)

فهي عبارة عن موت الإنسان من الأخلاق الذميمة و الملكات الرديّة و الأوصاف الغير الجميلة، و حياته

بالأخلاق الحميدة، و الملكات الفاضلة الكريمة و الأوصاف (الاتّصاف) بالصفات الجميلة الّتي هي المقصود بالذات من بعثة الرسل لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«أوتيت جوامع الكلم».

و: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».

و لقوله: «تخلّقوا بأخلاق اللّه».

و قد سبق تقسيم الأخلاق حسنها و قبيحها و لست أنت محتاجا إلى ذكرها مرّة أخرى.

ثمّ بعد ذلك لوكان نعمة أعظم من نعمة الأخلاق و الاتّصاف بها لمنّ اللّه بها على نبيّه كما منّ عليه بالأخلاق لقوله:

وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: ۴].

و سبب ذلك أنّ التخلّق بأخلاق اللّه و الاتصاف بصفاته موجب للسعادة الأبديّة و الوصول إلى الحضرة الصمديّة، و ليس يمكن تحصيلهما بدون الوسيلة إليها، و لهذا أمرنا بأن نتّصف بصفات اللّه و نتخلّق بأخلاقه، و الدليل على ذلك أيضا قوله:

«لا يسعني أرضي و لا سمائي و لكن يسعني قلب عبدي المؤمن».

لأنّه إخبار بأنّه لا يمكن الوصول إليه إلّا من جهة القلب إذا اتّصف بصفاته و تخلّق بأخلاقه، و من هذا ورد أيضا:

«قلب المؤمن عرش اللّه».

و: «قلب المؤمن وكر اللّه».

و: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن».

لأن الكلّ إشارة إليه، أي إلى الاتّصاف بصفات اللّه، و التخلّق بأخلاقه، لأنّ استعداد ذلك كما أنّه ليس في الوجود إلّا للإنسان الّذي هو بمثابة القلب في العالم، ليس في الإنسان إلا القلب الّذي هو بمثابة الإنسان في العالم.

كما يشهد بصحة الأوّل قوله:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [الأحزاب: ۷۲].

و بالثاني قوله:

لا يسعني أرضي و لا سمائي. الحديث.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۵-۲ (في بيان الجنّة الصوريّة و النفسانيّة و الروحانيّة)

و الجنّة الحاصلة من هذه القيامة بعد الموت المذكور يسمّى جنّة روحانيّة مخصوصة بالوارثين من عباده، المشار إليهم في قوله:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ وَ الَّذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. (إلى قوله): أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ الَّذينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ [المؤمنون: ۱- ۱۱].

لأنّ الإنسان إذا تبدّلت أخلاقه الذميمة بالأخلاق الحميدة، و خرجت نفسه عن دركات الظلمات الطبيعة، و خلصت عن مرديات الأخلاق الرديّة، و تهذّبت بالأوصاف الجميلة الملكيّة، و صارت موصوفة بالتسوية و التحلية المعبّر عنها بالاعتدال الحقيقي، و استعدّت للاتّصاف بالصفات الربانيّة و الأخلاق الإلهيّة، و قامت بعد ذلك كلّه بالأعمال الشرعيّة و الوظائف الدينيّة، دخلت الجنّة المعنويّة قبل دخولها الجنّة الصوريّة، و صارت هذه الجنّة مضافة إلى الجنّة المذكورة المسمّاة بالجنّة النفسانيّة،و صارت صاحب الجنّتين و مالك المرتبتين لقوله تعالى:

وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ [الرحمن: ۴۶].

أي الجنّة النفسانيّة و الجنّة الروحانيّة، و بيان ذلك مفصّلا بوجه آخر و هو:

۱-۱-۳-۱۰-۷-۵-۳ (في أصول محاسن الأخلاق و رذائله السبعة)

أنّ النفس إذا ارتاضت بالرياضة الحقيقية المبتنية على العلم الحقيقي و العمل المطابق له و صفت عن الرذائل كلّها، سيّما عن السبعة الّتي هي رئيسها و أصولها كالعجب و الكبر و البخل و الحسد و الحرص و الشهوة و الغضب، صار متّصفة بمحاسن الأخلاق كلّها، خصوصا بالسبعة الّتي هي رئيسها و أصولها كالعلم و الحكمة و الحلم و التواضع و الجود و العفة و الشجاعة، و حصلت لها بواسطتها مرتبة العدالة الّتي هي نهاية مراتب الكمال في السلوك إلى اللّه بالنسبة إلى الإنسان.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۵-۴ (أبواب جهنّم السبعة)

و نظرا إلى هذا الترتيب و التقسيم أشار الكتاب الكريم إلى أبواب الجحيم و مراتبها بالسبعة لقوله:

لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ [الحجر: ۴۴].

المسماة في التنزيل: بجهنم و لظى و الحطمة و سقر و الجحيم و السعير و الهاوية، و ورد في الخبر أنّ عليا عليه السّلام:.

سئل عن معنى قوله تعالى: لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ، فقال لأصحابه:

«أ تدرون كيف أبواب النار؟ قالوا: كنحو هذه الأبواب، قال: لا و لكنّها هكذي، و وضع إحدى يديه فوق الأخرى، و أنّ اللّه تعالى وضع الجنان على العرض، لقوله: وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ [آل عمران: ۱۳۳] و وضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم للمنافقين، و فوقها لظى للمشركين من العرب، و فوقها الحطمة للمجوس، و فوقها سقر للصابئين، و فوقها الجحيم للنصارى، و فوقها السعير لليهود و فوقها الهاوية لعصاة المؤمنين».

۱-۱-۳-۱۰-۷-۵-۵ (في مراتب الجنة الثمانية و أبوابها)

وكذلك إلى مراتب الجنة و منازلها بالثمانية المسمّاة بجنّة النعيم، و جنّة الفردوس، و جنّة الخلد، و جنّة المأوى، و جنّة عدن، و دار السلام، و دار القرار.

و ذلك لأنّ السبعة من الأخلاق المذمومة إذا تبدّلت بالسبعة من الأخلاق المحمودة صارت كلّها جنّات معنويّة روحانيّة، و زاد عليها مرتبة العدالة الّتي هي جامعة للكلّ، فصارت الجنّات ثمانية، و إلى هذه الجنات المعنويّات و نعيمها و لذّاتها أشار الحقّ تعالى بعد الإشارات القرآنيّة في قوله:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر».

وكذلك النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في قوله:

«إنّ للّه تعالى جنّة ليس فيها حور و لا قصور و لا عسل و لا لبن بل يتجلّى فيها ربّنا ضاحكا».

لأنّ هذه كلّها جسمانيّة و تلك روحانيّة، و الفرق بينهما ظاهر، و قوله أيضا:

«و الّذي نفس محمّد بيده إنّ الجنّة و النّار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله».

يدلّ على الجنّة المعنويّة دون الصوريّة، و على العاجل دون الآجل، و قد أشار إلى هذا مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام بعبارة يفهم منها جميع ذلك و هو قوله:

«قد أحياء عقله، و أمات نفسه، حتّى دقّ جليله، و لطف غليظه، و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، و سلك به السبيل، و تدافعته الأبواب إلى باب السّلامة، و دار الإقامة، ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و الراحة بما استعمل قلبه و أرضى ربّه» [نهج البلاغة: الخطبة ۲۲۰].

و هذا الكلام و إن كان بأسره مطلوب، لكن قوله:

«و تدافعته الأبواب إلى باب السلامة و دار الإقامة»، هو المقصود بالذات، لأنّه إشارة إلى ما سبق من قولنا: إنّ أبواب الجحيم المعنويّة بعد تبديل الأخلاق الذميمة تصير أبواب الجنان، و ترجع الكلّ إلى الباب الأعظم المسمّى بباب الرضا المشار إليه في قوله عليه السّلام:

«الرضا باب اللّه الأعظم».

المنزل في كتاب اللّه وصفه و وصف أهله، في قوله:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحات أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ [البينة: ۷- ۸].

و قوله تعالى:

وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً [الإنسان: ۲۲].

إشارة إلى هذه الجنّة و هذه المشاهدة و لّذاتها و نعيمها، و النقليّات الواردة في هذا الباب كثيرة نختصر على ذلك و نرجع إلى غيره، و باللّه التوفيق و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۶ و أمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الطريقة

۱-۱-۳-۱۰-۷-۶-۱ (موت الإنسان من غير الحق سبحانه و تعالى)

فهي عبارة عن فنائهم في الحقّ و بقائهم به، المعبّر عنه بالفناء في التوحيد المسمّى بقرب النوافل، لقوله تعالى:

«لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله، فبي يسمع و بي يبصر و بي ينطق و بي يبطش و بي يمشي».

۱-۱-۳-۱۰-۷-۶-۲ (في مراتب الجنّة و أصناف أهلها)

و قد سبق بيان هذا الفناء و القرب و الموت و الحياة مرارا، و حاصل هذه القيامة بعد الفناء المذكور الّذي هو الموت الحقيقي الجنّة الشهوديّة الّتي هي فوق جنّة الوراثة، و جنّة النفس، و إلى هذه الجنان الثلاث المعنويّة الحاصلة من هذه القيامات الثلاث أشار الشيخ الأعظم في فتوحاته و قال:

«اعلم أنّ الجنّات ثلاث جنّات:

جنّة اختصاص إلهي و هي الّتي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حدّ العمل، و حدّهم من أوّل ما يولد إلى أن يستهل صارخا إلى انقضاء ستة أعوام، و يعطي اللّه من شاء من عباده من جنّات الإختصاص ما شاء، و من أهلها المجانين الّذين ما عقلوا، و من أهلها أهل التوحيد العلمي، و من أهلها أهل الفترات، و من لم يصل إليهم دعوة رسول.

و الجنّة الثانية، جنّة ميراث، ينالها كلّ من دخل الجنّة ممّن ذكرنا و من المؤمنين، و هي الأماكن الّتي كانت من أهل النار (كانت معيّنة لأهل النّار) لو دخلوها.

و الجنة الثالثة، جنّة الأعمال و هي الّتي ينزل الناس فيها بأعمالهم، فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل، كان له من الجنّة أكثر، و سواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن، غير أنّه فضله في هذا المقام بهذه لحالة، فما من عمل إلّا و له جنّة، و يقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم».

ثم قال:

«اعلم، أنّ أهل الجنّة أربع أصناف: الرسل و هم الأنبياء، و الأولياء و هم أتباع الرسل على بصيرة و بيّنة من ربهم و المؤمنون و هم المصدّقون بهم عليهم السّلام، و العلماء بتوحيد اللّه أنّه لا إله إلّا هو من حيث الأدلّة العقليّة، قال اللّه تعالى:

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ [آل عمران: ۱۸].

و هؤلاء هم الّذين أريده بالعلماء، و فيهم يقول اللّه تعالى:

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ [المجادلة: ١١].

و الطريق الموصلة إلى العلم باللّه طريقان لا ثالث لهما، و من وحّد اللّه بغير هذين الطريقين فهو مقلّد في توحيده:

الطريق الواحدة منهما طريق الكشف و هو علم ضروري يحصل عند الكشف، يجده الإنسان في نفسه لا يقبل معه شبهة و لا يقدر على دفعه، و لا يعرف لذلك دليلا يستند إليه سوى ما يجده في نفسه.

و الطريق طريق الفكر و الاستدلال بالبرهان العقلي، و هذا الطريق دون الطريق الأوّل، فإنّ صاحب النظر و الدليل قد يدخل عليه الشبهة القادحة في دليله، فيتكلّف الكشف عنها، و البحث على وجه الحقّ من الأمر المطلوب.

و ما ثمّ طريق ثالث، فهؤلاء هم أولوا العلم الّذين شهدوا بتوحيد اللّه، و لفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد اللّه دلالة و نظرا زيادة علم على التوحيد، بتوحيد في الذات بأدلّة قطعيّة لا يعطيها كلّ أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها، و هؤلاء الأربع الطوائف متميّزون في جنات عدن عند مشاهدة الحقّ في الكثيب الأبيض، و هم فيه على أربع مقامات:

طائفة منهم أصحاب المنابر و هي الطبقة العليا: الرسل و الأنبياء.

و الطائفة الثانية هم الأولياء ورثة الأنبياء قولا و عملا و حالا، و هم على بيّنة من ربّهم، و هم أصحاب الأسرة و العرش.

و الطبقة الثالثة العلماء باللّه من طريق النظر البرهاني العقلي، و هم أصحاب الكراسي.

و الطبقة الرابعة و هم المؤمنون المقلدون في توحيدهم، و لهم المراتب (و هم) في الحشر مقدّمون على أصحاب النظر العقلي».

و غير هؤلاء الأربع و اللّه أعلم بحالهم» هذا آخركلامه.

١-١-٣-١٠-٧-٦-٣ (في أصناف أهل الإسلام و أهل الكفر)

فنقول: هذا التقسيم حسن لطيف لا مزيد عليه في الحسن، إلّا في رسالتنا المذكورة، الموسومة برسالة المعاد، قد قسّمنا تقسيما غير هذا التقسيم و ذلك على سبيل الإجمال:

أنّ الناس بأجمعهم إمّا كفّار أو مسلمون، أمّا الكفّار فهم على ثلاثة أقسام: المشركون و الكفّار الأصليّة كعبدة الأصنام و الأوثان و أمثالهم، و إمّا أهل الكتاب القائلين باللّه تعالى و أسمائه و صفاته المنكرون للنبيّ و ما جاء به، كالمجوس و اليهود و النصارى، و إمّا أهل النحل و لهم شبهة كتاب كالزند للزرادشت و أمثاله و هؤلاء ينحصرون في العام و الخاص و خاص الخاص، فيكون مقامهم في الجحيم بحسب مراتبهم في الطبقات الجحيميّة، فتلك ثلاثة، إما علو، أو سفل، أو ما بينهما، فكلّ واحدة من الطبقات يختصّ بطائفة منهم، و اللّه أعلم و أحكم.

و أمّا المسلمون فهم أيضا على ثلاثة أقسام الأنبياء و الرسل و الأوصياء المخصوصين بهم، الموسومون بالأولياء،

من شيث إلى المهدي عليهم السّلام كما سبق ذكرهم في الدائرة الموضوعة في المقدمات.

و إمّا أهل العلم باللّه كشفا و برهانا على حسب طبقاتهم كالمشايخ الصوفيّة، و العلماء العالمين بالشرائع الإلهيّة.

و إمّا أهل الإيمان و التقليد بالاعتقاد الجازم كسائر الناس منهم، و هؤلاء أيضا ينحصرون في العام و الخاصّ و خاصّ الخاص، فيكون مقامهم في الجنّة بحسب مراتبهم في المدارج و الغرف الجنانيّة، و تلك ثلاثة: إمّا علو، أو سفل، أو بينهما، فكلّ واحدة من المراتب و المدارج يختصّ بطائفة منهم، و اللّه أعلم و أحكم.

و هذا المكان لا يحتمل أكثر من هذا، و حسن هذا التقسيم و لطفه لا يخفى على أحد من أرباب العلم و أصحاب الذوق.

و الحمد للّه الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا اللّه وكلّ من أراد البسط في هذا فالرجوع إلى الرسالة المذكورة أولى.

هذا آخر القيامات الثلاث المعنويّات بالنسبة إلى أهل الطريقة على سبيل الاختصار، و باللّه التوفيق.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۶-۴ و أمّا بالنسبة إلى أهل الحقيقة

فالقيامة عندهم بعد القيام بالقيامات الثلاث عبارة عن فنائهم في التوحيد الفعلي و الوصفي و الذاتي، و بقائهم بالحقّ بحسب مراتبهم فيه، و تلك أيضا ترجع إلى القيامات الثلاث من الصغرى و الوسطى و الكبرى، مطابقا للتوحيدات الثلاث و الفناء فيها كما ستعرفه إن شاء اللّه.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۷ أمّا القيامة الصغرى المعنويّة بالنسبة الى أهل الحقيقة

۱-۱-۳-۱۰-۷-۷-۱ (حياة الإنسان بالتوحيد الأفعالي)

فهي عبارة عن فنائهم في التوحيد الفعلي و وصولهم إلى مشاهدة فاعل واحد متصرّف في الكلّ. و بيان ذلك: و هو أنّ من انكشف له حجب الأفعال بانفتاح عين البصيرة، و ارتفع عنه تلك الحجب بالكلّيّة بحيث لا يشاهد الأفعال مطلقا إلّا من فاعل واحد و متصرّف واحد، راعيا جانبي الجبر و التفويض، حافظا طرفي الإلجاء و الإختيار فقد خلص من درك رؤية الغير و رؤية أفعاله، و وصل إلى درجة مشاهدة الأفعال من فاعل واحد الّذي هو الحقّ تعالى جلّ ذكره، و ثبتت قدماه في مقام التوحيد الفعلي و قام بذلك في عرصة القيامة الصغرى بين يديه، كالميت بين يدي الغاسل، و علامة ذلك التوكّل و التسليم و التفويض و الإقرار بالفعل دون القول: بأن لا فاعل إلّا اللّه، و قد سبق ذكر هذا في بحث أهل الطريقة لكن ليس هذا ذاك بعينه بل بينهما تفاوت، لأنّ الصلاة و إن كانت صورتها واحدة لكن ليس كلّ مصلّ في مرتبة واحدة، لأنّه فرق كثير بين الصّلاة الصادرة من العلم و اليقين و الحضور، و الصلاة الصادرة من الجهل و الشك و الغفلة، لقوله تعالى بالنسبة إلى الطائفة الأولى:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ إلى قوله: الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ [المؤمنون: ۱- ۱۱].

و لقوله بالنسبة إلى الطائفة الثانية:

وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَ تَصْدِيَةً ... [الأنفال: ۳۵].

و بالجملة قد مرّ بحث توحيد الأفعال مرارا و سيجيء أكثر من ذلك، و له في كلّ مكان خصوصيّة و ليس ذلك من التكرار و العبث، بل من التأكيد و التحقيق و أداء حقّ كلّ مقام و مرتبة.

و المراد منه تحقيق القيامة الصغرى المعنويّة المخصوصة به، أي بتوحيد الأفعال.

١-١-٣-١٠-٧-٧-٢ (في بيان الجنات الثلاث: الأفعال و الصفات و الذات)

و حاصل هذه القيامة بعد الفناء بالصورة المذكورة: جنّة الأفعال و لذّاتها و نعيمها الّتي هي مشاهدة الفاعل الحقيقي في كلّ واحد واحد من أفعاله الروحانيّة و الجسمانيّة المتقدّم ذكرها غير مرّة، لأنّ الجنّة المعنويّة الحقيقيّة المخصوصة بهذه الطائفة أيضا ثلاثة: جنة الأفعال، و جنّة الصفات، و جنّة الذّات، فجنّة الأفعال بالنسبة إليهم أوّل الجنّات في الدرجات الجنانيّة، و قد ورد في اصطلاحهم تعريف هذه الجنّات مفصّلا، نذكرها بعبارتهم و نرجع إلى غيرها و هي هذه:

جنّة الأفعال هي الجنّة الصوريّة من جنس المطاعم اللذيذة و المشارب الهنيئة و المناكح البهيّة ثوابا للأعمال الصالحة و تسمى جنّة الأعمال و جنّة النفس، هذا من حيث الصورة.

١-١-٣-١٠-٧-٧-٣ (نسبة الحق سبحانه إلى العالم نسبة روح الإنسان إلى جسده)

و أمّا من حيث المعنى الّذي نحن في صدده، و هو أن يكون له مثل هذه المطاعم و الملذّات من مشاهدة الأفعال في مظاهره الفعلي صادرة من فاعل واحد محبوب بالذات، الّذي هوكالرّوح بالنّسبة إلى جسد هذا العالم، لأنّ مشاهدة الفاعل في التوحيد الفعلي بعينه مشاهدة حقيقة الإنسان بالنسبة إلى جسده، و تحريك أعضائه كلّها بها، و باتفاق الأنبياء و الأولياء و العارفين من أمّتهم نسبة الحقّ تعالى إلى العالم نسبة روح الإنسان إلى جسده و صورته، و يعضد ذلك قوله:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

و قوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصّلت: ٥٣].

و فيه قيل:

و كل الذي شاهدته فعل واحد بمفرده لكن بحجب الأكنة
إذا ما أزال السّتر لم تر غيره و لم يبق بالأشكال إشكال ريبة

و قد سبقت هذه الأبيات مرّة أخرى و ليس ذكرها من التكرار بل من التذكار، هو المسك ما كررته يتفوح، و الحمد للّه وحده.

و جنّة الصفات هي الجنّة المعنويّة من تجلّيات الأسماء و الصفات الالهيّة و هي جنّة القلب، و قد مرّ ذكرها بأنّها حاصلة من تهذيب الأخلاق و اتّصاف القلب بالأخلاق الإلهيّة و الأوصاف الربانيّة.

و جنّة الذّات و هي مشاهدة الجمال الأحدي في المظاهر الكلّي إجمالا و تفصيلا، و هذه جنّة الروح و قد سبق أيضا ذكرها بأنّها حاصلة من التوحيد الذاتي و تكحيل عين الروح بكحل الوحدة الحقيقية بحيث لا يشاهد غير

المحبوب أصلا و أبدا، و سيجيء بيانها أيضا، و الغرض أنّ حاصل فناء العبد في التوحيد الفعلي، و القيامة الصغرى المعنويّة جنّة الأفعال على حسب طبقاتها و درجاتها صورة كان أو معنى و اللّه أعلم و أحكم.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۸ و أمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الحقيقة

۱-۱-۳-۱۰-۷-۸-۱ (حياة الإنسان بالتوحيد الصفاتي)

فهي عبارة عن فنائهم في التوحيد الصفاتي و وصولهم إلى مشاهدة صفة واحدة سارية في الكلّ، و بيان ذلك و هو أنّ من انكشف له حجب الصفات كلّها و أرتفع عنه حجب مشاهدة الغير مطلقا بحيث ما شاهد في الوجود كلّه إلّا صفة واحدة حقيقيّة سارية في الكلّ سريان الحياة في البدن الإنسان، أو سريان صفة القدرة على الفعل في الإنسان و الحيوان، أعني مشاهدة صفة واحدة مضافة إلى ذات واحدة متصرّفة في الكلّ، و الكلّ متّصفة بها كاتصاف كلّ عضو بصفة الحياة أو القدرة، فقد وصل إلى التوحيد الصفاتي و حضر في عرصة القيامة الوسطى المعنويّة، و خلص من ضيق رؤية أفعال الغير الّذي هو الموت حقيقة، و صدق عليه قوله تعالى:

فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ [ق: ۲۲].

و فيه قيل:

العين واحدة و الشكل مختلف و ذاك سرّ لأهل العلم ينكشف

و قيل: سئل أبا يزيد: كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال:

«لا صباح عندي و لا مساء، إنّما الصباح و المساء لمن يتقيّد بالصفة، و أنا لا صفة لي».

و هذا دليل واضح على رسوخ قدمه في التوحيد الصفاتي بعد الفعلي كشفا و ذوقا، و هذا معنى قولهم:

«حجب الذات بالصفات، و الصفات بالأفعال».

۱-۱-۳-۱۰-۷-۸-۲ (في حقيقة الإنسان و ماهيّة الإيمان)

لأن كلّ من لم يرتفع عنه حجب الأفعال لم يصل إلى التوحيد الفعلي، وكلّ من لم يرتفع عنه حجب الصفات لم يصل إلى التوحيد الوصفي، وكلّ من لم يرتفع عنه حجب الذات لم يصل إلى التوحيد الذاتي، وكلّ من لم يصل إلى هذه التوحيدات لم يحكم بإسلامه و إيمانه و لا بأنّه إنسان أو في حكم الإنسان، لقوله تعالى:

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ [الأنفال: ۲۲].

و لقوله:

أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ [الأعراف: ۱۷۹].

و حاصل هذه المشاهدة في القيامة الصغرى جنّة الصفات المتقدّم ذكرها، و الوصول إلى لذّاتها و نعيمها الّتي هي مشاهدة المتقدّم ذكرها، و الوصول إلى لذّاتها و نعيمها الّتي هي مشاهدة صفة المحبوب في صورة كلّ واحد من المحبّين روحانيّة كانت أو جسمانيّة، كما أخبر عنه الواصل إلى هذا المقام بقوله:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة فشاهدته في كلّ معنى و صورة

وكذلك الآخر في قوله:

و كلّ مليح حسنه من جماله معار له بل حسن كلّ مليحة

رزقنا اللّه و إيّاكم الوصول إلى هذه المشاهدة في مدارج هذه الجنّة ذوقا وكشفا، لأنّه المستعان و عليه التكلان، و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۹ و أمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الحقيقة

۱-۱-۳-۱۰-۷-۹-۱ (حياة الإنسان بالتوحيد الذاتي)

فهي عبارة عن مشاهدة بقاء الذوات كلّها بذات الحقّ تعالى بعد فنائها فيه فناء عرفان لا فناء عيان، لقوله تعالى:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [الرحمن: ۲۶- ۲۷].

و لقوله:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [القصص: ۸۸].

و بيان ذلك مفصّلا، و هو أنّ من انكشف له ذات الحقّ تعالى و وجوده من بين الحجب الجماليّة و الجلاليّة، و رفع عنه حجب رؤية الغير مطلقا، بحيث ما شاهد غيره أصلا و أبدا، بل شاهد ذاتا واحدة متجلّية في مظاهر الأسمائيّة الغير المتناهية المتقدّم ذكرها في قولهم:

جمالك في كلّ الحقائق سائر و ليس له إلّا جلالك ساتر

و في قولهم: «ليس في الوجود سوى اللّه و أسمائه و صفاته و أفعاله، فالكلّ هو و به و منه و إليه».

فقد وصل إلى التوحيد الذاتي، و حضر في عرصة القيامة الكبرى، و شاهد معنى قوله:

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ [غافر: ۱۶].

لأنّه قهر بنظره التوحيدي كلّ الذوات بحكم: ليس في الوجود سوى اللّه تعالى، و بمصداق:

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ [الأنعام: ۹۱].

و بمقتضى إشارته:

و لا تجعل مع اللّه أحدا.

و هذا هو التوحيد المسمّى بالتوحيد الذاتي الّذي هو توحيد خاصّ الّذي لا توحيد فوقه كما قيل:

«ليس وراء عبّادان قرية».

و قوله تعالى:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد: ٣].

إشارة إلى هذه المشاهدة، لأنّه إذا ثبت أنّه ليس في الوجود غيره لا بدّ و أن يكون هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن من غير تصوّر مغايرة في ذاته و صفاته، لأنّه الأوّل في عين الآخر، و الآخر في عين الأوّل، وكذلك الظاهر و الباطن كما بيّناه مرارا لوجوه مختلفة، وكذلك:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [فصّلت: ٥٣].

فإنّه أيضا إشارة إلى هذه المشاهدة، و قد سبق تفسيره و تأويله على ما ينبغي غير مرّة، و علامة هذه المشاهدة و إمارة هذا التوحيد، الثبات في مقام الاستقامة و التمكين المشار إليه في قوله:

فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ [هود: ١١٢].

لأنّ الاستقامة على التوحيد الحقيقي الموصوف بأحدّ من السيف، و أدقّ من الشعر، صعب في غاية الصعوبة، حتى قال عليه السّلام:

«شيّبتني سورة هود».

و معناه الحقيقي أي فاستقم على التوحيد الحقيقي المعبّر عنه بالصراط المستقيم الّذي هو عبارة عن النقطة الاعتداليّة بين طرفي الإفراط و التفريط من غير انحراف و ميل إلى طرفيهما المشار إليهما عند البعض بالتفرقة و الجمع، و عند البعض بالشرك الجليّ و الخفيّ، و عن هذا (هذه) الاستقامة أشار ليلة المعراج بقوله:

ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى [النجم: ١٧].

لأنّ من زاغ بصره عن نقطة التوحيد الجمعي الاعتدالي اللازم للعدالة الحقيقيّة فقد طغى عن الحدّ الحقيقي الّذي يجب الوقوف عليه، و قد ضلّ عن الطريق المستقيم و دخل في زمرة المشركين الضالين عن الحقّ و طريقه، جليّا كان الشرك أو خفيا، و «قاب قوسين أو أدنى»، إشارة إلى تلك النقطة و الإقامة عليها، و قوله تعالى:

وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا [الإسراء: ١١٠].

إشارة إلى هذا، و معناه و لا تلتفت في توجّهك إلينا، إلى يمينك و شمالك، المعبّرتان بالدنيا و الآخرة تارة، و بالجمع و التفرقة أخرى، و أبتغ بين ذلك سبيلا، أي و أسلك بين هذين السبيلين سبيل التوحيد الحقيقي الجمعي الّذي كان عليه آباؤك و أجدادك من الأنبياء و الرسل و الأولياء و الأوصياء خصوصا إبراهيم و أولاده عليهم السّلام، و قول بعض عبيدنا من العارفين:

«و إيّاكم و الجمع و التفرقة، فإن الأوّل يورث الزندقة و الإلحاد، و الثاني تعطيل الفاعل المطلق و عليكم بهما، فإن جامعهما موحّد حقيقي و هو المسمّى بجمع و جامع الجميع، و له المرتبة العليا و الغاية القصوى»، إشارة إلى هذه الاستقامة و الفرار من الإقامة على طرفيها، و النقل الدال على هذا كثير سيّما من القرآن و الأخبار، و الحرّ تكفيه الإشارة.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۹-۲ (في معنى التقوى و المتّقين)

و حاصل هذا القيام في هذه القيامة المعنوية جنّة الذات الّتي هي أعلى الجنّات المخصوصة بالموحّدين الّذين ارتقوا في طريق توحيده عن مشاهدة الغير مطلقا بمقتضى قوله:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر: ۵۵ و ۵۴].

لأنّ من شاهد غيره في الوجود فهو ليس بموحّد و لا متّقي، و لهذا قال:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: ۱۰۲].

و حقّ تقاته ليس إلّا الاتّقاء من مشاهدة الغير في طريق توحيده، و أكّده بقوله:

وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: ۱۰۲].

أي و لا تموتن الموت المعنوي الحقيقي الإرادي المعبّر عنه في هذا المقام بالفناء إلّا و أنتم مسلمون بهذا الإسلام، أي بالتوحيد الذاتي دون الوصفي و الفعلي، و سلطان الأولياء و الوصيّين أمير المؤمنين علي عليه السّلام حيث كان عالما بهذا السرّ و مراتب الإسلام و التوحيد أشار إلى هذا المعنى مفصّلا في غاية الإيجاز و هو قوله:

«إني لأنسبنّ الإسلام نسبة لن ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، (و التسليم هو اليقين، و اليقين هو التصديق و التصديق هو الإقرار)، و التسليم هو التصديق، و التصديق هو اليقين، و اليقين هو الإقرار، و الإقرار هو الأداء، و الأداء هو العمل الصالح» [نهج البلاغة: (صبحي) الحكمة ۱۲۵ و الفيض ۱۲۰].

و قد سبق هذا الكلام مع معناه غير مرّة، و المراد واحد، و قوله تعالى:

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ [آل عمران: ۱۸- ۱۹].

وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [الأنبياء: ۵۶].

يقوم بجواب الكلّ، و يكفي في هذا شهادة اللّه و شهادة ملائكته و أولوا العلم من عباده، كما قال:

قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ [الرعد: ۴۳].

هذا آخر القيامات الثلاث المخصوصة بالحقيقة من حيث المعنى بعد الثلاث المخصوصة بأهل الطريقة.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۹-۳ (في بيان القيامات الصوريّة و المعنويّة)

و إذا تحقّق هذا فلا بدّ و أن نشرع في القيامات الستّة الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق حتّى يصير المجموع اثنا عشر قيامة صوريّة و معنويّة، لكن من حيث إنّ التقسيم المذكور كان على غير هذا الوجه يجب الشروع في ذلك، لئلّا يلزم التناقض في الكلام، و ذلك لأنّا قلنا: القيامات تنقسم إلى اثني عشر قيامة، ستّة في الآفاق بحيث يكون ثلاثة منها صوريّة، و ثلاثة معنويّة، وكذلك في الأنفس.

و الآن قد خرج التقسيم على الستّة المعنويّة في الأنفس، و الستّة الصوريّة في الآفاق، و هذا غير صحيح، فنقول

هذا سهل، و الرجوع إلى التقسيم الأوّل في غاية السهولة يسقط هذا الكلام، و هو انّك إذا جعلت الستّة المعنويّة المتقدّمة من قبيل الأنفس و عددتها بالثلاث، لأنّ الكلّ يرجع إلى شخص واحد في مراتب ثلاث، و أضفت إليها الثلاث الصوريّة المتعلّقة بالأنفس، و عيّنت للآفاق أيضا ثلاثة صوريّة، و ثلاثة معنويّة، خرج الحساب صحيحا و سقط الاعتراض صريحا.

فالثلاثة الأنفسيّة الصوريّة:

الصغرى منها عبارة عن خلاص الشخص من حجاب البدن و النشأة الدنياويّة بالموت الطبيعي دون الإرادي، لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله «من مات فقد قامت قيامته».

و الوسطى منها عبارة عن خروجه من الدنيا و مكثه في البرزخ المسمّى بالقبر لقوله تعالى:

وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: ١٠٠].

و لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«القبر إما روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران» .

و الكبرى منها، عبارة عن يوم القيامة الكبرى المعبّر عنها ب «الطامّة الكبرى» [النازعات: ٣٤]، و حضوره بأرض الساهرة لقوله تعالى:

وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً [الكهف: ۴٧].

ليصل إلى مقامه المعيّن له إمّا في الجنّة أو في النار، و اللّه أعلم و أحكم.

و إذا تحقّق هذا و خرج التقسيم صحيحا و بل التقسيمين، فلنشرع في الستة الآفاق أيضا، و نعيّن منها صوريّة و معنويّة و هو هذا:

١-١-٣-١٠-٧-١٠ أمّا القيامة الصغرى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن خراب عالم المحسوس و المركّبات و رجوعه إلى البسايط العنصريّة الجسمانيّة، لقوله:

وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ [التكوير: ٣- ٧].

١-١-٣-١٠-٧-١٠-١ (في أنّ القيامة الصغرى الصوريّة هي ظهور المهديّ عليه السّلام)

و أمّا عند البعض فهي عبارة عن ظهور المهديّ عليه السّلام في آخر الزمان لفصل القضاء بين حاضري زمانه، لأنّه خليفة اللّه الأعظم و القطب الّذي يدور عليه العالم، و به يختم الولاية و يرتفع التكليف و الشرائع و الملل و الأديان، و يرجع العالم كلّه إلى ما كان عليه قبل الإيجاد، لمناسبة المبدأ و المعاد و نهاية الدائرة بما بدئ منها إليها، و الدليل عليه قوله تعالى:

يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً [النمل: ٨٣].

لأنّ المراد بهذا الحشر لوكان الحشر الكلّي ما قال فوجا من كلّ أمّة، بل قال كما قال فيه:

وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً [الكهف: ۴۷].

و قال:

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الواقعة: ۵۰ و ۴۹].

و معلوم إنّه ما قال كذلك، فعرفنا أنّه الحشر الجزئي الصغرى، لا الكلّي الجامع الكبرى، و قد بسطنا الكلام في ذلك في رسالتنا الموسومة ب «رسالة المعاد»، وكتابنا الموسوم ب «جامع الأسرار و منبع الأنوار» و غير ذلك من تصانيفنا، و سيجيء البحث عنها أبسط من ذلك في موضعه إن شاء اللّه.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱۱ و أمّا القيامة الوسطى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق

و أمّا القيامة الوسطى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق فهي عبارة عن رجوع البسائط إلى الهيولى الكليّة الأوّلية القابلة لصور عالم الأجسام كلّها من الأفلاك و الأجرام و المواليد و غير ذلك لقوله تعالى:

يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ [الأنبياء: ۱۰۴].

و لقوله مفصّلا:

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ إلى قوله: وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَ إِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ [التكوير: ۱- ۱۳].

و عند البعض فهي عبارة عن تبدّل العالم الصوري الحسّي بصورة العالم البرزخي المعادي دون المبدئي، و المكث التامّ فيه، و استيفاء الآلام و اللذّات بقدر الاستحقاق، المسمّى بعذاب القبر و نعيم الآخرة لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران» و لقوله تعالى:

وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ [السجدة: ۲۱].

و قوله:

مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: ۱۰۰].

لأنّ في هذا العالم يحشرون إلى أرض الساهرة و عرصة القيامة الكبرى، و الوجهان موجّهان و هو لا يخفى على الفطن المحقّق المنصف.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱۲و أمّا القيامة الكبرى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن رجوع صور العالم الروحانيّة من العقول و النفوس إلى الجوهر الأوّل الّذي خلق اللّه تعالى منه تلك الحقائق و الصور، لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«أوّل ما خلق اللّه تعالى جوهرة فنظر إليها فذابت من هيبته و صارت نصفها ماء و نصفها نارا، فخلق اللّه تعالى من الماء، الأرواح و من النّار الأجساد»، الحديث.

و أمّا بلسان الكشف و طريق أهل الذوق فهي عبارة عن المادة الّتي فتح اللّه فيها صور العالم كلّها، و يسمّونها: الهباء تارة، و العنصر الأعظم أخرى المشار إليها في المقدّمات، و الحكمة في ذلك صدق قوله:

كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ [الأنبياء: ۱۰۴].

ثمّ إيجاد الصور الأخرويّة من تلك الجوهرة و المادّة صورا غير منقطعة و لا قابلة للزوال و التغيير أبدا، لقوله تعالى:

خالِدِينَ فِيها أَبَداً [النساء: ۵۷ و الآيات الأخرى].

و مثال ذلك، مثال قطعة من الشمع تظهر بصور مختلفة متنوّعة أمّا في نفسها كالنّواة و غيرها، و أمّا من غيرها كالحقّ تعالى أو الملائكة أو القوّة المصوّرة الطبيعيّة الكلّيّة، ثمّ إزالة تلك الصّور منها كلّها، و رجوعها إلى ما كانت من القابليّة، ثمّ ظهورها بالصّور المناسبة بالعوالم الأخرويّة و المواطن الجنانيّة و الجحيميّة، و يعرف صدق هذا من حشر الإنسان بصورته و أعضائه الّتي كانت قبل الموت لقوله:

بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ [القيامة: ۴].

و غير ذلك من الآيات.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱۲-۱ (في أنّ الموجود المطلق لا يصير معدوما و المعدوم المطلق لا يصير موجودا)

و قول أهل الشّرع بالأجزاء الأصليّة، و استحالة فناء شيء في الوجود مطلقا المتقدّم ذكره، و بيان الفناء بأنّه عبارة عن تبديل الصّور و تغيّرها إلى صورة أخرى لا غير، و البرهان العقلي قد قام على أنّ الموجود المطلق قطّ لا يصير معدوما، و أنّ المعدوم المطلق قطّ لا يصير موجودا، و الإعدام و الإيجاد يصدق على الممكنات لا غير باعتبار تغيّر الصّورة و تبديلها فقط، و رجوع كلّ الموجودات ضروريّ في الآخرة إلى صورة كانوا عليها بحسب العلوم و الأعمال و بقائهم عليها في الجنّة و النّار، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السّبيل.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱۳ و أمّا القيامة الصّغرى المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱۳-۱ (في تزويج النفوس)

فهي عبارة عن رجوع النّفوس الجزئيّة إلى النفس الكلّيّة من حيث التوجّه و العروج إليها لقوله تعالى:

يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي [الفجر: ۳۰].

و لقوله:

وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ [التكوير: ۷].

و تزويج النفوس هو اتّصال النفوس الجزئيّة بالنّفس الكلّيّة الّتي صدرت منها، كحوّاء من آدم عليهما السّلام، و

قوله تعالى:

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً [النساء: ١].

إشارة إلى هذا المعنى، لأنّ آدم و حوّاء معتبران بحسب الصّورة، و هما الّذين كانا أبونا و أمّنا، و معتبران بحسب المعنى و هما الذين كانا أبونا الحقيقي و أمنّا الحقيقيّة، و قد يعرف صدق هذا من اطلاق اسم الآباء على الأفلاك و العلويّات، و اسم الأمهات على العناصر و السفليّات، و هذه النفوس أوّلا عبارة عن نفوس فلكيّة، ثمّ ملكيّة، ثمّ جنيّة، ثمّ عنصريّة، ثمّ معدنيّة، ثمّ نباتيّة، ثمّ حيوانيّة، ثمّ إنسانية باعتبار، لأنّ باعتبار آخر نفوس الإنسان أوّل النّفوس و أشرفها.

وكلّ واحدة منها أيضا ينقسم أقساما يطول ذكرها، و مثالها مثال النفس الإنسانيّة فإنّها تنقسم: إلى الأمّارة، و اللّوّامة، و الملهمة، و المطمئنّة و غير ذلك من الاعتبارات.

و أمّا أنّ نفوس العالم و أهله مكلّف، فذلك بحث آخر و له بسط ليس هذا موضعه، يكفي فيه قوله:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [الإسراء: ۴۴].

و المأمور بالتّسبيح لا يكون إلّا مكلّفا، فافهم.

فإنّ الكلام في الحجر و المدر لا في النفوس و الأرواح، و اللّه أعلم و أحكم.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱۴ و أمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن عود الأرواح الجزئيّة إلى الرّوح الأعظم الكلّي بحسب التوجّه و العروج معنى دون الصّورة، مع تعلّقه بالبدن تعلّق التدبير و التصرّف.

و الرّوح الأعظم هو الّذي ورد في الخبر:

أوّل ما خلق اللّه تعالى الرّوح .

و قوله:

فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر: ۲۹].

إشارة إلى ذلك الروح، و هو مضاف إليه بحسب التمليك لقوله أيضا:

«عبدي»، و «داري»، و «أرضي»، و «سمائي».

و من هذه الإضافات لا يلزم تصوّر الانفعال و لا الاتّصال، جلّ جنابه عن أمثال ذلك، و قد ورد أيضا:

«خلق اللّه تعالى الأرواح قبل الأجساد بكذا كذا عام».

و على الخصوص:

«خلق اللّه تعالى روحي و روح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي ألفي عام».

و ورد:

«الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها أختلف».

و بحث الأرواح أيضا مطوّل و فيه أبحاث فقد سبق الحقيقة في المقدّمة الأولى و الثانية فارجع إليها.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱۴-۱ (في أنّ العالم كشخص واحد و هو مكلّف)

و حيث إنّ مجموع العالم كشخص واحد لقولهم: العالم إنسان كبير، و جميع الموجودات بالنسبة إليه كجوارح الإنسان و قواه إليه، لقولهم:

الإنسان عالم صغير، و هو أيضا مكلّف و جميع أعضاءه و قواه مكلّف، و إليه الإشارة بقوله:

ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ [لقمان: ۲۸].

و قوله:

لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ [غافر: ۵۷].

و قوله للسموات و الأرض:

ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [فصّلت: ۱۷].

لو لا هناك تكليف قطّ ما كانوا مستحقّين للأمر و النهي و الخطاب و العتاب، و يقوم بجواب الكلّ قوله:

وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام: ۳۸].

و اللّه أعلم و أحكم.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱۵ و أمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن عود العقول كلّها من حيث العروج إلى العقل الأوّل المشار إليه في قوله عليه السّلام:

«أوّل ما خلق اللّه العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، فقال: و عزّتي و جلالي ما خلقت خلقا أكرم عليّ منك، بك أعطي و بك آخذ، و بك أثيب و بك أعاقب»، الحديث .

و هذا العود و العروج جعلنا عرفانيّا لا عيانا، لأنّ ذلك يكون في القيامة الصوريّة الآفاقيّة لا المعنويّة، و بالجملة لا بدّ من الرجوع قهقرا صورة كان أو معنى، و المراد هاهنا بالمعنى، و معلوم أنّ العقول متعدّدة و مع نّها متعدّدة متفاوتة.

أمّا التعدّد فالعلماء من الفلاسفة أكثرهم ذهبوا إلى: أنّ اللّه تعالى واحد من جميع الوجوه و صدر من هذا الواحد واحد آخر و هو العقل الأوّل، و صدر من هذا العقل عقل آخر و نفس أخرى، و فلك مركّب من الصورة و

الهيولى، وكذلك إلى آخر الأفلاك، أعني أثبتوا لكلّ فلك عقل و نفس و صورة و هيولى، وكذلك الملائكة فإنّهم أيضا أرباب العقول، وكذلك الجنّ و النّاس على رأي بعضهم.

و الأعلى رأي المحققين، فكلّ موجود له تعقّل بقدره، إن شئت سمّه بالإلهام، أو بالفراسة، أو بالفطرة، أو بالوحي، أو بالعلم، أو بأيّ شيء أردت، فإنّه عبارة عن تعقّل ذلك الشيء الأشياء، و من هذا جعلوا أيضا أقسام العقل أربعة: عقل هيولاني، و عقل بالملكة، و عقل بالفعل، و عقل مستفاد، و له بالعربيّة أسماء: لبّ، حجى، و حجر، و النهى و أمثال ذلك.

۱-۱-۳-۱۰-۷-۱۵-۱ (في تطابق الآفاق و الأنفس)

و بيان ذلك هو أنّ المطابقة شرط بين الآفاق و الأنفس، وكلّ هذا قد سبق في معنى الأنفس صورة و معنى، فيجب أن يثبت أيضا للآفاق صورة و معنى، و بناء على هذا، فكلّ ما يتصوّر في حقّ الإنسان الصغير في هذا الباب ينبغي أن يتصوّر في حقّ الإنسان الكبير بعينه.

وكلّ نظرنا في هذا الكتاب من حيث التأويل، و في هذه القيامات الثلاث من حيث التطبيق على هذا لا غير، فكما أنّه يصدق عليه الموت، و الحياة، و البعث، و النشور، صورة و معنى، فكذلك يصدق على الإنسان الكبير الموت، و الحياة، و البعث، و النشور.

أمّا الموت فهو عبارة عن خرابه، و أمّا الحياة فهي عبارة عن عمارته في الآخرة بعد خرابه كما عرفته، و أمّا البعث و النشور فحساب كلّ واحد من أجزائه و أركانه يوم القيامة على قدره، لقوله عليه السّلام:

«كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته».

و على هذا التقديركما أنّ الموت الصوري أو المعنوي موجب لسعادة الإنسان الصغير دنيا و آخرة لقوله:

وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ [آل عمران: ۴۵].

و لقوله:

«فعند اللّه ثواب الدنيا و الآخرة» [النساء: ۱۳۴].

فكذلك للإنسان الكبير، فإنّ موته و خرابه يكون سببا لسعادته و عمارته و خلوده على صورته الّتي تحصل في تلك العوالم و يبقى عليها دائما، لأنّ هذا الموت خروج من دار الفناء إلى دار البقاء، و من دار الظلمة و الكدورة إلى دار النور و الضياء، و من هذا قال:

إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُون [الصافات: ۶۰- ۶۱].

و من هذا قال العالم الربّاني عليه السّلام: إذا ضرب له ابن ملجم:

«فزت و ربّ الكعبة».

و من هذا قال:

«و اللّه لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه» [نهج البلاغة: الخطبة ۵].

و من هذا خاطب الحقّ تعالى عبيده بقوله:

فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ [البقرة: ۹۴].

لأنّه عالم بان الموت موجب لسعادتهم و سبب لوصولهم إلى كمالهم، و إن أردت اعتبرت القيامات الثلاث المعنوية للآفاق برجوع عالم الأفعال الّتي هي عالم الربوبيّة إلى عالم الأسماء و الصفات الّتي هي عالم الألوهيّة، و رجوع عالم الألوهيّة إلى عالم الذّات و الحضرة الأحديّة، فإنّه مطابق للأمر موافق للتّرتيب المذكور، و لا يخرج شيئا من المقصود المطلوب أصلا و رأسا، و (كما قيل):

عباراتنا شتى و حسنك واحد و كلّ إلى ذاك الجمال يشير

و في هذا المقام بحث كثير و سرّ لطيف قد أشرنا إلى أكثرها في رسالتنا الموسومة «برسالة المعاد في رجوع العباد»، كما تقرّر ذكرها في الفهرس.

و قليل قد اتّفق لأحد من المتقدّمين و المتأخرين مثل هذا الترتيب في الأصول الخمسة، وكذلك في الفروع الخمسة كما ستعرفها بعد هذه الأبحاث، لأنّ عند أكثرهم القيامات بحسب الصورة و المعنى لا تتعدىّ عن ثلاث: من الصغرى و الوسطى و الكبرى، و ما وقع نظرهم على هذا، أي أنّ للآفاق قيامة صوريّة و معنويّة، و للأنفس كذلك، و أنّ هذا كلّه يصير أثني عشر قيامة صوريّة و معنويّة.

و الحمد للّه الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا اللّه ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

و حيث فرغنا من هذا بقدر هذا المقام، و اجتهدنا في توضيحه و تحقيقه و اختصاره و إيجازه، و نظرنا فيه و في غيره، على إفادة الغير و إيصال المعنى إلى الأذهان المستعدّة.

فنريد أن نضيف إلى هذا البحث أبحاث أخر في باب المعاد من كلام الشيخ الأعظم محي الدين الأعرابي قدّس اللّه سرّه، منقول عن الفتوحات المكيّة، و قد فعلنا ذلك في بحث المبدأ، و نقلنا منه بقدر ذلك المقام أبوابا و فصولا متعدّدة على سبيل الانتخاب، و إن شاء اللّه نفعل مثل هذا في هذا المقام بقدره، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

هذا ما انتخبنا من الفتوحات المكيّة في بحث المعاد و الجنّة و النّار على سبيل النقل و الاستشهاد في أبواب و فصول متعدّدة، و أوّله من المجلد الأوّل [ج ۱ ص ۳۱۴ إلى ۳۰۷]:

۲- [ما انتخبنا من الفتوحات المكيّة في بحث المعاد و الجنّة و النّار]

(الباب الرابع و الستّون)

۲-۱ في معرفة القيامة و منازلها وكيفيّة البعث و النشور

۲-۱-۱ (وجه تسمية يوم البعث بيوم القيامة)

اعلم أنّه إنّما سمّي هذا اليوم يوم القيامة، لقيام النّاس فيه من قبورهم لربّ العالمين في النشأة الآخرة، و لقيامهم أيضا، إذا جاء الحقّ للفصل و القضاء و «الملك صفا صفا»، قال اللّه تعالى:

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ [المطففين: ۶].

أي من أجل ربّ العالمين حين يأتي، و جاء بالاسم الربّ، إذ كان الربّ، المالك، فله صفة القهر، و له صفة الرّحمة، و لم يأت بالاسم، ألرّحمان، لأنه لا بدّ من الغضب في ذلك اليوم كما سنرد في هذا الباب، و لا بدّ من الحساب، و الإتيان بجهنم، و الموازين، و هذه كلّها ليست من صفات الرحمة المطلقة الّتي يطلبها الإسم الرّحمان، غير أنّه سبحانه أتى باسم إلهيّ تكون الرحمة فيه أغلب، و هو الإسم الربّ، فإنّه من الإصلاح و التربية، فيتقوّى ما في المالك و السيّد من فضل الرحمة على ما فيه من صفة القهر، فتسبق رحمته غضبه، و يكثر التجاوز عن سيّئات أكثر الناس.

۲-۱-۲ (في مظاهر القيامة و الحوادث الّتي توجد فيها)

فأوّل ما أبيّن و أقول، ما قال اللّه في ذلك اليوم: من امتداد الأرض، و قبض السماء و سقوطها على الأرض، مجيء الملائكة، و مجيء الربّ في ذلك اليوم.

و أين يكون الخلق حين تمدّ الأرض، و تبدّل صورتها و تجيء جهنم، و ما يكون من شأنها؟

ثمّ أسوق حديث مواقف القيامة في خمسين ألف سنة، و حديث الشفاعة.

اعلم يا أخي! أنّ الناس إذا قاموا من قبورهم على ما سنورده إن شاء اللّه و أراد اللّه أن «يبدّل الأرض غير الأرض»، و تمدّ الأرض بإذن اللّه، و يكون الجسر دون الظلمة، فيكون الخلق عليه عند ما يبدّل اللّه الأرض كيف يشاء، إمّا بالصورة و إمّا بأرض أخرى ما نيم عليها يسمّى الساهرة، فيّمدها سبحانه مدّ الأديم، يقول اللّه تعالى:

وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ [الإنشقاق: ۳].

و يزيد في سعتها ما شاء أضعاف ما كانت: من إحدى و عشرين جزءا إلى تسعة و تسعين جزءا حتى:

لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً [طه: ۱۰۷].

ثمّ إنّه سبحانه يقبض السماء إليه فيطويها بيمينه.

كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ [الأنبياء: ۱۰۴].

ثمّ يرميها على الأرض الّذي مدّها هاوية، و هو قوله:

وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ [الحاقة: ۱۶].

و يردّ الخلق إلى الأرض الّتي مدّها فيقفون منتظرين ما يصنع اللّه بهم، فإذا وهت السّماء، نزلت ملائكتها «على

أرجائها»، فيردون (فيرى) أهل الأرض خلقا عظيما، أضعاف ما هم عليه عددا، فيتخيّلون أنّ اللّه نزل فيهم لما يرون من عظيم (عظم) المملكة، ممّا لم يشاهدوه من قبل فيقولون:

أ فيكم ربّنا؟ فيقول الملائكة: سبحان ربّنا ليس فينا، و هو آت، فتصطفّ الملائكة صفا مستديرا على نواحي الأرض محيطين بالعالم الإنس و الجنّ، و هؤلاء عمّار السّماء الدنيا.

ثمّ نزل أهل السماء الثانية بعد ما يقبضها اللّه أيضا و يرمي بكوكبها في النّار، و هو المسمّى كاتبا، و هم أكثر عددا من السّماء الأولى، فيقول الخلائق: أ فيكم ربّنا؟ فتفزع الملائكة من قولهم، فيقولون: سبحان ربّنا ليس هو فينا و هو آت، فيفعلون فعل الأوّلين من الملائكة يصطفّون خلفهم صفّا ثانيا مستديرا.

ثمّ ينزل أهل السماء الثالثة و يرمي بكوكبها المسمّى زهرة في النّار، و يقبضها اللّه بيمينه، فيقول الخلائق:

أ فيكم ربّنا؟ فيقول الملائكة: سبحان ربّنا ليس هو فينا و هو آت.

فلا يزال الأمر هكذا، سماء بعد سماء، حتّى ينزل أهل السّماء السابعة، فيرون خلقا أكثر من جميع من نزل، فتقول الخلائق: أ فيكم ربّنا؟

فتقول الملائكة: سبحان ربّنا قد جاء ربّنا، «و إن كان وعد ربّنا لمفعولا»، فيأتي في ظلل من الغمام و الملائكة، و على الجنبة (المجنّبة) اليسرى جهنّم، و يكون إتيانه إتيان الملك، فإنّه يقول: «ملك يوم الدّين»، و هو ذلك اليوم فسمّى بالملك، و تصطف الملائكة سبعة صفوف محيطة بالخلائق، فإذا أبصر النّاس جهنّم، لها فوران و تغيّظ على الجبابرة المتكبّرين، فيفرّون الخلق بأجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا و فزعا و هو الفزع الأكبر، إلّا الطائفة الّتي:

لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ [الأنبياء: ۱۰۳].

فهم الآمنون مع النبيّين على أنفسهم، غير أنّ النبيّين تفزع على أممها للشفقة الّتي جبلهم اللّه عليها للخلق فيقولون في ذلك اليوم: سلّم سلّم.

۲-۱-۳ (في بيان نصب المنابر في القيامة و نداءات الحق سبحانه)

وكان اللّه قد أمر أن تنصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة، بحسب منازلهم في الموقف، فيجلسون عليها آمنين مبشّرين، و ذلك قبل مجيء الربّ تعالى، فإذا فرّ الناس خوفا من جهنّم و فرقا لعظيم ما يرون من الهول في ذلك اليوم يجدون الملائكة صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحقّ سبحانه و تعالى إلى المحشر و تناديهم أنبياؤهم: ارجعوا ارجعوا، فينادي بعضهم بعضا قول اللّه تعالى فيما يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ [غافر: ۳۲- ۳۳].

و الرسل تقول: «اللّهم سلّم سلّم، و يخافون أشد الخوف على أممهم، و الأمم يخافون على أنفسهم، و المطهّرون المحفوظون الّذين ما تدنست بواطنهم بالشّبه المضلّة، و لا ظواهرهم أيضا بالمخالفات الشرعيّة آمنون «يغبطهم النبيّون» في الّذي هم عليه من الأمن لما هم النبيّون عليه من الخوف على أممهم.

فينادي مناد من قبل اللّه يسمعه أهل الموقف لا يدرون فلا أدرى (أو لا أدري) هل ذلك (هو) نداء الحقّ سبحانه بنفسه، أو نداء عن أمره سبحانه؟، يقول في ذلك النداء: يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، فإنّه قال لنا:

يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ [الإنفطار: ۶].

تعليما له و تنبيها ليقول: كرمك.

و لقد سمعت شيخنا الشنختة يقول يوما و هو يبكي: يا قوم لا تفعلوا بكرمه، أخرجنا و لم نكن شيئا، و علّمنا ما لم نكن نعلم، و امتنّ علينا ابتداء بالإيمان به و بكتبه و رسله و نحن لا نعقل، أ فتراه يعذّبنا بعد أن عقلنا و آمنّا، حاشى كرمه سبحانه من ذلك، فأبكاني بكاء فرح و بكى الحاضرون.

ثمّ نرجع و نقول فيقول الحقّ في ذلك النداء: أين الّذين كانت:

تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ [السجدة: ۱۶]؟

فيؤتى بهم (إلى) الجنّة، ثمّ يسمعون من قبل الحق نداء ثانيا، لا أدرى هل ذلك نداء الحقّ بنفسه أو نداء عن أمر الحقّ؟: أين الّذين كانوا:

لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ [النور: ۳۷- ۳۸].

و تلك الزيادة كما قلنا من جنّات الإختصاص، فيؤمر بهم إلى الجنّة.

ثمّ يسمعون نداء ثالثا، لا أدرى هل هو نداء الحقّ بنفسه، أو نداء عن أمر الحقّ؟: يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الّذين:

صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ [الأحزاب: ۲۳- ۲۴].

فيؤمر بهم إلى الجنّة.

فبعد هذا النداء يخرج عنق من النار، فإذا أشرف على الخلائق، له عينان و لسان فصيح يقول: يا أهل الموقف! إنّي وكّلت منكم بثلاث- كما كان النداء الأوّل ثلاث مرّات لثلاث طوائف من أهل السعادة-، و هذا كلّه قبل الحساب، و النّاس وقوف قد ألجمهم العرق، و اشتدّ الخوف، و تصدّعت القلوب لهول المطّلع، فيقول ذلك العنق المستشرف من النار عليهم: إنّي وكّلت بكلّ جبّار عنيد فليلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطير (الطائر) حبّ السّمسم، فإذا لم يترك أحدا منهم في الموقف نادى نداء ثانيا: يا أهل الموقف: إنّي وكّلت بمن آذى اللّه و رسوله، فيلقطهم كما يلقط الطير (الطائر) حبّ السّمسم من بين الخلائق، فإذا لم يترك منهم أحدا نادى ثالثة: يا أهل الموقف إنّي وكّلت بمن ذهب يخلق لخلق اللّه فيلقط أهل التصاوير و هم الّذين يصوّرون الكنائس لتعبد تلك الصور، و الّذين يصوّرون الأصنام و هو قوله تعالى:

أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ؟ [الصافات: ۹۵].

فكانوا ينحتون لهم الأخشاب و الأحجار ليعبدوها من دون اللّه، فهؤلاء هم المصوّرون فيلقطهم هذا العنق المستشرف من بين الصفوف كما يلقط الطير حب السّمسم، فإذا أخذهم اللّه عن آخرهم بقي الناس و فيهم المصوّرون، الّذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصد هؤلاء من عباداتها (عبادتها) حتّى يسألوا عنها لينفخوا فيها أرواحا تحيى بها و ليسوا بنافخين كما ورد في الخبر في المصوّرين فيقفون ما شاء اللّه ينتظرون ما يفعل اللّه بهم و العرق قد ألجمهم .

۴-۱-۲ (في بيان مواقف و سرادقات و جسور المحشر و القيامة)

فحدثنا شيخنا القصّار بمكّة، سنة تسع و تسعين و خمس مائة تجاه «الركن اليماني» من الكعبة المعظّمة و هو يونس بن يحيى بن الحسين بن أبي البركات الهاشمي العبّاسي من لفظه و أنا أسمع قال: حدثنا أبو الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الأرموي، قال: حدّثنا أبو بكر محمّد بن موسى جعفر «محمّد بن علي بن محمّد بن موسى بن جعفر» المعروف بابن الخياط المغربي (المقرّئ)، قال قرأ عليّ (قرئ على) أبي سهل محمود بن عمر بن إسحاق العكبري، و أنا أسمع قيل له: حدّثكم، رضي اللّه عنكم، أبو بكر محمّد بن الحسن النّقاس؟ فقال: نعم، حدّثنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطبري البزوري، قال حدّثنا محمّد بن حميد الرازي أبو عبد اللّه، قال: حدّثنا سلمة بن صالح، قال: أخبرنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل، عن غياث بن المسيّب، عن عبد الرحمان بن غنم و زيد بن وهب، عن عبد اللّه بن مسعود، قال: كنت جالسا عند علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، و عنده عبد اللّه بن عبّاس رضي اللّه عنه، و حوله عدّة من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقال علي عليه السّلام: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إنّ في القيامة لخمسين موقفا، كلّ موقف منها ألف سنة، فأوّل موقف إذا خرج النّاس من قبورهم يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة، عراة، حفاة، جياعا، عطاشا، فمن خرج من قبره مؤمنا بربّه، مؤمنا بنبيّه، مؤمنا بجنّته و ناره، مؤمنا بالبعث و القيامة، مؤمنا بالقضاء و القدر خيره و شرّه، مصدّقا بما جاء به (محمّد) صلّى اللّه عليه و آله من عند ربّه، نجى و فاز و غنم و سعد، و من شك في شيء من هذا بقي في جوعه و عطشه و غمّه وكربه ألف سنة حتّى يقضي اللّه فيه بما يشاء».

ثمّ يساقون من ذلك المقام إلى المحشر، فيقفون على أرجلهم ألف عام في سرادقات النيران في حرّ الشمس، و النّار عن أيمانهم، و النار عن شمائلهم، و النار من بين أيديهم، و النار من خلفهم، و الشمس من فوق رؤوسهم، و لا ظلّ إلّا ظلّ العرش، فمن لقى اللّه تبارك و تعالى، شاهدا له بالإخلاص، مقرّا بنبيّه صلّى اللّه عليه و آله بريئا من الشرك و من السحر، و بريئا من إهراق دماء المسلمين، ناصحا للّه و لرسوله، محبّا لمن أطاع اللّه و رسوله، مبغضا لمن عصى اللّه، استظلّ تحت ظلّ عرش الرحمن، و نجى من غمّه، و من حادّ عن ذلك، و وقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة، أو تغيّر قلبه، أو شكّ في شيء من دينه بقي ألف سنة في الحرّ و الهمّ و العذاب حتّى يقضي اللّه فيه بما يشاء.

ثمّ يساق الخلق إلى النور و الظلمة فيقيمون في تلك الظلمة ألف عام، فمن لقي اللّه تبارك و تعالى و لم يشرك به شيئا، و لم يدخل في قلبه شيء من النفاق، و لم يشك في شيء من أمر دينه، و أعطى الحق من نفسه، و قال الحقّ و أنصف الناس من نفسه و أطاع اللّه في السرّ و العلانية، و رضي بقضاء اللّه و قنع بما أعطاه خرج من الظلمة إلى النور في مقدار طرفة العين مبيضا وجهه قد نجى من الغموم كلّها و من خالف في شيء منها بقي في الغم و

الهمّ ألف سنة، ثمّ خرج منها مسودّا وجهه و هو في مشيئة اللّه يفعل به ما يشاء.

ثمّ يساق الخلق إلى سرادقات الحساب و هي عشر سرادقات يقفون في كلّ سرادق منها ألف سنة، فيسأل ابن آدم عند أول سرادق منها عن المحارم، فإن لم يكن وقع في شيء منها جاز إلى السّرادق الثّاني فيسأل عن الأهواء، فإن كان نجى منها جاز إلى السرادق الثالث فيسأل عن عقوق الوالدين، فإن لم يكن عاقا جاز إلى السّرادق الرّابع فيسأل عن حقوق من فوّض اللّه إليه أمورهم، و عن تعليمهم القرآن، و عن أمر دينهم و تأديبهم، فإن كان قد فعل جاز إلى السّرادق الخامس فيسأل عمّا ملكت يمينه فإن كان محسنا إليهم جاز إلى السّرادق السّادس فيسأل عن حقّ قرابته، فإن كان قد أدّى حقوقهم جاز إلى السّرادق السّابع، فيسأل عن صلة الرحمن فإن كان وصولا لرحمه جاز إلى السّرادق الثامن فيسأل عن الحسد، و إن كان لم يكن حاسدا جاز إلى السرادق التاسع فيسأل عن المكر، فإن لم يكن مكر بأحد جاز إلى السّرادق العاشر فيسأل عن الخديعة، فإن لم يكن خدع أحدا، نجى و نزل في ظلّ عرش اللّه تعالى فائزة مقرّة عينه فرحا قلبه ضاحكا فوه، و إن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال بقي في كلّ موقف منها ألف عام جائعا، عطشانا، حزنا، مغموما، مهموما لا ينفعه شفاعة شافع.

ثمّ يحشرون إلى أخذكتبهم بأيمانهم و شمائلهم فيحبسون عند ذلك في خمسة عشر موقفا كلّ موقف منها ألف سنة فيسألون في أوّل موقف منها عن الصدقات و ما فرض اللّه عليهم في أموالهم، فمن أدّاها كاملة جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن قول الحقّ، و العفو عن النّاس، فمن عفى، عفى اللّه عنه و جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الأمر بالمعروف، فإن كان آمرا بالمعروف جاز إلى الموقف الرّابع فيسأل عن النهي عن المنكر، فإن كان ناهيا عن المنكر جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن حسن الخلق، فان كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السّادس فيسأل عن الحبّ في اللّه و البغض في اللّه، فإن كان محبّا في اللّه، مبغضا في اللّه جاز إلى الموقف السابع، فيسأل عن مال الحرام فإن لم يكن أخذ شيئا جاز إلى الموقف الثامن، فيسأل عن شرب الخمر فإن لم يكن شرب من الخمر شيئا جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن الفروج الحرام، فإن لم يكن أتاها جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن قول الزور، فإن لم يكن قالها جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأيمان الكاذبة، فإن لم يكن حلفها جاز الى الموقف الثاني عشر فيسأل عن أكل الرباء فإن لم يكن أكله جاز الى الموقف الثالث عشر فيسأل عن قذف المحصنات فإن لم يكن قذف المحصنات أو افترى على أحد جاز إلى الموقف الرابع عشر فيسأل عن شهادة الزور، فإن لم يكن شهدها جاز إلى الموقف الخامس عشر فيسأل عن البهتان فإن لم يكن بهت مسلما مرّ فنزل تحت لواء الحمد و أعطى كتابه بيمينه و نجى من غمّ الكتاب و هو له، و حوسب حسابا يسيرا، و إن كان قدم في شيء من هذه الذنوب ثمّ خرج من الدنيا غير تائب من ذلك بقي في كلّ موقف من هذه الخمسة عشر موقفا ألف سنة في الغمّ و الهول و الهمّ و الحزن و الجوع و العطش حتّى يقضي اللّه عزّ و جلّ (فيه) بما يشاء.

ثمّ يقام النّاس في قراءة كتبهم ألف عام فمن كان سخيّا قد قدّم ماله ليوم فقره و فاقته و حاجته، قرأ كتابه و هوّن عليه قراءته، وكسي من ثياب الجنّة، و توّج من تيجان الجنّة، و أقعد تحت ظلّ عرش الرحمن، آمنا مطمئنّا، و إن كان بخيلا لم يقدم ماله ليوم فقره وفاقته أعطى كتابه بشماله، و يقطّع له من مقطّعات النيران، و يقام على رؤوس الخلائق ألف عام في الجوع و العطش و العرى و الهمّ و الغمّ و الحزن و الفضيحة حتّى يقضي اللّه عزّ و جلّ فيه بما يشاء.

ثمّ يحشر النّاس إلى الميزان فيقومون عند الميزان ألف عام فمن رجح ميزانه بحسناته فاز و نجى في طرفة عين، و

من خفّ ميزانه من حسناته و ثقلت سيّئاته حبس عند الميزان ألف عام في الغمّ و الهمّ و الحزن و العذاب و الجوع و العطش حتّى يقضي اللّه فيه بما يشاء.

ثمّ يدعى بالخلق إلى الموقف بين يدي اللّه في اثني عشر موقفا كلّ موقف منها مقدار ألف سنة (عام) فيسأل في أوّل موقف عن عتق الرقاب فإن كان أعتق اللّه تعالى رقبته من النّار، و جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن القرآن و حفظه و قراءته، فإن جاء بذلك تامّا جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الجهاد، فان كان جاهد في سبيل اللّه محتسبا جاز إلى الموقف الرابع فيسأل عن الغيبة، فإن لم يكن اغتاب جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن النميمة، فإن لم يكن نمّاما جاز إلى الموقف السادس فيسأل عن الكذب فإن لم يكن كذّابا جاز إلى الموقف السابع فيسأل عن طلب العلم، فإن كان طلب العلم و عمل به جاز إلى الموقف الثامن فيسأل عن العجب، فان لم يكن معجبا بنفسه في دينه و دنياه أو في شيء من جملته (عمله) جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن التكبّر، فإن لم يكن تكبّر على أحد جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن القنوط من رحمة اللّه، فإن لم يكن قنط من رحمة اللّه جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأمن من مكر اللّه، فإن لم يكن أمن من مكر اللّه جاز الى الموقف الثاني عشر فيسأل عن حقّ جاره فإن كان أدّى حقّ جاره أقيم بين يدي اللّه تعالى قريرا عينه، فرحا قلبه مبيضّا وجهه ضاحكا مستبشرا فيرحب به ربّه و يبشّره برضاه عنه فيفرح عند ذلك فرحا لا يعلمه أحد إلّا اللّه، فإن لم يأت بواحدة منهنّ تامّة و مات غير تائب حبس عندكلّ موقف ألف عام حتّى يقضي اللّه عزّ و جلّ فيه بما يشاء.

ثمّ يؤمر بالخلائق إلى الصراط فينتهون إلى الصراط، و قد ضربت عليه الجسور على جهنّم أدقّ من الشعر و أحدّ من السيف، و قد غابت الجسور في جهنم مقدار أربعين ألف عام، و لهيب جهنّم بجانبها يلتهب و عليها حسك و كلاليب و خطاطيف و هي سبعة جسور، يحشر العبادكلّهم عليها و على كلّ جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام: ألف عام صعود، و ألف عام استواء، و ألف عام هبوط، و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ:

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ [الفجر: ۱۴].

يعني على تلك الجسور و ملائكة يرصدون الخلق عليها ليسأل العبد عن الإيمان باللّه، فإن جاء به مؤمنا مخلصا لا شك فيه و لا زيغ جاز إلى الجسر الثاني فيسأل عن الصّلوة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الثالث فيسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الرّابع فيسأل عن الصيام، فإن جاء به تامّة جاز إلى الجسر الخامس فيسأل عن حجّة الإسلام، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر السادس فيسأل عن الطهر، فإن جاء به تامّا جاز إلى الجسر السابع فيسأل عن المظالم، فإن كان لم يظلم أحدا جاز إلى الجنّة و إن كان قصر في واحدة منهن حبس على كلّ جسر منها ألف سنة حتّى يقضي اللّه عزّ و جلّ فيه بما يشاء». و ذكر الحديث إلى آخره.

و سيأتي بقيّة الحديث إن شاء اللّه في باب الجنّة، فإنّه يختصّ بالجنّة و لم يذكر (نذكر) النشأة الأخرى الّتي يحشر فيها الإنسان، في باب البرزخ لأنّها نشأة محسوسة غير خياليّة، و القيامة أمر محقّق موجود حسّي مثل ما هو الإنسان في الدنيا فلذلك أخّرنا ذكرها إلى هذا الباب.

(وصل)

۲-۱-۵ (في بيان الحشر و كيفيّة الإعادة في يوم النشر)

اعلم أنّ النّاس اختلفوا في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام، و لم نتعرّض لمذهب من يحمل الإعادة

و النشأة و الآخرة على أمور عقليّة غير محسوسة فإن ذلك على خلاف ما هو الأمر عليه لأنّه حمل (جهل).

أنّ ثمّ نشأتين: نشأة الأجسام، و نشأة الأرواح، و هي النشأة المعنوية فأثبتوا المعنويّة و لم يثبتوا المحسوسة و نحن نقول بما قاله هذا المخالف من إثبات النشأة الروحانيّة و المعنويّة لا بما خالف فيه و إن عين موت الإنسان هو قيامته لكن القيامة الصغرى، فإنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله يقول:

«من مات فقد قامت قيامته» .

و إن الحشر جمع النفوس الجزئيّة إلى النفس الكلّيّة هذا كلّه، أقول به كما يقول المخالف، و إلى هنا ينتهي حديثه في القيامة.

و يختلف في ذلك بعينه من يقول بالتناسخ، و من لا يقوم (يقول) به وكلّهم عقلاء أصحاب نظر و يحتجون في ذلك كلّه بظواهر آيات من الكتاب، و أخبار من السنّة، إن أوردناها و تكلّمنا عليها طال الباب في الخوض معهم في تحقيق ما قالوه.

و ما منهم من نحل نحلة في ذلك إلّا و له وجه حقّ صحيح، و أن القائل به فهم بعض مراد الشارع و بعضه (نقصه) علم ما فهمه غيره من اثبات الحشر المحسوس في الأجسام المحسوسة، و الميزان المحسوس، و الصراط المحسوس، و النار و الجنّة المحسوستين، كان (كلّ) ذلك حقّ و أعظم في القدرة.

٢-١-٥-١ (بقاء الأجسام في علم الطبيعة)

و في الطبيعة بقاء الأجسام الطبيعة في الدارين إلى غير مدّة متناهية، بل مستمرة الوجود، و إن النّاس ما عرفوا من أمر الطبيعة إلّا قدر ما أطلعهم الحقّ عليه من ذلك ممّا ظهر لهم في مدد حركات الأفلاك و الكواكب السبعة و لهذا جعلوا العمر الطبيعي مائة و عشرين سنة الّذي اقتضاه هذا الحكم، فإذا أراد (زاد) الإنسان على هذه المدّة وقع في العمر المجهول و إن كان من الطبيعة و لم يخرج عنها، و لكن ليس في قوّة علمه أن يقطع عليه بوقت مخصوص، فكما أراد (زاد) على العمر الطبيعي سنة و أكثر جاز أن يريد (يزيد) على ذلك آلافا من السنين و جاز أن يمتدّ عمره دائما.

و لو لا أنّ الشرع عرّف بانقضاء مدّة هذه الدار و أنّ كلّ نفس ذائقة الموت و عرّف بالإعادة، و عرّف بالدار الآخرة، و عرّف بأنّ الإقامة فيها في النشأة الآخرة إلى غير نهاية، ما عرفنا ذلك، و ما خرجنا في كلّ حال: من موت، و إقامة، و بعث أخراويّ، و نشأة أخر (اخرى) و جنان و نعيم، و نار و عذاب، بأكل محسوس و شرب محسوس، و نكاح محسوس، و لباس على المجري الطبيعي، فعلم اللّه أوسع و أتمّ، و الجمع بين العقل و الحسّ، و المعقول و المحسوس، أعظم في القدرة و أتمّ في الكمال الإلهي ليستمرّ له سبحانه في كلّ صنف من الممكنات حكم عالم الغيب و الشهادة، و يثبت حكم الإسم الظاهر و الباطن في كلّ صنف.

٢-١-٥-٢ (عدم إدراك العقل ما جاء به الوحي أحيانا)

فإن فهمت فقد وفّقت، و تعلم أنّ العلم الّذي اطلع عليه النبيون و المؤمنون من قبل الحق أعمّ تعلّقا من علم المنفردين بما تقتضيه العقول مجرّدة عن الفيض الإلهي، فالأولى بكلّ ناصح نفسه، الرجوع إلى ما قالته الأنبياء و الرسل على الوجهين: المعقول و المحسوس، إذ لا دليل للعقل يحيل ما جاءت به الشرائع على تأويل مثبتي

المحسوس من ذلك و المعقول، فالإمكان يأبى (باق) حكمه، و المرجّح موجود فبما ذا يحيل؟

و ما أحسن قول القائل:

زعم المنجّم و الطبيب كلاهما لا تبعث الأجسام قلت إليكما
إن صحّ قولكما فلست بخاسر أو صحّ قولي فالخسار عليكما

فقوله: فالخسار عليكما، يريد حيث لم يؤمنوا بظاهر ما جاءتهم به الرسل عليهم السّلام، و قوله: فلست بخاسر، فإنّي مؤمن أيضا بالأمور المعنويّة المعقولة مثلكم و زدنا عليكم بأمر آخر لم تؤمنوا أنتم به، و لم يرد القائل به أنه يشكّ بقوله: إن صحّ، و إنّما ذلك على مذهبك أيّها المخاطب، و هذا يستعمل مثله كثيرا فتدبّر كلامي هذا و ألزم الإيمان نفسك تربح و تسعد إن شاء اللّه تعالى.

٢-١-٥-٣ (في بيان الأقوال في كيفيّة الإعادة)

و بعد أن تقرّر هذا، فاعلم أن الخلاف الّذي وقع بين المؤمنين القائلين في ذلك بالحسّ و المحسوس، إنّما هو راجع إلى كيفيّة الإعادة، فمنهم من ذهب إلى أن الإعادة تكون في النّاس مثل ما بدأهم: بنكاح، و تناسل، و ابتداء خلق من طين و نفخ، كما جرى من خلق آدم و حوّاء و سائر البنين من نكاح و اجتماع إلى آخر مولود في العالم البشرى الإنساني، وكلّ ذلك في زمان صغير و مدّة قصيرة على حسب ما يقدره الحقّ تعالى، هكذا زعم الشيخ ابو القاسم قسىّ في خلع النعلين له في قوله تعالى:

كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [الأعراف: ٢٩].

فلا أدري هل هو مذهبه؟ أو هل هو قصد شرح المتكلّم به و هو خلف اللّه الّذي جاء بذلك الكلام وكان من الأمّيّين.

و منهم من قال بالخبر المرويّ:.

إن (السّماء) تمطر مطرا شبه المني تمخض به الأرض فتنشأ منه النشأة الآخرة.

و أمّا قوله تعالى عندنا:

كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [الأعراف: ٢٩].

هو قوله:

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ [الواقعة: ٦٢].

و قوله:

كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا [الأنبياء: ١٠٤].

و قد علمنا أنّ النشأة الأولى أوجدها اللّه تعالى على غير مثال سبق، فكذا النشأة الآخرة يوجدها اللّه تعالى على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شكّ، و قد ذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من صفة نشأة أهل الجنة و

النار، ما يخالف ما هي عليه هذه النشأة الدنيا فعلمنا أنّ ذلك راجع إلى عدم مثال سابق ينشئها (ينشئوها) عليها و هو أعظم في القدرة، و أمّا قوله:

وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ۲۷].

۲-۱-۵-۴ (علمه تعالى علم تفصيلي في عين الإجمالي)

فلا يقدح فيما قلنا، فإنّه لوكانت النشأة الأولى عن اختراع، فكر و تدبّر و نظر إلى أن خلق أمرا، فكانت إعادته إلى أن يخلق خلقا آخر ممّا يقارب ذلك و يزيد عليه، أقرب للاختراع و الاستحضار في حقّ من يستفيد الأمور بفكره، و اللّه منزّه عن ذلك و متعال عنه علوّا كبيرا، فهو الّذي يفيد العالم و لا يستفيد، و لا يتجدّد له علم بشيء، بل هو عالم بتفصيل ما لا يتناهي بعلم كلّيّ، فعلم التفصيل في عين الإجمال، و هكذا ينبغي لجلاله أن يكون.

فينشئ اللّه النشأة الآخرة على عجب الذّنب الّذي يبقى من هذه النشأة الدّنيا، و هو أصلها فعليه تركّب النشأة الآخرة.

فأمّا أبو حامد فرأى أن العجب المذكور في الخبر ، أنّه النّفس و عليها تنشأ النشأة الآخرة، و قال غيره مثل أبي زيد الرّقراقي: هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة الدنيا لا يتغيّر، عليه تنشأ النشأة الأخرى (وكلّ) ذلك محتمل، و لا يقدح في شيء من الأصول، بل كلّها توجيهات معقولة، يحتمل كلّ توجيه منها أن يكون مقصودا، و الّذي وقع لي به الكشف الّذي لا أشكّ فيه: أنّ المراد بعجب الذّنب هو ما تقوم عليه النشأة و هو لا يبلى أي لا يقبل البلى.

فإذا أنشأ اللّه النشأة الآخرة و سوّاها و عدّلها، و إن كانت هي الجواهر بأعيانها، فإنّ الذوات الخارجة إلى الوجود من العدم، لا تنعدم أعيانها بعد وجودها، و لكن تختلف فيها الصور بالامتزاجات، و الامتزاجات الّتي تعطي هذه الصور أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم.

فإذا تهيأة هذه الصور كانت كالحشيش المحرق، و هو الاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالناريّة الّتي فيه لقبول الاشتعال و الصّور البرزخيّة كالسّرج مشتعلة بالأرواح الّتي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة، فتمرّ تلك النفخة على تلك الصور البرزخيّة فتطفئها، و تمرّ النفخة الّتي تليها و هي الأخرى إلى الصورة المستعدة للاشتعال و هي النشأة الأخرى فتشتعل بأرواحها، فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر: ۶۸].

فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة بما ينطقها اللّه به فمن ناطق بالحمد للّه، و من ناطق يقول:

مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا؟ [يس: ۵۲].

و من ناطق يقول:

سبحان من أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور.

وكلّ ناطق ينطق بحسب علمه و ما كان عليه و نسي حاله في البرزخ و يتخيّل أن ذلك الّذي كان فيه منام كما تخيّله المستيقظ، و قدكان حين مات و انتقل إلى البرزخ، كان كالمستيقظ هناك و أن الحياة الدنيا كانت له كالمنام.

۲-۱-۵-۵ (أمر الدنيا منام في منام و أمر البرزخ منام و الآخرة هي اليقظة)

و في الآخرة يعتقد في الدنيا و البرزخ أنّه منام في منام، و أنّ اليقظة الصحيحة هي الّتي هو عليها في الدار الآخرة، و هو في ذلك الحال يقول:

إنّ الإنسان في الدنيا كان في منام ثمّ انتقل بالموت إلى البرزخ وكان في ذلك بمنزلة من يرى في المنام أنّه استيقظ من النوم، ثمّ بعد ذلك في النشأة الآخرة هي اليقظة الّتي لا نوم فيها و لا نوم بعدها لأهل السّعادة، لكن لأهل النار و فيها راحتهم كما قدمنا (قلنا)، و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

النّاس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

فالدّنيا بالنّسبة إلى البرزخ نوم و منام، فإنّ البرزخ أقرب إلى الأمر الحقّ فهو أولى باليقظة، و البرزخ بالنظر إلى النشأة الأخرى يوم القيامة منام، فاعلم ذلك.

۲-۱-۵-۶ (شفاعة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في الحشر)

فإذا قام الناس، و مدّت الأرض، و انشقت السّماء، و انكدرت النجوم، وكوّرت الشمس، و خسف القمر، و حشر الوحوش، و سجّرت البحار، و زوّجت النفوس بأبدانها، و نزلت الملائكة على أرجائها يعني أرجاء السموات، و يأتي ربّنا في ظلل من الغمام و نادى المنادى: يا أهل السعادة، فأخذ منهم الثلاث الطوائف الّذين ذكرناهم، و خرج العنق من النار فقبض الثلاث الطوائف الّذين ذكرناهم، و ماج الناس و اشتدّ البحر، و ألجم الناس العرق، و عظم الخطب، و جلّ الأمر، وكان البهت، فلا تسمع إلّا همسا، و جيء بجهنّم و طال الوقوف بالناس، و لم يعلموا ما يريد الحقّ بهم، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«فيقول النّاس بعضهم لبعض: تعالوا ننطق إلى أبينا آدم، فنسأله أن يسأل اللّه لنا أن يريحنا ممّا نحن فيه، فقد طال وقوفنا، فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك فيقول آدم: إنّ اللّه غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، و لن يغضب بعده مثله، و ذكر خطيئته فيستحي من ربّه أن يسأله، فيأتون إلى نوح بمثل ذلك، فيقول لهم مثل ما قال آدم و يذكر دعوته على قومه، و قوله: و لا يلدوا إلّا فاجرا كفّارا، لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاءا، ثمّ يأتون إلى إبراهيم عليه السّلام بمثل ذلك فيقولون له مثل مقالتهم لمن تقدّم، فيقول كما قال من تقدّم و يذكركذباته الثلاثة، ثمّ يأتون إلى موسى و عيسى، و يقولون لكلّ واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم فيجيبونهم مثل جواب آدم، فيأتون إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و هو سيّد النّاس يوم القيامة، فيقولون له مثل ما قالوا للأنبياء فيقول محمّد صلّى اللّه عليه و آله: أنالها، و هو المقام المحمود الّذي وعده اللّه به يوم القيامة فيأتي و يسجد و يحمد اللّه بمحامد يلهمها اللّه تعالى إيّاها في ذلك الوقت، لم يكن يعلمها قبل ذلك، ثمّ يشفع إلى ربّه أن يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح اللّه ذلك الباب، فيأذن في الشفاعة للملائكة و الرسل و الأنبياء و المؤمنين فبهذا يكون سيّد النّاس يوم القيامة، و أنّه شفع عند اللّه أن تشفع الملائكة و الرسل».

و مع هذا تأدب صلّى اللّه عليه و آله و قال: أنا سيّد الناس، و لم يقل: سيّد الخلائق، فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع، و ذلك أنّه صلّى اللّه عليه و آله جمع له بين مقامات الأنبياء عليهم السّلام كلّهم و لم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السّلام من اختصاصه بعلم الأسماء كلّها، فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة و النّاس، من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة و إظهار ماله من

الجاه عند اللّه إذكان القهر الإلهي، و الجبروت الأعظم قد أخرس الجميع، وكان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السّلام في يوم اشتدّت الحاجة فيه مع ما ذكر من الغضب الإلهي الّذي تجلّى فيه الحقّ في ذلك اليوم و لم تظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قصّة آدم فدلّ بالمجموع على عظيم قدره صلّى اللّه عليه و آله حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبيّة الإلهيّة على مناجاة الحقّ فيما سئل فيه، فأجابه الحقّ سبحانه فعلّقت الموازين و نشرت الصحف و نصب الصراط و بدئ بالشفاعة، فأوّل ما شفعت الملائكة ثمّ النبيّون ثمّ المؤمنون، و بقي أرحم الراحمين ، و هنا تفصيل عظيم يطول الكلام فيه، فإنّه مقام عظيم.

غير أنّ الحقّ يتجلّى في ذلك اليوم فيقول:

«لتتبع كلّ أمّة ما كانت تعبد».

حتّى تبقى هذه الأمّة، و فيها منافقوها، فيتجلّى لهم الحقّ في أدنى صورة من الصورة الّتي كان تجلّى لهم فيها قبل ذلك، فيقول:

«أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ باللّه منك، هذا نحن منتظرون حتّى يأتينا ربّنا، فيقول لهم جلّ و تعالى: هل بينكم و بينه علامة تعرفونه بها؟، فيقولون: نعم، فيتحول لهم في الصورة الّتي عرفوه فيها بتلك العلامة، فيقولون: أنت ربّنا، فيأمرهم اللّه بالسجود فلا يبقى من كان يسجد للّه إلّا سجد، و من كان يسجد اتقاء، أو رياء، جعل اللّه ظهره طبقة نحاس كلّما أراد أن يسجد خرّ (على) قفاه، و ذلك قوله تعالى:

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ [القلم: ۴۲ -۳].

يعني في الدنيا، و الساق الّتي كشفت لهم، عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة، تقول العرب: «كشفت الحرب عن ساقها»، إذا اشتدّت الحرب و عظم أمرها، وكذلك: التفّت الساق بالساق: أي دخلت الأهوال و الأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة.

۲-۱-۵-۷ (شفاعة أرحم الراحمين في يوم الحشر)

فإذا وقعت الشفاعة و لم يبق في النّار مؤمن شرعي أصلا و لا من عمل عملا مشروعا من حيث ما هو مشروع بلسان نبيّ و لوكان مثقال حبّة من خردل فما فوق ذلك في الصغير إلّا خرج بشفاعة النبيين و المؤمنين، و بقي أهل التوحيد الّذين عملوا التوحيد بالأدلّة العقليّة و لم يشركوا باللّه شيئا و لا آمنوا إيمانا شرعيّا، و لم يعملوا خيرا قطّ من حيث ما اتّبعوا فيه نبيّا من الأنبياء، فلم يكن عندهم ذرّة من الإيمان فما دونها، فيخرجهم أرحم الراحمين، و ما عملوا خيرا قطّ يعني مشروعا من حيث ما هو مشروع، و لا خير أعظم من الإيمان و ما عملوه».

و هذا حديث عثمان بن عفّان في الصحيح لمسلم بن الحجّاج.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«من مات و هو يعلم»: (و لم يقل: يؤمن) «أنّه لا إله إلّا اللّه دخل الجنّة».

و لا قال: يقول، بل أفرد العلم، ففي هؤلاء تسبق عناية اللّه في النار، فإنّ النار بذاتها لا تقبل تخليد موحّد للّه بأيّ

وجه كان، و أتمّ وجوهه:

الإيمان عن علم فجمع بين العلم و الإيمان.

فان قلت: فإنّ إبليس يعلم أنّ اللّه واحد، قلنا: صدقت و لكنّه أوّل من سنّ الشرك، فعليه إثم المشركين، و إثمهم أنّهم لا يخرجون من النّار، هذا إذا ثبت أنّه كان (مات) موحّدا و ما يدريك؟ لعلّه مات مشركا، لشبهة طرأت عليه في نظره، و قد تقدّم الكلام على هذه المسألة فيما مضى من الأبواب، فإبليس ليس بخارج من النّار، فاللّه يعلم أيّ ذلك كان.

و هنا علوم كثيرة، و فيها طول يخرجنا عن المقصود من الاختصار، إيرادها ، و اللّه يقول الحق و هو يهدي السبيل.

هذا من المجلد الأوّل من الباب المذكور، لكن في هذا المعنى في المجلد الخامس من أصل المجلدّات السّت في الفصل الخامس من الفصول الّتي و هي في ضمن الباب الأحد و السبعون و ثلاثمائة، المتقدّم ذكره مرّة، بحثا لطيفا و بسطا دقيقا في كيفيّة الحشر و النشر و ما يتعلّق بهذا البحث، و ذلك مناسب بهذا المقام نذكره و نشرع بعده في بحث الجنّات و بعده في بحث الجحيم و ما يتعلّق بهما كما شرطناه، و الفصل هذا و باللّه التوفيق.

(الفصل الخامس)

٢-١-٦ في أرض الحشر و ما تحوي عليه من العالم و المراتب، و عرش الفصل و القضاء و حملته، و صفوف الملائكة عليها بين يدي الحكم العدل

٢-١-٦-١ (في بيان كيفيّة الحشر و النشر و ما يتعلّق بهما)

اعلم أنّ اللّه تعالى إذا نفخ في الصور، و بعث ما في القبور، و حشر الناس و الوحوش، وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها [الزلزلة: ٢]، و لم يبق في بطنها سوى عينها، إخراجا لا نباتا، و هو الفرق بين نشأة الدّنيا الظاهرة و بين نشأة الآخرة الظاهرة، فإنّ الأولى أنبتتا (أنبتنا) فيها من الأرض فينبتا (فنبتنا) نباتا كما ينبت النبات على التدريج و قبول الزيادة في الجرم طولا و عرضا، و نشأة الآخرة إخراج من الأرض على الصورة الّتي شاء (يشاء) الحقّ أن يخرجنا عليها، و لذلك علّق المشيئة بنشر الصورة الّتي أعادها في الأرض الموصوفة بأنّها تنبت، فنبت (فتنبت) على غير مثال، لأنّه ليس في الصورة صورة تشبهها، فكذلك نشأة الآخرة يظهرها اللّه على غير مثال صورة تقدّمت تشبهها، و ذلك قوله (تعالى):

كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [الأعراف: ٢٩].

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ [الواقعة: ٦٢].

وَ نُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ [الواقعة: ٦١].

فإذا أخرجت الأرض أثقالها و حدثت أنّها ما بقي فيها ممّا اختزنته شيء جيء بالعالم إلى الظلمة دون الحشر (الجسر) فألقوا فيها حتّى لا يرى بعضهم بعضا، و لا يبصرون كيفيّة (كيف) التبديل في السماء و الأرض حتّى

تقع فتمدّ الأرض أوّلا مدّ الأديم و تبسط فلا ترى فيها عوجا و لا أمتا، و هي الساهرة فلا نوم فيها، فإنّه لا نوم لأحد بعد الدّنيا و يرجع ما تحت مقعر فلك الكواكب (الفلك المكوكب) جهنم، و بهذا سمّيت بهذا الإسم لبعد قعرها فأين المقعر من الأرض؟ و يوضع الصراط من الأرض علوا على استقامة إلى سطح فلك المكوكب، فيكون (منتهاه) الى المزج الّذي خارج سور الجنّة.

۲-۱-۶-۲ (أوّل جنّة يدخلها النّاس)

و أوّل جنّة يدخلها النّاس هي جنّة النّعيم، و في ذلك المرج هي المأدبة و هو درمكة بيضاء (نقيّة)، منها يأكل أهل المأدبة، و هو قوله تعالى في المؤمنين إذا أقاموا التّوراة و الإنجيل من بني إسرائيل:

وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [المائدة: ۶۶].

فنحن أمّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله نقيم كلّ ما أنزل إلينا من ربّنا بالإيمان به و نعمل من ذلك بما أمرنا من العمل به، و غيرنا من الأمم منهم من آمن كما آمنّا، و منهم من آمن ببعض وكفر ببعض.

فمن نجى منهم قيل فيه: «لأكلوا من فوقهم» و هو ما خرج من فروع أشجار الجنان على السور فظلل على هذا المرج فقطفه السعداء «و من تحت أرجلهم» هو ما أكلوه من الدّرمكة البيضاء الّتي هم عليها.

و وضع الموازين في أرض الحشر، لكلّ مكلّف ميزان يخصّه، و ضرب بسور يسمّى الأعراف بين الجنّة و النّار، و جعله مكانا لمن اعتدلت كفّتا ميزانه، فلم ترجّح إحداهما على الأخرى.

و وقفت الحفظة بأيديهم الكتب الّتي كتبوها في الدّنيا من أعمال المكلّفين و أقوالهم، ليس فيها شيء من اعتقادات قلوبهم إلّا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفّظوا به من ذلك، فعلّقوها في أعناقهم بأيديهم.

فمنهم من أخذكتابه بيمينه، و منهم من أخذه بشماله، و منهم من أخذه من وراء ظهره و هم الّذين نبذوا الكتاب في الدّنيا وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا، و ليس أولئك إلّا الأئمّة الضلال المضلّون الّذين ضلّوا و أضلّوا، و جيء بالحوض يتدفق ماء عليه من الأواني على عدد الشاربين عنه (منه) لا تزيد و لا تنقص، ترمي فيه أنبوبان:

أنبوب ذهب، و أنبوب فضّة و هو لزيق بالسور، و من السور تنبعث هذان الأنبوبان فيشرب منه المؤمنون (و يؤتى) و تولى بمنابر من نور مختلفة في الإضاءة و اللون فتنصب في تلك الأرض، و يؤتى بقوم فيقعدون عليها قد غشيتهم الأنوار، لا يعرفهم أحد في رحمة الأبد، عليهم من الخلع الإلهيّة ما تقرّ به أعينهم، و يأتي مع كلّ انسان قرينه من الشياطين و الملائكة.

و تنشر الألوية في ذلك اليوم للسعداء و الأشقياء بأيدي أئمّتهم الّذين كانوا يدعونهم إليه من حقّ و باطل، و تجتمع كلّ أمّة إلى رسولها من آمن منهم به و من كفر.

و تحشر الأفراد و الأنبياء بمعزل من الناس بخلاف الرّسل فإنّهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصّهم.

و قد عيّن اللّه في هذه الأرض بين يدي عرش الفصل و القضاء مرتبة عظمى امتدّت من الوسيلة الّتي في الجنّة، يسمّى ذلك: المقام المحمود، و هو لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله خاصّة.

و تأتي الملائكة، ملائكة السماوات، ملائكة كلّ سماء على حدة متميّزة عن غيرها فيكونون سبعة صفوف، أهل كلّ سماء صفّ، و الرّوح قائم مقدّم الجماعة و هو الملك الّذي نزل بالشرائع على الرّسل، ثمّ جاء بالكتب المنزلة و الصحف.

وكلّ طائفة ممّن نزلت من أجلها خلقها (خلفها) فيمتازون عن أصحاب الفرات (الفترات) و عمّن تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله و إنّما دخل فيه و ترك ناموسه لكونه من عند اللّه وكان ناموسه عن نظر عقليّ من عاقل مهديّ.

ثمّ يأتي اللّه عزّ و جلّ على عرشه، و الملائكة الثمانية تحمل ذلك العرش فيضعونه في تلك الأرض، و الجنّة عن يمين العرش، و النّار من الجانب الآخر، و قد علت الهيبة الإلهيّة، و غلبت على قلوب أهل الموقف من إنسان و ملك و جان و وحش، فلا يتكلّمون إلّا همسا بإشارة عين، و خفي صوت، و ترفع الحجب بين اللّه و بين عباده، و هوكشف الساق و يأمرهم داعي الحق عن أمر اللّه بالسجود للّه فلا يبقى أحد سجد للّه خالصا على أيّ دين كان إلّا سجد السجود المعهود، و من سجد اتّقاء أو (و) رياء خرّ على قفاه، و بهذه السجدة يرجّح ميزان أصحاب الأعراف لأنّها سجدة تكليف فيسعدون و يدخلون الجنّة، و يشرع الحقّ في الفصل و الحكم بين عباده فيما كان بينهم، و أمّا ما كان بينهم و بين اللّه فإنّ الكرم الإلهي قد أسقطه فلا يؤاخذ اللّه أحدا من عباد اللّه فيما لم يتعلّق به حقّ للغير. و قد ورد من أخبار الأنبياء عليهم السّلام في ذلك اليوم ما قد ورد على ألسنة الرسل و دوّن النّاس فيه ما دوّنوا، فمن أراد تفاصيل الأمور فلينظرها هنالك.

٢-١-٦-٣ (في شفاعة الخاتم صلّى اللّه عليه و آله يوم القيامة)

ثمّ تقع الشفاعة الأولى من محمد صلّى اللّه عليه و آله في كلّ شافع أن يشفع، فيشفع الشافعون، و يقبل اللّه من شفاعتهم ما شاء، و يردّ من شفاعتهم ما شاء، لأنّ الرحمة في ذلك اليوم يبسطها اللّه في قلوب الشفعاء، فمن ردّ اللّه شفاعته من الشافعين لم يردّها انتقاصا بهم، و لا عدم رحمة بالمشفوع فيه، و إنّما أراد بذلك إظهار المنّة الإلهيّة على بعض عباده فيتولّى اللّه سعادتهم و رفع الشقاوة عنهم، فمنهم من يرفع ذلك عنه بإخراجه (بإخراجهم) من النّار إلى الجنان، و قد ورد: «و شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين عند المنتقم الجبار»، فهي مراتب أسماء إلهيّة لا شفاعة محققة، فإنّ اللّه يقول في ذلك اليوم «شفعت (شفت) الملائكة و النبيّون و المؤمنون، و بقي أرحم الراحمين»، فدلّ بالمفهوم أنّه لم يشفع، فيتولى بنفسه إخراج من يشاء من النار، و نقل حال من هو أهل النّار من شقاء آلام إلى سعادة أزالتها فذلك قدر نعمه (نعيمه)، و قد يشاء المشوب و قضائه و يملأ اللّه جهنم بغضبه (و قد يشاء و يملأ اللّه جهنم بغضبه المشوب و قضائه)، و الجنّة برضاه، فتعمّ الرحمة و يبسط النعمة.

فيكون الخلق كما هم في الدنيا على صورة الحقّ، فيتحوّلون لتحوله، و آخر صورة يتحوّل إليها في الحكم في عباده صورة الرضا فيتحوّل الحقّ في صورة النعيم، فإنّ الرحيم و المعافي أوّل من يرحم و يعفوا و ينعم على نفسه بإزالة ما كان فيه من الحرج و الغضب على من أغضبه، ثمّ سرى ذلك في المغضوب عليه، فمن فهم فقد أمناه و من لم يفهم فإنّ المآل إليه، و اللّه من حيث يعلم نفسه و من هويّته و غناه فهو على ما هو عليه.

و إنّما هذا الّذي وردت به الأخبار و أعطاه الكشف، و إنّما ذلك أحوال تظهر، و مقامات تشخّص و معان تجسّد و ليعلم الحقّ عباده معنى الإسم الإلهي الظاهر و هو ما بدأ من هذا كلّه، و الإسم الإلهي الباطن و هو هويّته، و قد

تسمّى لنا بهما، وكلّ ما هو العالم فيه من تصرّف و انقلاب و تحوّل في صورة في حق و خلق، فذلك من حكم الإسم الظاهر و هو منتهى علم العالم و العلماء باللّه.

و أمّا الإسم الباطن فهو إليه لا إلينا و ما بأيدينا منه سوى «ليس كمثله شي» [الشورى: ١١] على بعض وجوه محتملاته، إلّا أنّ أوصاف التنزيه لها تعلّق بالاسم الباطن، و إن كان فيه تحديد، و لكن ليس في الإمكان أكثر من هذا فإنّه غاية الفهم عندنا الّذي يعطيه استعدادنا، و أمّا قوله تعالى:

وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا واردُها [مريم: ٧١].

فإنّ الطريق إلى الجنّة عليها، فلا بدّ من الورود، فإذا لم يبق في أرض الحشر من أهل الجنّة أحد عادكلّه نارا أي دار النار و إن كان فيها زمهرير فجهنم من مقعّر فلك الكواكب إلى أسفل سافلين».

هذا آخر الفصل المذكور، و إذا فرغنا من هذا فلنشرع في بحث الجنّة و مراتبها و مراتب أهلها على حسب طبقاتها في الكتاب المذكور بقوله قدّس اللّه سرّه و هو هذا:

(الباب الخامس و الستّون)

٢-٢ في معرفة الجنّة و منازلها و درجاتها و ما يتعلّق بهذا الباب

٢-٢-١ (في أنّ لكلّ من العالم و الجنّة و ما يلتّذ به الروح مرتبتان، الحسيّة و المعنويّة)

اعلم أيّدنا اللّه و إيّاك، أنّ الجنّة جنّتان: جنّة محسوسة، و جنّة معنويّة، و العقل يعقلهما معا كما أنّ العالم عالمان:

عالم لطيف و عالم كثيف، و عالم غيب و عالم شهادة، و النفس الناطقة المخاطبة المكلّفة، لها نعيم بما تحمله من العلوم و المعارف من طريق نظرها و فكرها و ما وصلت إليه من ذلك بالأدلّة العقليّة، و نعيم بما تحمله اللّذات و الشهوات مما تناله بالنّفس الحيوانيّة من طريق قواها الحسيّة: من أكل و شرب و نكاح و لباس و روائح و نغمات طيّبة تتعلّق بها الأسماع، و جمال حسّيّ في صورة حسنة معشوقة يعطيها البصر في نساء كاعبات، و وجوه حسان و ألوان متنوعة و أشجار و أنهار.

٢-٢-٢ (النفس الناطقة هي الّتي تلتذّ بالمناظر الجميلة)

كلّ ذلك تنقله الحواسّ إلى النفس الناطقة فتلتذّ به من جهة طبيعتها، و لو لم يلتذّ به إلّا الرّوح الحسّاس الحيوانيّ لا النّفس الناطقة لكان الحيوان يلتذّ بالوجه الحسان الجميل من المرأة المستحسنة و الغلام الحسن الوجه و الألوان و المصاغ، فلمّا لم نر شيئا من الحيوان يلتذّ بشيء من ذلك علمنا قطعنا أنّ النّفس الناطقة هي الّتي تلتذّ بجميع ما تعطيه القوّة الحسيّة ممّا تشاركها في إدراكه الحيوانات و ممّا لا تشاركها فيه.

٢-٢-٣ (الجنّة المحسوسة و الجنّة المعنويّة)

و اعلم أنّ اللّه خلق هذه الجنّة المحسوسة بطالع الأسد الّذي هو الإقليد، و برجه هو الأسد، و خلق الجنّة المعنويّة الّتي هي روح هذه الجنة المحسوسة من الفرح الإلهيّ من صفة الكمال و الابتهاج و السرور، فكانت الجنّة المحسوسة كالجسم، و الجنّة المعقولة كالروح و قواه، و لهذا سمّاها الحقّ تعالى: الدار الحيوان، لحياتها فأهلها يتنعّمون فيها حسّا و معنى، و المعنى الّذي هو اللطيفة الإنسانيّة.

و الجنّة أيضا أشدّ تنعّما بأهلها الداخلين فيها، و لهذا تطلب ملأها من الساكنين، و قد ورد خبر عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«أنّ الجنّة اشتاقت إلى بلال و عليّ و عمّار و سلمان».

فوصفها بالشوق إلى هؤلاء، و ما أحسن موافقة هذه الأسماء لما في الشوق من المعاني، فإنّ الشوق من المشتاق، فيه ضرب ألم لطلب اللقاء، و بلال من: «أبلّ الرجل من مرضه و استبلّ»، و يقال: «بل الرجل من دائه». و بلال معناه.

و سلمان من السلامة من الآلام و الأمراض، و عمّار أي بعمارتها بأهلها يزول منها ألمها، فانّ اللّه سبحانه يتجلّى لعباده، فعليّ يعلو بذلك التجلّي شأنها على النار الّتي هي أختها حيث فازت بدرجة التجلّي و الرؤية، إذا كانت النار دار حجاب، فانظر في موافقة هذه الأسماء الأربعة لصورة حال الجنّة حين وصفها بالشوق إلى هؤلاء الأصحاب من المؤمنين.

۲-۲-۴ (مراتب الناس بالنسبة إلى الجنّة)

و النّاس على أربع مراتب في هذه المسألة، فمنهم من يشتهي و يشتهى، و هم الأكابر من رجال اللّه، من رسول و نبيّ و وليّ و كامل.

و منهم من يشتهى و لا يشتهي، و هم أصحاب الأحوال من رجال اللّه المهيّمون في جلال اللّه الّذين غلب معناهم على حسّهم و هم دون الطبقة الأولى فإنّهم أصحاب أحول.

و منهم من يشتهي و لا يشتهى و هم عصاة المؤمنين. و منهم من لا يشتهي و لا يشتهى و هم المكذّبون بيوم الدّين و القائلون بنفي الجنّة المحسوسة، و لا خامس لهؤلاء الأربعة الأصناف.

۲-۲-۵ (مراتب الجنّة و الأعمال)

و اعلم أنّ الجنّات ثلاث جنّات:

جنّة اختصاص إلهي و هي الّتي يدخلها الأطفال الّذين لم يبلغوا حدّ العمل، و حدّهم من أوّل ما يولد إلى يستهل صارخا إلى انقضاء ستّة أعوام، و يعطي اللّه من شاء من عباده من جنّات الإختصاص ما شاء، و من أهلها المجانين الذين ما عقلوا، و من أهلها أهل التوحيد العلمي، و من أهلها أهل الفترات و من لم تصل إليه دعوة رسول.

و الجنّة الثانية، جنّة ميراث ينالها كلّ من دخل الجنّة ممن ذكرنا و من المؤمنين، و هي الأماكن الّتي كانت معيّنة لأهل النار لو دخلوها.

و الجنّة الثالثة، جنة الأعمال، و الّتي ينزل النّاس فيها بأعمالهم، فمن كان أفضل من غيره، في وجوه التفاضل كان له من الجنّة أكثر، و سواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أنّه فضله في هذا المقام بهذه الحالة، فما من عمل من الأعمال إلّا و له جنّة و يقع التفاضل بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم.

٢-٢-٦ (من يدوم على الطهارة له الجنّة المخصوصة)

و ورد في الحديث الصحيح عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال لبلال:

«يا بلال بم سبقتني إلى الجنّة، فما وطئت منها موضعا (ما دخلت الجنة قطّ) إلّا سمعت خشخشتك أمامي»؟

فقال: يا رسول اللّه! ما أحدثت قطّ إلّا توضأت، و لا توضّأت إلّا صلّيت ركعتين، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«بهما (بهذا)».

فعلمنا أنّها كانت جنّة مخصوصة بهذا العمل.

فكأنّ رسول صلّى اللّه عليه و آله يقول لبلال: بم نلت أن تكون مطرّقا بين يدي تحجبني، من أين لك هذه المسابقة إلى هذه المرتبة، فلمّا ذكر له ذلك قال له صلّى اللّه عليه و آله: بهما.

فما من فريضة و لا نافلة، و لا فعل خير، و و لا ترك محرّم و مكروه إلّا و له جنّة مخصوصة و نعيم خاص يناله من دخلها.

٢-٢-٧ (مراتب الأعمال في الفضيلة بالأمكنة و الأزمنة و الأحوال و غيرها)

و التفاضل على مراتب: فمنها بالسنّ، و لكن في الطاعة و الإسلام، فيفضل الكبير السنّ على الصغير السنّ إذا كانا في مرتبة واحدة من العمل بالسنّ، فإنّه أقدم منه فيه، و يفضل أيضا بالزمان فإنّ العمل في رمضان، و في يوم الجمعة، و في ليلة القدر، و في عشر ذي الحجّة، و عاشورا، أعظم من ساير الأزمان، وكلّ زمان عيّنه الشارع.

و تقع المفاضلة بالمكان كالمصلّي في المسجد الحرام أفضل من صلاة المصلّي في مسجد المدينة، وكذلك الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى، و هكذا فضل الصلاة في المسجد الأقصى على ساير المساجد.

و يتفاضلون أيضا بالأحوال: فإنّ الصّلاة في الجماعة في الفريضة أفضل من صلاة الشّخص وحده، و أشباه هذا.

و يتفاضلون بالأعمال: فإنّ الصّلاة أفضل من إماطة الأذى، و قد فضّل اللّه الأعمال بعضها على بعض.

و يتفاضلون أيضا في نفس العمل الواحد: كالمتصدّق على رحمه، فيكون صاحب صلة رحم و صدقة، و المتصدّق على غير رحمه دونه في الأجر، وكذلك من أهدى هديّة لشريف من أهل البيت أفضل ممّن أهدى لغير شريف، أو برّه أو أحسن إليه.

و وجوه المفاضلة كثيرة في الشرع و إن كانت محصورة، و لكن أريتك منها أنموذجا تعرف به ما قصدناه بالمفاضلة.

و الرّسل عليهم السّلام إنّما ظهر فضلها في الجنّة على غيرها بجنّة الإختصاص، و أمّا بالعمل فهم في جنّات الأعمال بحسب الأحوال كما ذكرنا، فكلّ من فضل غيره ممّن ليس في مقامه فمن جنّات الإختصاص لا من جنّات الأعمال.

٢-٢-٨ (جمع الأعمال و الأجور في زمان واحد)

و من الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالا كثيرة، فيصرّف سمعه فيما ينبغي، في زمان تصريفه بصره، في زمان يده، في زمان صومه، في زمان صدقته، في زمان صلاته، في زمان ذكره، في زمان نيّته من فعل و ترك، فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممّن ليس له ذلك.

و لذلك لمّا ذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الثمانية الأبواب من الجنّة أن يدخل من أيّها شاء، قال بعض الصّحابة: يا رسول اللّه و ما على الإنسان أن يدخل من الأبواب كلّها، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أرجو أن تكون منهم يا فلان».

فأراد بذلك الصّحابي ما ذكرنا أن يكون الإنسان في زمان واحد في أعمال كثيرة تعمّ أبواب الجنّة.

و من هنا أيضا يعرف النشأة الآخرة، فكما لا تشبه الجنّة الدنيا في أحوالها كلّها و إن اجتمعت في الأسماء، كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا و إن اجتمعتا في الأسماء و الصورة الشخصيّة، فإنّ الروحانيّة على نشأة الآخرة أغلب من الحسيّة، و قد ذقناه في هذه الدار الدنيا مع كثافة هذه النشأة، فيكون الإنسان بعينه في أماكن كثيرة، و أمّا عامّة النّاس فيدركون ذلك في المنام.

٢-٢-٩ (ابن عربي و رؤياه بناء الكعبة على الفضّة و الذهب)

و لقد رأيت رؤيا لنفسي في هذا النوع و أخذتها بشرى من اللّه، فإنّها مطابقة لحديث نبويّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السّلام:

«مثلي في الأنبياء عليهم السّلام مثل رجل بنى حائطا فأكمله إلّا لبنة واحدة، فكنت أنا تلك اللّبنة، فلا رسول بعدي و لا نبيّ».

فشبّه النبوّة بالحائط، و الأنبياء باللّبن الّتي قام بها هذا الحائط، (و هو تشبيه في غاية الحسن) فإنّ مسمّى الحائط هذا، المشار إليه لم يصحّ ظهوره إلّا باللّبن، فكان صلّى اللّه عليه و آله خاتم النبيين.

فكنت بمكّة سنّة تسع و تسعين و خمس مائة، أرى فيها- فيما يرى النائم- الكعبة مبنيّة بلبن فضّة و ذهب لبنة فضّة، و لبنة ذهب، و قدكملت بالبناء و ما بقي فيها شيء و أنا أنظر إليها و إلى حسنها، فالتفّت إلى الوجه الّذي بين الركن اليمانيّ و الركن الشاميّ، هو الى الركن الشاميّ أقرب موضع لبنتين: لبنة فضّة و لبنة ذهب، ينقص في الحائط في الصفين: في الصّف الأعلى ينقص لبنة ذهب، و في الصّف الّذي يليه ينقص لبنة فضّة، فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللّبنتين، فكنت أنا عين تينك اللبنتين، وكمل الحائط، و لم يبق في الكعبة شيء ينقص و أنا واقف أنظر، و أعلم أنّي واقف، و أعلم أنّي تينك اللبنتين لا أشكّ في ذلك و أنّهما عين ذاتي، و استيقظت فشكرت اللّه تعالى، و قلت متأوّلا: إنّي في الأتباع في صنفي كرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في الأنبياء عليهم السّلام، و عسى أن أكون ممن ختم اللّه الولاية بي، و ما ذلك على اللّه بعزيز.

و ذكرت حديث النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في ضربه المثل بالحائط و أنّه كان تلك اللّبنة، فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكّة من أهل توزر، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، و ما سمّيت له الرّائي من هو؟ فاللّه أسأل أن يتمّها عليّ بكرمه، فإن الإختصاص الإلهي لا يقبل التحجير و لا الموازنة و لا العمل، و أنّ ذلك من

فضل اللّه «يختصّ برحمته من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم».

٢-٢-١٠ (في بيان درجات جنة الأعمال)

و اعلم أن جنّة الأعمال مائة درجة لا غير، كما أنّ النار مائة درك، غير أنّ كلّ درجة تنقسم إلى منازل، فلنذكر من منازلها ما يكون لهذه الأمّة المحمّدية و ما تفضل به ساير الأمم فإنّها:

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [آل عمران: ١١٠].

بشهادة الحقّ في القرآن و تعريفه، و هذه المائة درجة في كلّ جنّة من الثمان الجنّات و صورتها جنّة في جنّة، و أعلاها جنّة عدن و هي قصبة الجنّة فيها الكثيب الّذي يكون اجتماع النّاس فيه لرؤية الحقّ تعالى، و هي أعلى جنّة في الجنّات، هي في الجنّات بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار، بين كلّ سورين جنّة، فالّتي تلي جنّة عدن إنّما هي جنّة الفردوس و هي أوسط الجنّات الّتي دون جنّة عدن و أفضلها ثمّ جنة الخلد، ثمّ جنّة النعيم، ثمّ جنّة المأوى، ثمّ دار السّلام، ثمّ دار المقامة.

٢-٢-١١ (كرامة الخاتم صلّى اللّه عليه و آله و أمّته)

و أمّا الوسيلة فهي أعلى درجة في جنة عدن، و هي لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حصلت له بدعاء أمّته، فعل ذلك الحقّ سبحانه حكمة أخفاها، فإنّا بسببه نلنا السعادة من اللّه، و به كنّا «خير أمّة أخرجت للنّاس»، و به ختم اللّه بنا الأمم كما ختم به النبيّين و هو صلّى اللّه عليه و آله بشركما أمر أن يقول، و لنا وجه خاص إلى اللّه عزّ و جلّ نناجيه منه و يناجينا، و هكذا كلّ مخلوق له وجه خاصّ إلى ربّه فأمرنا عن أمر اللّه أن ندعوا بالوسيلة حتّى ينزل فيها، و ينالها بدعاء أمّته، فافهم هذا الفضل العظيم، و هذا من باب الغيرة الإلهيّة إن فهمت، فلقدكرّم اللّه هذا النبيّ و هذه الأمّة.

فتحوي درجات الجنّة من الدّرج فيها على خمسة آلاف درج و مائة درج و خمسة أدراج لا غير، و قد تزيد على هذا العدد بلا شكّ و لكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف، ممّا يجري مجرى الأنواع من الأجناس.

٢-٢-١٢ (مختصّات الأمّة المحمّدية من درجات الجنّة)

و الّذي اختصّت به هذه الأمّة المحمديّة على سائر الأمم، من هذه الأدراج اثنا عشر درجا لا غير، لا يشاركها فيها أحد من الأمم، كما فضل صلّى اللّه عليه و آله غيره من الرسل في الآخرة بالوسيلة و فتح باب الشفاعة، و في الدنيا بستّ لم يعطها نبيّ قبله، كما ورد في الحديث من حديث سلم بن الحجاج فذكر منها عموم رسالته و تحليل الغنائم، و النصر بالرعب، و جعلت له الأرض كلّها مسجدا، و جعلت تربتها له طهورا، و أعطي مفاتيح خزائن الأرض.

٢-٢-١٣ (في مراتب أهل الجنّة و أصنافها)

و اعلم، أن أهل الجنّة أربعة أصناف: الرسل، و هم الأنبياء، و الأولياء و هم أتباع الرسل على بصيرة و بيّنة من ربهم، و المؤمنون و هم المصدّقون بهم عليهم السلاح، و العلماء بتوحيد اللّه أنّه لا إله إلّا هو من حيث الأدلّة العقليّة، قال اللّه تعالى:

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ [آل عمران: ١٨].

و هؤلاء هم الّذين أريد (أريده) بالعلماء، و فيهم يقول اللّه تعالى:

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ [المجادلة: ١١].

٢-٢-١٤ (الطريق الموصل إلى العلم باللّه سبحانه هو الكشف و العقل)

و الطريق الموصلة إلى العلم باللّه طريقان لا ثالث لهما، و من وحّد اللّه من غير هذين الطريقين فهو مقلّد في توحيده:

الطريق الواحدة: طريق الكشف، و هو علم ضروريّ يحصل عند الكشف يجده الإنسان في نفسه، لا يقبل معه شبهة و لا يقدر على دفعه و لا يعرف لذلك دليلا يستند إليه ما يجده في نفسه إلّا بعضهم، فإنّه قال: يعطي الدليل و المدلول في كشفه، فإنّه ما (لا) يعرف إلّا بالدليل فلا بدّ أن يكشف له عن الدليل، وكان يقول بهذه المقالة صاحبنا أبو عبد اللّه بن الكتاني بمدينة فاس، سمعت ذلك منه و أخبر عن حاله و صدق، و أخطأ في أن الأمر لا يكون إلّا كذلك، فإنّ غيره يجد ذلك في نفسه ذوقا من غير أن يكشف له عن الدليل، و إمّا أن يحصل له عن تجلّ إلهيّ يحصل له، و هم الرسل و الأنبياء و بعض الأولياء.

و الطريق الثاني طريق الفكر و الاستدلال بالبرهان العقلي، و هذا الطريق دون الطريق الأوّل، فإنّ صاحب النظر في الدليل قد تدخل عليه الشبه القادحة في دليله، فيتكلّف الكشف عنها و البحث على وجه الحقّ في الأمر المطلوب، و ما ثمّ طريق ثالث.

فهؤلاء هم أولوا العلم الّذين شهدوا بتوحيد اللّه، و لفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد اللّه دلالة و نظر (نظرا) زيادة علم على التوحيد، بتوحيد في الذات بأدلّة قطعيّة لا يعطاها كلّ أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها.

٢-٢-١٥ (طوائف أهل الجنّة و مقاماتهم)

و هؤلاء الأربع الطوائف يتميّزون في جنّات عدن عند رؤية الحقّ في الكثيب الأبيض، و هم فيه على أربعة مقامات:

طائفة منهم أصحاب منابر و هي الطبقة العليا: الرسل و الأنبياء.

و الطائفة الثانية، هم الأولياء، ورثة الأنبياء قولا و عملا و حالا، و هم على بيّنة من ربهم و هم أصحاب الأسرّة و العرش.

و الطبقة الثالثة، العلماء باللّه من طريق النظر البرهاني العقليّ و هم أصحاب الكراسي.

و الطبقة الرابعة، و هم المؤمنون المقلّدون في توحيدهم و لهم المراتب، و هم في الحشر مقدّمون على أصحاب النظر العقلي و هم في الكثيب عند النظر يتقدّمون على المقلّدين.

٢-٢-١٦ (زيارة أهل الجنان الحق سبّحانه و تجلّيه تعالى لهم)

فإذا أراد اللّه أن يتجلّى لعباده في الزّور العام نادى منادي الحقّ في الجنّات كلّها: يا أهل الجنان حيّ على المنّة العظمى و المكانة الزلفى و المنظر الأعلى، هلمّوا إلى زيارة ربّكم في جنّة عدن، فيبادرون إلى جنّة عدن فيدخلونها، وكلّ طائفة قد عرفت مرتبتها و منزلتها فيجلسون.

ثمّ يؤمر بالموائد فتصبّ، (فتنصب) بين أيديهم موائد اختصاص ما رأوا مثلها، و لا تخيّلوه في حياتهم و لا جنّاتهم جنّات الأعمال.

وكذلك الطعام، ما ذاقوا مثله في منازلهم، وكذلك ما تنالوه من الشراب، فإذا فرغوا من ذلك خلعت عليهم من الخلع ما لم يلبسوا مثلها فيما تقدّم، و مصداق ذلك قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«فيها مالا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر».

فإذا فرغوا من ذلك قاموا إلى كثيب من المسك الأبيض فأخذوا منازلهم فيه على قدر علمهم باللّه لا على قدر عملهم، فإن العمل مخصوص بنعيم الجنان لا بمشاهدة الرحمن، فبيناهم على ذلك إذا بنور قد بهرهم فيخرون سجّدا فيسري ذلك النور في أبصارهم ظاهرا، و في بصائرهم باطنا، و في أجزاء أبدانهم كلّها، و في لطائف نفوسهم، فيرجع و يسمع بذاته كلّها، (كما سمع موسى كلام ربّه من جميع الجهات و جميع أعضائه) فهذا يعطيهم ذلك النور فيه يطيقون المشاهدة و الرؤية، و هي أتم من المشاهدة، فيأتيهم رسول (من) اللّه يقول لهم: «تأهبوا لرؤية ربّكم جلّ جلاله فها هو يتجلّى لكم»، فيتأهبون فيتجلّى الحقّ جلّ جلاله، (و) بينه و بين خلقه ثلاثة حجب: حجاب العزّة، و حجاب الكبرياء، و حجاب العظمة، فلا يستطيعون نظرا إلى تلك الحجب فيقول اللّه جلّ جلاله لأعظم الحجبة عنده: ارفعوا الحجب بيني و بين عبادي حتّى يروني، فترفع الحجب، فتجلّى لهم الحقّ جلّ جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجليل (الجميل) اللطيف إلى أبصارهم، وكلّهم بصر واحد، فينفهق عليهم نور يسري في ذواتهم، فيكونون به سمعا كلّهم، و قد أبهتهم جمال الربّ فأشرقت ذواتهم بنور ذلك الجمال الأقدس».

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من حديث النقاش في مواقف القيامة، و هذا تمامه، فيقول اللّه جلّ جلاله:

«سلام عليكم عبادي و مرحبا بكم حيّاكم اللّه، سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحيّ القيوم، طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ [الزمر: ٧٣].

طابت لكم الجنّة، فطيّبوا أنفسكم بالنعيم المقيم، و الثواب من الكريم، و الخلود الدائم، أنتم المؤمنون الآمنون، و أنا اللّه المؤمن المهيمن، شققت لكم اسما من أسمائي لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون.

أنتم أوليائي و جيراني و أصفيائي و خاصّتي و أهل محبّتي، و في داري سلام عليكم، يا معشر عبادي المسلمين! أنتم المسلمون، و أنا السّلام و داري دار السلام، سأريكم وجهي، كما سمعتم كلامي، فإذا تجليت لكم، وكشفت عن وجهي الحجب فاحمدوني، و أدخلوا إلى داري غير محجوبين عنّي بسلام آمنين، فردّوا عليّ و أجلسوا حولي، حتّى تنظروا إليّ و تروني من قريب، فأتحفكم بتحفي، و أجيزكم بجوائزي، و أخصّكم بنوري، و أغشيكم بجمالي، و أهب لكم من ملكي، و أفاكهكم بضحكي، و أغلّفكم بيديّ و أشمّكم روحي و أنا ربّكم الّذي كنتم تعبدوني و لم تروني، تحبّوني و تخافوني، و عزّتي و جلالي و علوّي وكبريائي و بهائي و سنائي، إنّي عنكم راض، و أحبّكم و أحبّ ما تحبّون، و لكم عندي ما تشتهي أنفسكم، و تلذّ أعينكم، و لكم عندي ما تدّعون، و ما شئتم وكلّ ما شئتم أشاء، فاسألوني و لا تحتشموا و لا تستحيوا و لا تستوحشوا، و إنّي أنا اللّه الجواد الغنيّ الملّي الوفيّ الصادق.

و هذه داري قد أسكنتكموها، و جنّتي و قد أبحتكموها، و نفسي قد أريتكموها، و هذه يدي ذات الندى و الظل

مبسوطة ممتدة عليكم لا أقبضها عنكم، أنا أنظر إليكم لا أصرف بصري عنكم، فاسألوني ما شئتم و اشتهيتم، فقد آنستكم بنفسي و أنا لكم أنيس و جليس.

فلا حاجة و لا فاقة بعد هذا، و لا بؤس و لا مسكنة، و لا ضعف و لا هرم و لا سخط و لا حرج و لا تحويل أبدا سرمدا.

نعيمكم نعيم الأبد و أنتم الآمنون المقيمون الماكثون المكرمون المنعمون، و أنتم السّادة الأشراف الّذين أطعتموني، و اجتنبتم محارمي فارفعوا إليّ حوائجكم أقضيها لكم، وكرامة و نعمة».

قال: فيقولون: «ربّنا ماكان هذا أملنا و لا أمنيّتنا، و لكن حاجتنا إليك:

النّظر إلى وجهك الكريم أبدا، و رضى نفسك عنا»، فيقول لهم العليّ الأعلى مالك الملك السخيّ الكريم تبارك و تعالى:

«فهذا وجهي بارز لكم أبدا سرمدا، فانظروا إليه و أبشروا، فإنّ نفسي عنكم راضية فتمتعوا و قوموا إلى أزواجكم فعانقوا و انكحوا، و إلى ولائدكم ففاكهوا، و إلى غرفكم فادخلوا، و إلى بساتينكم فتنزهوا، و إلى دوابّكم فاركبوا، و إلى فرشكم فاتكئوا، و إلى جواريكم و سراريكم في الجنان فاستأنسوا، و إلى هداياكم من ربّكم فاقبلوا، و إلى كسوتكم فالبسوا، و إلى مجالسكم فتحدثوا، ثم قيلوا قائلة لا نوم فيها و لا غائلة في ظل ظليل، و أمن مقيل و مجاورة الجليل، ثمّ روحوا إلى نهر الكوثر، و الكافور، و الماء المطهّر، و السلسبيل، الزنجبيل، فاغتسلوا، و تنعّموا، طوبى لكم و حسن مآب، ثمّ روحوا فانكئوا على الرفارف الخضر، و العبقريّ الحسان، و الفرش المرفوعة في ظلّ ممدود، و الماء المسكوب، و الفاكهة الكثيرة، لا مقطوعة و لا ممنوعة».

ثم تلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الْأَرائِكِ مُتَّكِؤُنَ لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ وَ لَهُمْ ما يَدَّعُونَ سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ [يس: ٩- ٥٨].

ثمّ تلا هذه الآية:

أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا [الفرقان: ٢٥].

إلى هاهنا (هنا) انتهى ما حدّثنا أبو بكر (حديث أبي بكر) النّقاش الّذي أسندناه في باب القيامة قبل هذا في حديث المواقف.

٢-٢-١٧(تجلّي الحقّ سبحانه بدون الحجاب)

ثمّ إنّ الحقّ تعالى بعد هذا الخطاب يرفع الحجاب و يتجلّى لعباده فيخرون سجّدا، فيقول لهم: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا موطن سجود، يا عبادي ما دعوتكم إلّا لتنعموا بمشاهدتي، فيمسكهم في ذلك ما شاء اللّه.

فيقول لهم: «هل بقي لكم شيء بعد هذا»؟ فيقولون: «يا ربّنا، و أيّ شيء بقي، و قد نجيتنا من النار و أدخلتنا دار رضوانك و أنزلتنا بجوارك و خلعت علينا ملابس كرمك و أريتنا وجهك»؟.

فيقول الحقّ جلّ جلاله: «بقي لكم، فيقولون: يا ربّنا و ما ذاك الّذي بقي؟ فيقول: دوام رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا».

فما أحلاها من كلمة، و ما ألذّها من بشرى، فبدأ سبحانه بالكلام خلقنا فقال: «كن، فأوّل شيء كان لنا منه السماع، فختم بما به بدأ، فقال هذه المقالة فختم بالسماع و هو هذه البشرى، و يتفاضل الناس في رؤيته سبحانه، و يتفاوتون فيها تقاوتا عظيما على قدر علمهم، فمنهم من يقول سبحانه لملائكته: ردّوهم إلى قصورهم فلا يهتدون لأمرين: لما طرأ عليهم من سكر الرؤية، و لما زادهم من الخير في طريقهم فلم يعرفوها، فلو لا أن الملائكة تدلّ بهم ما عرفوا منازلهم، فإذا وصلوا إلى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور و الولدان، فيرون جميع ملكهم قد اكتسى بهاءا و جمالا و نورا من وجوههم، أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم: لقد زدتم نورا و بهاءا و جمالا ما تركناكم عليه، فيقول لهم أهلهم:

وكذاكم أنتم قد زدتم من البهاء و الجمال ما لم يكن فيكم عند مفارقتكم إيّانا فينعم بعضهم ببعض».

۲-۲-۱۸ (الجنّة فيها الرحمة المطلقة)

و اعلم، أنّ الرّاحة و الرحمة مطلقة في الجنّة كلّها، و إن كانت الرّاحة (الرحمة) ليست بأمر وجوديّ، و إنّما هي عبارة عن الأمر الّذي يلتّذ به و يتنعم (به) المرحوم، و ذلك هو الأمر الوجودي فكلّ من في الجنّة متنعّم، وكلّ ما فيها نعيم، فحركتهم ما فيها نصب و أعمالهم ما فيها لغوب إلّا راحة النّوم ما عندهم، لأنّهم ما ينامون، فما عندهم من نعيم النوم شيء.

۲-۲-۱۹ (خمود النار رحمة لأهل الجحيم)

و نعيم النوم هو الّذي يتنعم به أهل النار خاصّة، فراحة النوم محلّها جهنّم، و من رحمة اللّه بأهل النّار في أيّام عذابهم خمود النار عنهم، ثمّ تسعر بعد ذلك عليهم فيخفف (فيخف) عنهم بذلك من آلام العذاب على قدر ما خبت النّار، قال تعالى:

كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً [الإسراء: ۹۷].

و هذا يدلّك أن النار محسوسة بلا شك فإنّ النّار ما تتّصف بهذا الوصف إلّا من كون قيامها بالأجسام، لأنّ حقيقة النّار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها و لا الزّيادة و لا النقص، و إنّما هو الجسم المحرق بالنار، هو الّذي يسجر بالناريّة.

و إن حملنا هذه الآية على الوجه الآخر قلنا: قوله تعالى: «كلّما خبت»، يعني النّار المسلّطة على أجسامهم، «زدنا»، يعني: المعذّبين سعيرا، فإنّه لم يقل: زدناها، و معنى ذلك أنّ العذاب ينقلب إلى بواطنهم فهو (و هو) أشدّ العذاب الحسّي يشغلهم عن العذاب المعنوي، فإذا خبت النّار في ظواهرهم، و وجدوا الرّاحة من حيث حسّهم سلّط اللّه عليهم في بواطنهم التفكّر فيما كانوا فرّطوا فيه من الأمور الّتي لو عملوا بها لنالوا السعادة، و تسلّط عليهم الوهم بسلطانه فيتوهّمون عذابا أشدّ ممّا كانوا فيه، فيكون عذابهم بذلك التوهّم في نفوسهم أشدّ من حلول العذاب المقرون بتسلّط النار المحسوسة على أجسامهم، و تلك النار الّتي أعطاها الوهم هي النار الّتي:

تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ [الهمزة: ۷].

و هي الّتي قلنا فيها:

النار ناران: نار كلّها لهب و نار معنى على الأرواح تطلّع
و هي الّتي مالها سفع و لا لهب لكن لها ألم في القلب ينطبع

٢-٢-٢٠ (تحقّق التمنّي في الجنّة)

وكذلك أهل الجنّة يعطيهم اللّه من الأمانيّ و النعيم المتوهّم فوق ما هم عليه، فما هو إلّا أنّ الشخص منهم يتوهم ذلك أو يتمناه، فيكون فيه بحسب ما يتّوهمه أو يتمنّاه إن تمنّاه معنى كان معنى، أو توهّمه حسّا كان محسوسا أيّ ذلك كان.

أمانيّ إن تحصل تكن أحسن المنى و إلّا فقد عشنا بها زمنا رغدا

و ذلك النعيم من جنّات الإختصاص و نعيمها و هو جزاء لما كان يتوهّم هنا و يتمنّى أن لو قدر و تمكّن أن يكون ممّن لا يعصي اللّه طرفة عين، و أن يكون من أهل طاعته، و أن يلحق بالصالحين من عباده، و لكن قصرت به العناية في الدنيا فيعطى هذا التمنّي في الجنّة فيكون له ما تمنّاه و توهّمه، و أراحه اللّه في الدنيا من تلك الأعمال الشاقّة و لحق في الآخرة بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات العلى.

و قد ثبت عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، في الرّجل الّذي لا قوّة له و لا مال، فيرى ربّ المال الموفّق يتصدق و يعطي و يفكّ الرقاب (في فكّ الرقاب) و يوسّع على الناس و يصل الرحم و يبني المساجد و يعمل أعمالا لا يمكن أن يصل إليها إلّا ربّ المال، و يرى أيضا من هو أجلد منه على العبادات الّتي ليس في قوّة جسمه أن يقوم بها، و يتمنّى أنّه لوكان له مثل صاحبه من القوّة و المال لعمل مثل عمله، قال صلّى اللّه عليه و آله:

«فهما في الآخرة (الأجر) سواء».

و معنى ذلك أنّه يعطى في الجنّة مثل ذلك التمني من النعيم الّذي أنتجته تلك الأعمال، فيكون له ما تمنّى و هو أقوى في اللذّة و النعيم ممّا لو وجدوه في الجنّة قبل هذا التمنّي فلمّا انفعل عن تمنّيه كان النعيم به أعلى.

ممن جنّات الإختصاص ما يخلق اللّه له من همّته و تمنّيه، فهو اختصاص عن عمل معقول متوهّم و تمنّ لم يكن له وجود ثمرة في الدنيا و هو الّذي عنينا بالاختصاص في قولنا:

مراتب الجنّة مقسومة ما بين أعمال و بين اختصاص
فيا أولي الألباب سبقا على نجب من أعمالكم لا مناص
إن بلى لم تعط أطفالنا من أثر الأعمال غير الخلاص
لأنّه لم يك شرعا لهم فهو اختصاص ما لديه انتقاص

فأردنا بالاختصاص الثاني، ما لا يكون عن تمنّ و لا توهّم و أردنا بالاختصاص الأوّل ما يكون عن تمنّ و توهّم الّذي هو جزاء عن تمنّ و توهم في الدنيا.

و أما الأمانيّ المذمومة فهي الّتي لا تكون لها ثمرة و لكن صاحبها بتنعّم بها في الحال كما قيل:

أمانيّ إن تحصل تكن أحسن المنى و إلّا فقد عشنا بها زمنا رغدا

و لكن تكون حسرة في المآل، و فيها قال اللّه تعالى:

وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ [الحديد: ۱۴].

و فيها يقال:

أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا [الفرقان: ۲۴].

لأنّه لا مفاضلة بين الخير و الشرّ، فما كان خير أصحاب الجنّة أفضل و أحسن إلّا من كونه واقعا وجوديّا محسوسا، فهو أفضل من الخير الّذي كان الكافر يتوهمه في الدنيا و يظنّ أنّه يصل إليه بكفره لجهله فلهذا قال فيه:«خير و أحسن».

فأتى ببينة المفاضلة و هي، «أفعل»، من كذا، فافهم هذا المعنى، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

(الباب الحادي و الستّون)

۲-۳ في معرفة جهنم و أعظم المخلوقات فيها عذابا و معرفة بعض العالم العلوي

۲-۳-۱ (في أنّ جهنّم سجن اللّه سبحانه في الآخرة)

اعلم عصمنا اللّه و إيّاك أنّ جهنّم من أعظم المخلوقات و هي سجن اللّه في الآخرة يسجن فيه المعطّلة و المشركون و هي لهاتين الطائفتين دار مقامة، و الكافرون و المنافقون و أهل الكبائر من المؤمنين قال تعالى:

وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً [الإسراء: ۸].

ثمّ يخرج بالشفاعة ممّن ذكرنا، و بالامتنان الإلهي من جاء النصّ الإلهي فيه.

۲-۳-۲ (وجه تسمية جهنّم بجهنّم)

و سمّيت جهنّم جهنّم لبعد قعرها، يقال: بئر جهنّم إذا كانت بعيدة القعر، و هي تحوي على حرور و زمهرير، ففيها البرد على أقصى درجاته و الحرور على أقصى درجاته، و بين أعلاها و قعرها خمس و سبعون مائة من السنين.

۲-۳-۳ (في أن جهنم هل هي موجودة الآن)

و أختلف الناس في خلقها، هل خلقت بعد أو (أم) لم تخلق؟ و الخلاف مشهور فيها، وكلّ واحد من الطائفتين يحتج فيما ذهب إليه بما يراه حجّة عنده، وكذلك اختلفوا في الجنّة.

و أمّا عندنا، و عند أصحابنا أهل الكشف و التعريف فهما مخلوقتان، غير مخلوقتين.

فأمّا قولنا: مخلوقة، فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلّها الحاوية عليها خاصّة فقال (فيقال): قد بنى دارا فإذا دخلها لم ير إلّا سورا دائرا (على) فضاء و ساحة، ثمّ بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت و غرف و سراديب و مهالك و مخازن، و ما ينبغي أن يكون فيها ممّا يريده الساكن أن يجعل فيها من الآلات الّتي تستعمل في عذاب الداخل فيها.

و هي دار حرورها محترق، لا جمر لها سوى بني آدم و الأحجار المتّخذة آلهة، و الجنّ لهبها، قال تعالى:

وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ [البقرة: ۲۴].

و قال:

إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ [الأنبياء: ۹۸].

و قال تعالى:

فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ [الشعراء: ۶- ۹۵].

و تحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجنّ و الإنس الّذين يدخلونها.

و أوجدها اللّه بطالع الثور، و لذلك كان خلقها في الصّورة، صورة الجاموس سواء، هذا الّذي يعوّل عليه عندنا.

و بهذه الصورة رآها أبو الحكم بن برجان في كشفه، و قد تمثّل لبعض الناس من أهل الكشف في صورة حيّة فيتخيّل أنّ تلك الصورة هي الّتي جعلها اللّه عليها كأبي القاسم بن قسّي و أمثاله.

و لمّا خلقها اللّه تعالى، كان زحل في الثّور، وكانت الشّمس و الأحمر في القوس، وكان سائر الدراري في الجدي، و خلقها اللّه تعالى من تجلّى قوله في حديث مسلم:

«جعت فلم تطعمني، و ظمئت فلم تسقني، و مرضت فلم تعدني».

و هذا أعظم نزول نزله الحقّ الى عباده في اللطف بهم، فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم أعاذنا اللّه و إيّاكم منها، فلذلك تجبّرت على الجبابرة و قصمت المتكبرين.

۲-۳-۴ (النار و الآلام التي فيها من الغضب الإلهي)

و جميع ما يخلق فيها من الآلام الّتي يجدونها الداخلون فيها من صفة الغضب الإلهّي، و لا يكون ذلك إلّا عند دخول الخلق فيها من الجنّ و الإنس متى دخلوها، و أمّا إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها و لا في نفس ملائكتها بل هي و من فيها من زبانيتها في رحمة اللّه منغمسون ملتذّون يسبّحون لا يفترون، يقول تعالى:

وَ لا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى [طه: ۸۱].

أي ينزل بكم غضبي، فأضاف الغضب إليه، و إذا نزل بهم كانوا محلّا له، و جهنم إنّما هي مكان لهم و هم النازلون فيها و هم محلّ الغضب، و هو النازل بهم فإنّ الغضب هنا هو عين الألم.

فمن لا معرفة له ممّن يدّعى طريقتنا، و يريد أن يأخذ الأمر بالتمثيل و القوّة و المناسبة في الصفات فيقول: إن جهنم مخلوقة من القهر الإلهي و أنّ الإسم القاهر هو ربّها و المتجلّي لها، و لوكان الأمركما قاله لشغلها ذلك بنفسها عمّا وجدت له من التسلط على الجبابرة، و لم يتمكن لها أن تقول: «هل من مزيد»؟ و لا أن تقول: أكل بعضي بعضا فنزول الحقّ برحمته إليها الّتي وسعت كلّ شيء، و حنانه وسّع لها المجال في الدعوى و التسلّط على من تجبّر على من أحسن إليها هذا الإحسان و جميع ما تفعله بالكفار من باب شكر المنعم حيث أنعم عليها

فما تعرف منه سبحانه إلّا النّعمة المطلقة الّتي لا يشوبها ما يقابلها فالناس غالطون في شأن خلقها.

و من أعجب ما روينا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان قاعدا مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أ تعرفون ما هذه الهدّة؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم، قال: حجر ألقي من أعلى جهنّم منذ سبعين سنة، الآن وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها و سقوطه فيها هذه الهدّة».

فما فرغ من كلامه صلّى اللّه عليه و آله إلّا و الصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «اللّه أكبر» فعلم علماء الصحابة أنّ هذا الحجر هو ذاك المنافق، و أنّه منذ خلقه اللّه يهوى في نار جهنّم و بلغ عمره سبعين سنة فلمّا مات حصل في قعرها.

قال اللّه تعالى:

إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ [النساء: ۱۴۵].

فكان سماعهم تلك الهدّة الّتي أسمعهم اللّه، ليعتبروا، فانظر ما أعجب كلام النّبوّة و ما ألطف تعريفه، و ما أحسن إشارته، و ما أعذب كلامه صلّى اللّه عليه و آله.

۲-۳-۵ (تخاصم أهل النار في النار)

و لقد سألت اللّه أن يمثل لي من شأنها ما شاء، فمثّل لي حالة خصامهم فيها و هو قوله تعالى:

إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النّارِ [ص: ۶۴].

و قوله تعالى:

قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [الشعراء: ۹۶].

لضلالهم و آلهتهم، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ [الشعراء: ۹۸- ۹۹].

يريد بالجرمين أهل النار الّذين يعمرونها و لا يخرجون منها، يمتازون عن الّذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين و سابق العناية الإلهيّة في الموحّدين.

۲-۳-۶ (منع التنازع و رفع الصوت عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله)

فهذا مثّل لي في وقت منها، فما شبّهت خصامهم فيها إلّا لخصام أصحاب الخلاف في مناظرتهم، إذا استدل أحدهم، فإذا رأيت ذلك تذكرت الحالة الّتي أطّلعني اللّه عليها، و رأيت الرحمة كلّها في التسليم و التلقي من النبوّة، و الوقوف عند الكتاب و السنّة، و لقد عمى النّاس عن قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«عند نبيّ لا ينبغي تنازع».

و حضور حديثه صلّى اللّه عليه و آله كحضوره، لا ينبغي أن يكون عند إيراده تنازع و لا يرفع السامع صوته عند سرد الحديث النبّوي، فإنّ اللّه يقول:

لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ [الحجرات: ٢].

و لا فرق عند أهل اللّه بين صوت النبيّ أو حكاية قوله.

فما لنا إلّا التهيّؤ لقبول ما يرد به المحدّث من كلام النبوّة من غير جدال سواء كان ذلك الحديث جوابا عن سؤال أو أبتداء كلام، فالوقوف عندكلامه صلّى اللّه عليه و آله في المسألة أو النّازلة واجب فمتى ما قيل: قال اللّه، أو قال رسول اللّه، ينبغي أن يقبل و يتأدب السّامع و لا يرفع صوته على صوت المحدّث إذا قال: ما قال اللّه أو سرد الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، يقول اللّه تعالى:

فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ [التوبة: ۶].

و ما تلاه إلّا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و ما سمعه السامع إلّا منه، ثمّ إذا شاركه السامع في حال كلامه فهو ليس بسامع فإنّه من الآداب الّتي أدّب اللّه بنبيّه صلّى اللّه عليه و آله:

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ [طه: ١١۴].

و اللّه يقول:

لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ [الحجرات: ٢].

و توعّد على ذلك بحبط العمل من حيث لا يشعر الإنسان، فإنّه يتخيّل في ردّه و خصامه أنّه يذبّ عن دين اللّه و هذا من مكر اللّه الّذي قال فيه:

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ [الأعراف: ١٨٢].

و قال:

وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ [النمل: ۵٠].

فالعاقل المؤمن الناصح نفسه إذا سمع من يقول: قال اللّه، أو قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلينصت و يصغي و يتأدّب و يتفهم ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يقول اللّه:

وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الأعراف: ٢٠۴].

فأوقع الترجي مع هذه الصفة و ما قطع بالرحمة فكيف حال من خاصم و رفع صوته، و داخل التالي و سارد الحديث النبويّ في الكلام و أرجوا أن يكون الترجي الإلهي واجبا كما يراه العلماء.

و لمّا عاينت هذا المحلّ، رأيت عجبا و في هذه الرّؤية رأيت اعتماد الماء على الهواء، و هو من أعجب الأشياء في عمارة الأحياز و أن جوهرين لا يكونان في حيّز واحد، و أنّ الحيّز لمن شغله، و في هذه الرؤية علمت إبطال التوالد، و أنّ المحرّك للأشياء هو اللّه تعالى، و أنّ السبب لا أثر له في الفعل جملة واحدة، و في هذه الرؤية

علمت أن الألطف أقوى من الأكثف، فإنّ الهواء ألطف من الماء بلا شكّ، و قد منعه و لم يقاومه الماء في القوّة و منعه من النزول، فإنّي رأيت نفسي في الهواء و الماء فوقي و يمنعه الهواء من النزول إلى الأرض، و في هذه الرؤية علمت علوما جمّة كثيرة.

٢-٣-٧ (الخصومات ما بين أهل النار نفس عذابهم)

و في هذه الرؤية رأيت من دركات أهل النّار من كونها جهنم لا من كونها نارا، ما شاء اللّه أن يطلعني منها، و رأيت فيها موضعا يسمّى المظلمة، نزلت في درجة نحو خمسة أدراج، و رأيت مهالكها، ثمّ زجّ بي في الماء غلوا (علوا) فاحترقته، و قد رأيت عجبا و علمت في أحوال مخاصمتهم حيث يختصمون من الجحيم، و أن ذلك الخصام هو نفس عذابهم في تلك الحال، و أن عذابهم في جهنّم ما هو، من جهنّم، و إنّما جهنم دار سكناهم و سجنهم، و اللّه يخلق الآلام فيهم متى شاء، فعذابهم من اللّه و هم محلّ له.

٢-٣-٨ (باب الحجاب عن رؤية اللّه سبحانه باب من أبواب جهنم)

و خلق اللّه لجهنّم سبعة أبواب لكلّ باب جزء من العالم و من العذاب مقسوم، و هذه الأبواب السبعة مفتّحة، و فيها باب ثامن مغلق لا يفتح و هو باب الحجاب عن رؤية اللّه تعالى، و على كلّ باب ملك من الملائكة، ملائكة السماوات السبع عرفت أسمائهم هنالك و ذهبت عن حفظي إلّا إسماعيل فهو بقي على ذكري.

٢-٣-٩ (الكواكب في جهنم مظلمة)

و أمّا الكواكب كلّها فهي في جهنّم مظلمة الأجرام عظيمة الخلق، وكذلك الشمس و القمر و الطلوع و الغروب لهما في جهنّم دائما، فشمسها شارقة لا مشرقة، و التكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار من الكائنات، و ما تغيّر فيها من الصور في التبديل و الانتشار، و لهذا قال تعالى:

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا [غافر: ۴۶].

و الحالة مستمرة، ففي البرزخ يكون العرض و في الدار الآخرة يكون الدخول.

فذوات الكواكب فيها صورتها، صورة الكسوف عندنا سواء، غير أنّ وزن تلك الحركات في تلك الدار خلاف ميزانها اليوم، فإنّ كسوفها ما ينجلي، و هوكسوف في ذاتها لا في أعيننا و الهواء فيها (فيه) تطفيف، فيحول بين الأبصار و بين الإدراك الأنوارکلّها، فتبصر الأعين الكواكب المنتثرة غير نيّرة الأجرام كما نعلم قطعا أنّ الشّمس هنا في ذاتها نيّرة، و أنّ الحجاب القمري هو الّذي منع البصر أن يدركها أو يدرك نور القمر أو ما كان مكسوفا (و) لهذا في زمان كسوف لشيء (شيء) منها في موضع يكون في موضع آخر أكثر من ذلك، و في موضع آخر لا يكون منه شيء.

فلمّا اختلفت الأبصار في إدراك ذلك لاختلاف الأماكن علمنا قطعا أنّ ثمّ أمرا عارضا عرض في الطريق حال بين البصر و بينها أو بين نورها، كالقمر يحول بينك و بين إدراك جرم الشمس، و ظلّ الأرض يحول بينك و بين القمر لا بينك و بين جرمه مثل ما حال القمر بينك و بين جرم الشّمس، و ذلك بحسب ما يكون منك و تكون منه، و هكذا سائر الكواكب و لكن أكثر الناس لا يعلمون، كما أنّ أكثر الناس لا يؤمنون، فإنّ ذلك الكسوف كلّه على اختلاف أنواعه خشوع من المكسوف عن (تجلّ) تجلّي إلهي حصل له.

و حدّ جهنّم بعد الفراغ من الحساب و دخول أهل الجنّة الجنّة من مقعّر فلك الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين، فهذا كلّه يزيد في جهنّم ممّا هو الآن ليس مخلوقا فيها، و لكن معدّ حتّى يظهر (إلّا) الأماكن الّتي قد عيّنها اللّه من الأرض، فإنّها ترجع إلى الجنّة يوم القيامة مثل الروضة الّتي بين منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بين قبره، وكلّ مكان عيّنه الشارع وكلّ نهر، فإن ذلك كلّه يصير إلى الجنّة و ما بقي فيعود نارا كلّه و هو من جهنم، و لهذا كان يقول عبد اللّه بن عمر إذا رأى البحر يقول: يا بحر! متى تعود نارا؟ و قال تعالى:

وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ [التكوير: ۶].

أي أجّجت نارا من «سجرت التنوّر» إذا أوقدته، وكان ابن عمر يكره الوضوء بماء البحر و يقول: «التيمّم أعجب إليّ منه».

۲-۳-۱۰ (كشف باطن الأشياء و الأعمال و حسن الأعمال و قبحها الذاتيّان)

و لوكشف اللّه عن أبصار الخلق لرأوه يتأجّج نارا و لكن اللّه يظهر ما يشاء و يخفي، ما يشاء ليعلم أنّ اللّه على كلّ شيء قدير، و أنّ اللّه قد أحاط بكلّ شيء علما، و أكثر ما يجري هذا الأهل الورع فيرى الطعام الحرام صاحب الورع المحفوظ خنزيرا أو عذرة، و الشراب خمرا لا يشك فيما يراه و يراه جليسه قرصة خبز طيّبة، و يرى الشراب ماءا عذبا، فيا ليت شعري! من هو صاحب الحسّ الصحيح من صاحب الخيال؟ هل الّذي أدرك الحكم الشرعيّ صورة أو هل الّذي أدرك المحسوس في العادة على حاله؟

۲-۳-۱۱ (رؤية حقيقة الأشياء و الأعمال القبيحة و المحرّمة توجب تركها)

و هذا ممّا يقوي مذهب المعتزلة في أن القبيح قبيح لنفسه و الحسن حسن لنفسه، و أن الإدراك الصحيح إنّما هو لمن أدرك الشراب الحرام خمرا، فلو لا أنّه قبيح لنفسه ما صحّ هذا الكشف لصاحبه و لوكان فعله عين تعلّق الخطاب بالحرمة و القبح ما ظهر ذلك الطعام خنزيرا، فإنّ الفعل ما وقع من المكلّف، فإنّ اللّه أظهر له صورته و أنّه قبيح، حتى لا يقدم على أكله، و هذا بعينه يتصوّر فيمن يدركه على حاله في العادة و لكن هذا أحقّ في الشرع، فيعلم قطعا أنّ الّذي يراه طعاما على عادته قد حمل (حيل) بينه و بين حقيقة حكم الشرع فيه بالقبح و لو كان الشيء قبيحا بالتقبيح الوضعيّ لم يصدق قول الشارع في الإخبار عنه: إنّه قبيح أو حسن، فإنّه خبّر بالشيء على خلاف ما هو عليه فإنّ الأحكام أخبار بلا شك عندكلّ عاقل عارف بالكلام فإنّ اللّه أخبرنا أنّ هذا حرام و هذا حلال و لذا قال تعالى في ذمّ من قال عن اللّه ما لم يقل:

وَ لا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هذا حَلالٌ وَ هذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ [النحل: ۱۱۶].

فإنّه ألحق الحكم بالخبر لأنّه خبر بلا شكّ، إلّا أنّه ليس في قوّة البشر في أكثر الأشياء إدراك قبح الأشياء و لا حسنها، فإذا عرّفنا الحقّ بها عرفناها، و منها ما يدرك قبحه عقلا في عرفنا مثل الكذب وكفر المنعم، و حسنه عقلا مثل الصدق و شكر المنعم، وكون الإثم يتعلّق ببعض أنواع الصدق، و الأجر يتعلّق ببعض أنواع الكذب، فذلك للّه يعطي الأجر على ما شاءه من قبح و حسن، لا يدل ذلك على حسن الشيء، و لا قبحه، الكذب في نجاة مؤمن من هلاك يؤجر عليه الإنسان و إن كان الكذب قبيحا في ذاته، و الصدق كالغيبة يأثم بها الإنسان و إن كان الصدق حسنا في ذاته، فذاك أمر شرعي يعطي فضله من شاء و يمنعه من شاء كما قال:

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [آل عمران: ۷۴].

۲-۳-۱۲ (أشد الخلق عذابا في النار إبليس)

و اعلم أن أشد الخلق عذابا في النار إبليس الّذي تبيّن (سنّ) الشرك وكان (كلّ) مخالفة، و سبب ذلك أنّه مخلوق من النار فعذابه بما خلق منه.

۲-۳-۱۳ (تأثير النفس و الهواء البارد في بقاء حياة الإنسان)

ألا ترى أنّ النّفس به يكون حياة الجسم الحسّاس، فإذا منع بالشنق و الخنق خروج ذلك النفس، انعكس راجعا إلى القلب فأحرقه (من) في ساعته فهلك لحينه، فبالنفس كانت حياته و به كان هلاكه، و هلاكه على الحقيقة بالنفس من كونه متنّفسا لا من كونه ذا نفس، و لا من كونه متنّفسا فقط بل من كونه يجذب بالقوّة الجاذبة نفس الهواء البارد إلى قلبه، و يخرج بالقوّة الدافعة النفس الحارّ المحرق من قلبه، فسبب هذه الأحوال، بها يكون حياته.

فإنّ الّذي يرمى في النار متنفس و لكن لا يخلو من أحد الوجهين: إمّا أنّه لا يتنفّس في النار فيكون حالته حالة المشنوق الّذي يخنق بالحبل، فيقتله نفسه، و إمّا أن يتنفّس فيجذب بالقوّة الجاذبة هواء ناريّا محرقا إذا وصل الى قلبه أحرقه، فلهذا قلنا في سبب الحياة هذه الأمور كلّها.

فعذاب إبليس في جهنّم بما فيها من الزمهرير، فإنّه يقابل النّار الّذي هو أصل نشأة إبليس فيكون عذابه بالزمهرير، و بما هو نار مركبة، ففيه من ركن الهواء و الماء و التّراب، فلا بدّ أن يعذّب بالنّار على قدر مخصوص، و عامّة عذابه بما يناقض ما هو الغالب عليه في أصل خلقه.

۲-۳-۱۴ (الجهل عذاب بما أن الحسرة أيضا عذاب)

و النار ناران: نار حسيّة، و هي المسلّطة على إحساسه و حيوانيته و ظاهر جسمه و باطنه، و نار معنويّة، و هي «الّتي تطّلع على الأفئدة»، و بها يتعذّب روح (روحه) المدبّر لهيكله الّذي أمر فعصى، فمخالفته عذّبته و هي عين جهله بمن استكبر عليه، فلا عذاب على الأرواح أشدّ من الجهل فإنّه غبن كلّه، و لهذا سمّي: «يوم التغابن»، يريد يوم عذاب النفوس، فيقول:

يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ [الزمر: ۵۶].

و هو «يوم الحسرة»، يقول يوم الكشف من حسرت عن الشّيء، إذا كشفت عنه، فكأنّه يقول: يا ليتني حسرت عن هذا الأمر في الدنيا فأكون على بصيرة من أمري فيغتبن في نفسه، و التغابن يدرك في ذلك اليوم، الكلّ، الطائع و العاصي، فالطائع يقول:

«يا ليتني بذلت جهدي، و وفّيت حقّ استطاعتي، و تدبّرت كلام ربّي فعملت بمقتضاه»، مع كونه سعيدا.

و المخالف يقول: «يا ليتني لم أخالف ربّي فيما أمرني به و نهاني»، فذلك «يوم التغابن».

و لمّا أعلمناك بمرتبة النّفس و التنفّس، إنما جئنا به لتعلم أنّ جهنّم لمّا اختصّ بآلام أهلها صفة الغضب الإلهي، و اختصّ بوجودها التنزل الرحماني الإلهي، و جاء في الخبر الصحيح:

«نفس الرحماني».

مشعرا بصفة الغضب فكان التنفّس ملحقا صفة الغضب بمن حلّ به و لهذا لمّا أتى نفس الرحمن من قبل اليمن حلّ الغضب الإلهي بالكفّار بالقتل و السيف الّذي أوقعت بهم الأنصار (الكفّار)، فنفّس اللّه بذلك عن دينه و نبيّه صلّى اللّه عليه و آله، فإنّ ذا الغضب إذا وجد على من يرسل غضبه تنفّس عنه ما يجده من ألم الغضب.

و أكمل الصورة في محمّد صلّى اللّه عليه و آله فقام به على الكفار لأجل ردّهم كلمة اللّه صفة الغضب، فنفّس الرحمن عنه بما أمره من السيف، و نفس عنه بأصحابه و أنصاره فوجد الراحة فإنّه وجد حيث يرسل غضبه.

فافهم من هذا آلام أهل النّار، و الصورة المحمّديّة الحجابيّة على الغضب الإلهي على أعداء اللّه، و أنّ الآلام أرسلت على الأعداء فقامت بهم و نفّس اللّه عن دينه و هو أمره وكلامه و هو عين علمه في خلقه، و علمه ذاته جلّ و تعالى، و قد بيّنا لك أمر جهنّم من حيث ما هي دار، فلنبين إن شاء اللّه في الباب الّذي يلي هذا الباب مراتب أهل النّار.

٢-٣-١٥ (مراتب الجنّة و النار و ولاتهما)

ثمّ اعلم أنّ اللّه قد جعل فيها مائة درك في مقابلة مائة درج الجنّة، و لكلّ درك قوم مخصوص لهم من الغضب الإلهي الحالّ بهم آلام مخصوصة، و إنّ المتولي عذابهم من الولاة الّذين ذكرناهم في الباب قبل هذا من هذا الكتاب، القائم، و الإقليد، و الحامد، و الثابت، و السادن، و الجابر، فهؤلاء الأملاك من الولاة الذين يرسلون عليهم العذاب بإذن اللّه تعالى، و مالك هو الخازن، و أمّا بقيّة الولاة مع هؤلاء الّذين ذكرناهم و هم: الجابر (الحائر)، و السابق، (السائق) و الماتح، و العادل، و الدائم، و الحافظ.

٢-٣-١٦ (نشأة أهل النّار تخالف نشأه أهل الجنّة)

فإنّ جميعهم يكونون مع أهل الجنان، و خازن الجنّة، رضوان، و موادّهم (و إمدادهم) إلى أهل النّار مثل إمدادهم إلى أهل الجنّة، فإنّهم يمدّونهم بحقائقهم، و حقائقهم لا تختلف، فتقبل كلّ طائفة من أهل الدارين منهم بحسب ما تعطيه نشأتهم، فيقع العذاب بما به يقع النعيم من أجل المحلّ، كما قلنا في المبرود: إنه يتنعّم بحر الشّمس، و المحرور يتعذّب بحر الشّمس، فنفس ما وقع به النعيم به عينه وقع به الألم عند الآخر.

فاللّه ينشئنا نشأة النعماء كما قال تعالى في حقّ الأبرار:

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ [المطففين: ٢٤].

أي هم في خلقهم على هذه الصفة، و نشأة أهل النّار مخالف (تخالف) نشأة أهل الجنان، فإنّ نشأة الجنّة إنّما هو من الحقّ سبحان على أيدي الولاة خاصّة، و نشأة أهل النّار على أيدي الولاة و الحجّاب و النقباء و السدنة على كثرتهم، فإنّه لا يحصى عددهم إلّا اللّه، و لكلّ (ملك) منهم في هذه النشأة الدنياويّة، (و نشأة الآخر) و (نشأ النار) و نشأة أهلها، حكم سخره اللّه في ذلك، فهم كالفعلة في المملكة، و إنشاء الدار المبنية.

و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

(الباب الثاني و الستّون)

۲-۴ في مراتب أهل النار

يقول اللّه تعالى من كلامه لإبليس، و عموم رحمته حين قال له:

أَ رَأَيْتَكَ هذَا الَّذي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ [الإسراء: ۶۳- ۶۴].

فما جاء إبليس إلّا بأمر اللّه تعالى فهو أمر إلهيّ يتضمّن وعيدا و تهديدا، وكان ابتلاء شديدا في حقّنا ليريه تعالى أنّ في ذرّيته من ليس لإبليس عليه سلطان و لا قوة.

ثمّ إنّ الّذين خذلهم اللّه من العباد جعلهم طائفتين لا يضرّهم الذنوب الّتي وقعت منهم و هو قوله:

وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا [البقرة: ۲۶۸].

فلا تمسّهم النار بما تاب اللّه عليهم، و استغفار الملأ الأعلى لهم و دعائه لهذه الطائفة، و طائفة أخرى أخذهم اللّه بذنوبهم، قسّمهم بقسمين:

قسم أخرجهم اللّه من النّار بشفاعة الشافعين و هم أهل الكبار من المؤمنين، و بالعناية الإلهيّة و هم أهل التوحيد بالنظر العقلي.

و قسم آخر أبقاهم اللّه في النّار الّذين هم أهلها و هم المجرمون خاصّة الّذين يقول اللّه فيهم:

وَ امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ [يس: ۵۹].

أي المستحقون بأن يكونوا أهلا لسكنى هذه الدار الّتي هي جهنّم يعمرونها ممّن يخرج منها إلى الدار الآخرة الّتي هي الجنّة.

۲-۴-۱ (المخلّدون في النّار)

و هؤلاء المجرمون أربع طوائف كلّها في النار لا يخرجون منها و هم: المتكبرون على اللّه كفرعون و أمثاله ممّن ادّعى الرّبوبيّة لنفسه، و نفاها عن اللّه فقال:

يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي [القصص: ۳۸].

و قال:

أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى [النازعات: ۲۴].

يريد أنّه ما في السماء إله غيري وكذلك نمرود و غيره.

و الطائفة الثانية المشركون و هم الّذين يجعلون مع اللّه آلها آخر فقالوا:

ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى [الزمر: ۳].

و قالوا:

أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ [ص: ۵].

و الطائفة الثالثة المعطّلة و هم الّذين نفوا الإله جملة واحدة، فلم يثبتوا إلها للعالم و لا من العالم.

و الطائفة الرابعة، المنافقون، و هم الّذين أظهروا الإسلام من إحدى هؤلاء الطوائف للقهر الّذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم و أموالهم و ذراريهم، و هم في نفوسهم على ما هم عليه من اعتقاد هؤلاء الطوائف الثلاث.

فهؤلاء أربعة أصناف، هم الّذين هم أهل النار لا يخرجون منها من جنّ و إنس، و إنّما كانوا أربعة، لأنّ اللّه تعالى ذكر عن إبليس أنّه «يأتينا من بين أيدينا، و من خلفنا، و عن أيماننا، و عن شمائلنا»، و يأتي للمشركين من «بين يديه»، و يأتي للمعطّل «من خلفه»، و يأتي إلى المتكبّر «عن يمينه»، و يأتي إلى المنافق من «عن شماله»، و هو الجانب الأضعف، فإنّه أضعف الطوائف، كما أنّ الشمال أضعف من اليمين، و جعل المتكبّر من اليمين لأنّه محلّ القوة، فكبّر (فتكبّر) لقوّته الّتي أحسّها من نفسه، و جاء للمشرك من بين يديه، فإنّه رأى إذ كان بين يديه (جهة) عينيّة فأثبت وجود اللّه و لم يقدر على إنكاره، فجعله إبليس يشرك مع اللّه في ألوهيّته، و جاء للمعطّل من خلفه، فإنّ الخلف ما هو محلّ النظر فقال له: ما ثمّ شيء أي ما في الوجود إله.

۲-۴-۲ (منازل عذاب أهل النار)

ثم قال اللّه تعالى في جهنم:

لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ [الحجر: ۴۴].

فهذه أربع مراتب لهم من كلّ باب من أبواب جهنّم جزء مقسوم، و هي منازل عذابهم، فإذا ضربت الأربعة الّتي هي المراتب الّتي دخل عليهم منها إبليس في السّبعة الأبواب كان الخارج ثمانيّة و عشرين منزلا، وكذلك جعل اللّه المنازل الّتي قدّرها اللّه المفرد للإنسان (المفرد) و هو القمر و غيره من السيّارة الخنّس الكنّس تشير (تسير) فيها و تنزلها لإيجاد الكائنات، فيكون عند هذا السّير ما يكون من الأفعال في العالم العنصري، فإنّ هذه السيّارة قد انحصرت في أربع طبائع مضروبة في ذواتها و هنّ سبعة، فخرج منها منازلها الثمانية و العشرون و ذلك تقدير العزيز العليم كما قال:

كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [الأنبياء: ۳۳].

وكان ممّا ظهر عن هذا التسيّر (التسيير) الإلهي في هذه الثمانية و العشرون وجود ثمانية و عشرين حرفا ألّف اللّه الكلمات منها، و ظهر الكفر في العالم و الإيمان بأن تكلّم كلّ شخص بما في نفس من إيمان وكفر وكذب و صدق لتقوى (لتقوم) الحجّة على عباده ظاهرا بما تلفظوا به و وكّل بهم يكتبون بما تلفظوا به، قال تعالى:

كِراماً كاتِبِينَ [الانفطار: ۱۱].

و قال:

ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: ۱۸].

فجعل منازل النار ثمانية و عشرين منزلا، و جهنم كلّها مائة درك من أعلاها إلى أسفلها، نظائر درج الجنّة فيها السعداء، و في كلّ درك من هذه الدركات ثمانية و عشرين منزلا، فإذا ضربت ثمانية و عشرين في مائة كان الخارج من ذلك ألفي و ثمان مائة منزل، فهي الثمانية و العشرون مائة، فما برحت الثمانية و العشرون تصحبنا، و هذه منازل النار.

فلكلّ طائفة من الأربع، سبع مائة نوع من العذاب، و هم أربع طوائف فالمجموع ثمان و عشرون مائة نوع من العذاب، كما لأهل الجنّة سواء من الثواب يبين ذلك في صدقاتهم:

كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ [البقرة: ٢٦١].

فالمجموع سبع مائة، و هم أربع طوائف: رسل، و أنبياء، و أولياء، و مؤمنون، فلكلّ متصدّق من هؤلاء الأربعة سبع مائة ضعف من النعيم في عملهم.

فانظر ما أعجب القرآن في بيانه الشافي، و موازنته في خلفه في الدارين: الجنّة و النار، لإقامة العدل على السواء في باب جزاء النعيم و جزاء العذاب، فبهذا القدر يقع الاشتراك بين أهل الجنّة و أهل النّار للتساوي في عدد الدّرج و الدّرك، و يقع الامتياز بأمر آخر، و ذلك أنّ النار امتازت عن الجنّة بأنّه ليس في النار دركات اختصاص إلهي، و لا عذاب اختصاصيّ إلهيّ من اللّه، فإنّ اللّه ما عرّفنا قطّ أنّه اختصّ بنقمته من يشاء، كما أخبرنا أنّه يختصّ برحمته من يشاء و بفضله، فالجنّة في نعيمها مخالف لميزان عذاب أهل النار، فأهل النار معذّبون بأعمالهم لا غير، و أهل الجنّة ينعّمون بأعمالهم في جنات الأعمال و بغير أعمالهم في جنات الإختصاص.

٢-٤-٣ (جنات أهل السعادة)

فلأهل السعادة ثلاث جنات: جنّة أعمال، و جنّة اختصاص و جنّة ميراث، و ذلك أنّه ما من شخص من الجنّ و الإنس، إلّا و له في الجنّة موضع، و في النار موضع، و ذلك لإمكانه الأصلي، فإنّه قبل كونه يمكن أن يكون له البقاء في العدم، أو يوجد، فمن هذه الحقيقة له قبول النعيم و قبول العذاب، فالجنّة تطلب الجميع و الجميع يطلبها، و النار تطلب الجميع و الجميع يطلبها، فإنّ اللّه يقول:

وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ [النحل: ٩].

أي أنتم قابلون لذلك، و لكن حقّت الكلمة، و سبق العلم، و نفذت المشيئة، فلا رادّ لأمره، و لا معقب لحكمه.

فينزل أهل الجنّة في الجنّة على أعمالهم، و لهم جنات الميراث و هي الّتي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنّة، و لهم جنات الإختصاص، يقول اللّه تعالى:

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا [مريم: ٦٣].

فهذه الجنّة الّتي حصلت لهم بطريق الورث من أهل النار الّذين هم أهلها، إذ لم يكن في علم اللّه أن يدخلوها، و لم يقل في أهل النار أنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنّة لو دخلوا النار، و هذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه، فما نزل من نزل في النار من أهلها إلّا بأعمالهم، و لهذا يبقى فيها أماكن خالية، و هي الأماكن الّتي لو دخلها أهل الجنّة عمروها فيخلق اللّه خلقا يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنّة تعذّبوا و هو قوله صلّى اللّه عليه

و آله:

فيضع الجبار فيها قدمه، فتقول قط قط، أي حسبي حسبي. فإنّه تعالى يقول لها: «هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد»؟.

فإنّه قال للجنّة و النار: لكلّ واحدة منكما ملؤها، فما اشترط لهما إلّا أن يملأهما خلقا، و ما اشترط عذاب من يملؤها بهم و لا نعيمهم، و إنّ الجنّة أوسع من النار بلا شك، فإنّ عرضها السماوات و الأرض فما ظنك بطولها؟

فهي النّار (للنّار) كمحيط الدائرة ممّا يحوي عليه و في التنزلات الموصلة رسمناها و بيّناها على ما هي في نفسها في باب: يوم الإثنين، و النار عرضها قدر الحظّ الّذي يميّز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة، فأين هذا الضيق من تلك السعة؟

و سبب هذا الاتّصال (الاتساع) جنّات الإختصاص الإلهي، فورد في الخبر:

«إنّه يبقى أيضا في الجنّة أماكن ما فيها أحد، فيخلق اللّه خلقا للنعيم يعمرها لهم (بهم) و هو أن يضع الرحمن فيها قدمه».

و ليس ذلك إلّا في جنّات الإختصاص، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ [غافر: ١٢].

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [آل عمران: ٧۴].

فمن كرمه أنّه تعالى ما أنزل أهل النّار إلّا على أعمالهم خاصة.

و أمّا قوله تعالى:

زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ [النحل: ٨٨].

فذلك لطائفة مخصوصة، و هم: الأئمّة المضلّون، يقول تعالى:

وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ [العنكبوت: ١٣].

و هم الّذين أضلّوا العباد، و أدخلوا عليهم الشبه المضلّة، فحادوا بها عن سواء السبيل، فضلّوا و أضلّوا، و قالوا لهم:

اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ [العنكبوت: ١٢].

يقول (اللّه):

وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ [العنكبوت: ١٢].

في هذا القول، بل هم حاملون خطاياهم، و الذين أضلّوهم يحملون أيضا خطاياهم و خطايا هؤلاء مع خطاياهم، و لا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء.

يقول صلّى اللّه عليه و آله:

«من سنّ سنّة سيّئة فله وزرها و وزر من عمل بها، دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا».

فهو قوله تعالى:

ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً [آل عمران: ۹۰- و النساء: ۱۳۵].

فهؤلاء قيل فيهم:

زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ [النحل: ۸۸].

فما أنزلوا من النار إلّا منازل استحقاق، بخلاف الجنّة، فإنّ أهل الجنّة أنزلوا فيها منازل استحقاق مثل الكفّار في النار بأعمالهم، و أنزلوا أيضا منازل وراثة و منازل اختصاص، و ليس ذلك في أهل النار.

و لا بدّ لأهل النّار من فضل اللّه و رحمته في نفس النار، بعد انقضاء مدّة موازنة أزمان العمل، فيفقدون الإحساس فالآلام (بالآلام) في نفس النّار، لأنّهم ليسوا «بخارجين من النّار» «فلا يموتون فيها و لا يحيون».

فتتخدّر جوارحهم بإزالة الروح الحسّاس منها، و ثمّ طائفة يعطيهم اللّه بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب و العمل نعيما خياليّا مثل ما يراه النائم و جلده، كما قال تعالى:

كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ [النساء: ۵۶].

هوكما قلنا: خدرها، فزمان النضج و التبديل يفقدون الآلام، لأنّه إذا انقضى زمان الإنضاج خمدت النار في حقّهم، فيكونون في الناركالأمة الّتي دخلتها و ليست من أهلها، فأماتهم اللّه فيها إماتة، فلا يحسّون بما تفعله النّار في أبدانهم، الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحة (صحيح مسلم ج ۱ كتاب الإيمان ح ۳۰۶)، و هذا من فضل اللّه و رحمته.

۲-۴-۴ (أبواب جهنم)

و أمّا أبواب جهنّم، فقد ذكر اللّه من صفات أصحابها بعض ما ذكر، و لكن من هؤلاء الأربع الطوائف الّذين هم أهلها، و من خرج بالشفاعة أو العناية ممّن دخلها، فقد جاء ببعض ما وصف اللّه به من دخلها من الأسباب الموجبة لذلك و هي: باب الجحيم، و باب سقر، و باب السعير، و باب الحطمة، و باب لظى، و باب الحامية، و باب الهاوية.

و سمّيت الأبواب بصفات ما وراءها ممّا عدّت له، و وصف الداخلون فيها بما ذكر اللّه تعالى في مثل قوله في لظى أنّه:

تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى وَ جَمَعَ فَأَوْعى [المعارج: ۱۷- ۱۸].

و قال ما يقول في سقر، إذا قيل لهم:

ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ [المدّثّر: ۴۲- ۴۶].

و قال في أهل الجحيم، انّه يكذب بيوم الدين:

وَ ما يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ [المطففين: ١٢].

فوصفه بالإثم و الاعتداء، ثمّ قال فيهم:

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقالُ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [المطففين: ١۶].

و هكذا في الحطمة، و السعير و غير ذلك ما جاء به القرآن أو السنّة.

فهذا قد ذكرنا الأمّهات و الطبقات، و أمّا مناسبات الأعمال لهذه المنازل فكثيرة جدا يطول الشرح فيها، و لو شرعنا في ذلك طال علينا المدى فإنّ المجال رحب، و لكن الأعمال مذكورة و العذاب عليها مذكور، فمتى وقفت على شيء من ذلك وكنت على نور من ربّك و بيّنة، فإنّ اللّه يطلعك عليه بكرمه.

و الّذي شرطنا في هذا الباب و ترجمنا عليه إنّما كان ذكر المراتب، و قد ذكرناها و بيّناها و نبّهنا على مواضع يحول فيها نظر الناظر من كتابي هذا من الآيات الّتي استشهدنا بها في هذا الباب من أوّله، من أمر اللّه إبليس بما ذكر له، فهل له من امتثال ذلك الأمر الإلهي، أمر يعود عليه منه من حيث ما هو ممتثل أم لا؟، و أشباه (هذه) ذلك التنبهات، إن وفقت لذلك عثرت على علوم جمّة إلهيّة ممّا يختصّ أهل الشقاء و النار، و هذا القدر في هذا الباب كاف، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

(الباب الثالث و الستّون)

٢-٥ في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا و البعث

٢-٥-١ (في معنى البرزخ و حقيقته)

اعلم أنّ البرزخ عبارة عن أمر فاصل بين أمرين، لا يكون متطرفا (متطرفا) أبدا كالخطّ الفاصل بين الظل و الشمس، وكقوله تعالى:

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ [الرحمن: ٢٠ و ١٩].

(و معنى «لا يبغيان») أي لا يختلط أحدهما بالآخر، و إن عجز الحسّ عن الفصل بينهما، و العقل يقضي أن بينهما حاجزا يفصل بينهما، فذلك الحاجز المعقول هو البرزخ فإن أدرك بالحسّ فهو أحد الأمرين، ما هو البرزخ، وكلّ أمرين يفتقران إذا تجاوزا (تجاورا) إلى برزخ ليس هو عين أحدهما، و فيه قوّة كلّ واحد منهما.

و لمّا كان البرزخ أمرا فاصلا بين معلوم و غير معلوم، و بين معدوم و موجود، و بين منفيّ و مثبت، و بين معقول و غير معقول، سمّي برزخا اصطلاحا و هو معقول في نفسه، و ليس إلّا الخيال، فإنّك إذا أدركته وكنت عاقلا تعلم أنّك أدركت شيئا وجوديّا، وقع بصرك عليه، و تعلم قطعا بدليل أنّه ما ثمّ شيء رأسا فأصلا (و أصلا)، فما هو هذا الّذي أثبت له شيئيّة وجوديّة و نفيتها عنه في حال إثباتك إيّاها.

٢-٥-٢ (عجز الإنسان عن إدراك حقيقة البرزخ و الخيال و المرآة)

فالخيال لا موجود و لا معدوم، و لا معلوم و لا مجهول، و لا منفي و لا مثبت، كما يدرك الإنسان صورته في

المرآة، يعلم قطعا أنّه أدرك صورته بوجه، و يعلم قطعا أنّه ما أدرك صورته بوجه، لما يرى فيها من الدّقة إذا كان جرم المرآة صغيرا، و يعلم أن صورته أكبر من الّتي رأى بما لا يتقارب، و إذا كان جرم المرآة كبيرا، فيرى صورته في غاية الكبر، و يقطع أنّ صورته فما رأى، و لا يقدر أن ينكر أنّه رأى صورته و يعلم أنّه ليس في المرآة صورته، و لا هي بينه و بين المرآة، و لا هو انعكاس شعاع البصر إلى الصورة المرئيّة فيها من خارج سواء كانت صورته أو غيرها، إذ لوكان كذلك لأدرك الصورة على قدرها و ما هي عليه، و في رؤيتها في السيف من الطول أو العرض، يتبيّن لك ما ذكرنا مع علمه أنّه رأى صورته بلا شك فليس بصادق و لا كاذب في قوله: «إنّه رأى صورته، ما رأى صورته».

فما تلك الصورة المرئيّة؟ و أين محلّها؟ و ما شأنها؟ فهي منفيّة ثابتة، موجودة معدومة، معلومة مجهولة، أظهره (اظهر) اللّه سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب مثال ليعلم و يتحقّق أنّه إذا عجز و حار في درك حقيقة هذا، و هو من العالم (و لم يحصل عنده علم حقيقة هذا و هو من العالم) و لم يحصل عنده علم بحقيقته، فهو بخالقها أعجز و أجهل و أشدّ حيرة، و نبّهه بذلك أن تجلّيات الحقّ له أرقّ و ألطف معنى من هذا الّذي قد حارت العقول فيه، و عجزت عن إدراك حقيقته إلى أن بلغ عجزها أن تقول: هل لهذا ماهيّة، أو لا ماهيّة له؟ فإنّها لا تلحقه بالعدم المحض، و قد أدرك البصر شيئا مّا و لا بالوجود المحض، و قد علمت أنّه ما ثمّ شيء و لا بالإمكان المحض.

۲-۵-۳ (الأعراض القائمة بنفسها في النوم و البرزخ و الآخرة)

و إلى مثل هذه الحقيقة يصير الإنسان في نومه و بعد موته، فيرى الأعراض صورا قائمة بنفسها تخاطبه و يخاطبها أجسادا لا يشك فيها، و المكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه، و الميّت بعد موته كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضا و يرى الموت كبشا أملح يذبح، و الموت نسبة مفارقة عن اجتماع، فسبحان من يجهل فلا يعلم و يعلم فلا يجهل، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم.

۲-۵-۴ (فيما ترى عين الخيال و الّذي ترى عين الحسّ)

و من الناس من يدرك هذا المتخيّل بعين الحسّ، و من الناس من يدركه بعين الخيال، و أعني في حال اليقظة، و أمّا في النوم فبعين الخيال قطعا، فإذا أراد الإنسان أن يفرّق في حال يقظته حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة، فلينظر إلى المتخيّل و ليقيّده بنظره، فإن اختلفت عليه أكوان المنظور إليه لاختلافه في التكوينات و هو لا ينكر أنّه ذلك بعينه، و لا يقيّده النظر عن اختلاف التكوينات فيه، كالناظر إلى الحرباء في اختلاف الألوان عليها فذلك عين الخيال بلا شك، ما هو عين الحسّ فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحسّ، و قليل من يتفطن إلى هذا ممّن يدّعى كشف الأرواح الناريّة و النوريّة إذا تمثلت لعينه صورا مدركة لا يدري بما (ممّا) أدركها: هل بعين الخيال، أو بعين الحسّ وكلاهما أعني الإدراكين بحاسة العين، فإنّهما تعطى الإدراك بعين الخيال و بعين الحسّ و هو علم دقيق، أعني العلم بالفصل بين العينين، و بين حاسّة العين و عين الحسّ، و إذا أدركت العين المتخيّل و لم تغفل عنه و رأته، لا تختلف عليه التكوينات و لا رأته في مواضع مختلفات معا في حال واحدة، و الذات واحدة لا شك (يشكّ) فيها و لا انتقلت و لا تحوّلت في أكوان مختلفة، فيعلم أنّها محسوسة لا متخيلة، و أنّه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال.

و من هنا يعرف إدراك الإنسان في المنام ربّه تعالى و هو منزّه عن الصورة و المثال و ضبط الإدراك إيّاه و

تقييده، و من هنا يعرف ما ورد في الخبر الصحيح من كون الباري:

«يتجلّى في أدنى صورة من الّتي رأوه فيها».

و في تحوله في صورة يعرفونها و قدكانوا أنكروه و تعوّذوا منه فتعلم بأيّ عين تراه، فقد أعلمتك أن الخيال يدرك بنفسه، نريد بعين الخيال أو يدرك بالبصر، و ما الصحيح في ذلك حتّى نعتمد عليه؟ و لنا في ذلك:

إذا تجلّى حبيبي بأيّ عين تراه؟
بعينه لا بعيني فما يراه سواه

تنزيها لمقامه و تصديقا بكلامه، فإنّه القائل:

لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام: ۱۰۳].

و لم يختص دارا من دار بل أرسلها آية مطلقة و مسألة معيّنة محقّقة فلا يدركه سواه فبعينه سبحانه أراه، في الخبر الصحيح:

«كنت بصره الّذي يبصر به».

فتيقّظ أيّها الغافل النائم عن مثل هذا و انتبه فلقد فتحت عليك بابا من المعارف لا تصل إليه الأفكار، لكن تصل إلى قبوله العقول إمّا بالعناية الإلهيّة، أو بجلاء القلوب بالذكر و التلاوة، فيقبل العقل ما يعطيه التجلّي، و يعلم أنّ ذلك خارج عن قوّة نفسه من حيث فكره، و أنّ فكره لا يعطيه ذلك أبدا، فيشكل اللّه تعالى الّذي أنشأه نشأة يقبل بها مثل هذا، و هي نشأة الرّسل و الأنبياء و أهل العناية من الأولياء، و ذلك ليعلم أن قبوله أشرف من فكره، فتحقّق يا أخي بعد هذا من يتجلّى لك من خلف هذا الباب فهي مسألة عظيمة حارت فيها الألباب.

۲-۵-۵ (الصّور و البرزخ في لسان الشرع)

ثمّ إنّ الشارع و هو الصادق سمّي هذا الباب الّذي هو الحضرة البرزخية الّتي ننتقل إليها بعد الموت، و نشهد نفوسنا فيها بالصّور و الناقور، و الصور هنا جمع صورة بالصاد ف «ينفخ في الصّور» و «ينقر في الناقور»، و هو هو بعينه، و اختلفت عليه الأسماء لاختلاف الأحوال و الصفات، و اختلفت الصفات، ما اختلفت (فاختلفت) الأسماء، فصارت الأسماء ك «هو» يحار فيها من عادته يفلي الحقائق و لا يرمي منها بشيء، فإنّه لا يتحقق له أنّ النّقر أصل في وجود اسم الناقور، أو الناقور أصل في وجود اسم النّقر، كمسألة النحوي: هل الفعل مشتقّ من المصدر أو المصدر مشتقّ من الفعل؟ ثمّ فارق مسألة النحوي بشيء آخر حتّى لا يشبه مسألة النحوي في الاشتقاق بقول (بقوله تعالى):

نُفِخَ فِي الصُّورِ [الكهف: ۹۹].

و لم يقل: في المنفوخ فيه، فهل كونه (صورا) أصل في وجود النفخ، أو وجود نفخ؟ أو هل النفخ أصل في وجود اسم الصّور؟

۲-۵-۶ (في تأثير النفخ و الصورة في تكوّن الإنسان و حقيقته)

و لمّا ذكر اللّه تعديل صورة الإنسان قال:

وَ نَفَخْتُ فِيهِ [الحجر: ۲۹].

و قال في عيسى عليه السّلام قبل خلق صورته:

فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا [الأنبياء: ۹۱].

فظهرت الصورة، فوقعت الحيرة: ما هو الأصل؟ هل الصورة في وجود النفخ، أو النفخ في وجود الصورة؟ فهذا من ذلك القبيل؟ و لا سيّما و جبرئيل عليه السّلام في الوقت المذكور، في حال التمثّل بالبشر، و مريم قد تخيّلت أنّه بشر، فهل أدركته بالبصر الحسّي، أو بعين الخيال، فتكون عليه السّلام ممّن أدرك الخيال بالخيال؟

و إذا كان هذا فينفتح عليك ما هو أعظم و هو: هل في قوّة الخيال أن يعطي صورة حسّيّة حقيقيّة؟ فلا يكون للحسّ فضل على الخيال، لأنّ الحسّ يعطي الصور للخيال، فكيف يكون المؤثّر فيه مؤثّرا، فمن (فيمن) هو مؤثّر فيه؟ فما هو مؤثّر فيما هو مؤثّر فيه؟، و هذا محال عقلا، فتفطّن لهذه الكنوز، فإن كنت حصلتها، ما يكون في العالم أغنى منك إلّا من يساويك في ذلك.

۲-۵-۷ (ما هو الصور و القرن)

و اعلم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لمّا سئل عن الصور ما هو؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله:

«هو قرن من نور لقمه (ألقمه) إسرافيل».

فأخبر أن شكله شكل القرن، فوصف بالسعة (و الضيق)، فإنّ القرن واسع ضيّق، و هو عندنا على خلاف ما يتخيّله أهل النظر في الفرق بين ما هو أعلى القرن و أسفله، و نذكره إن شاء اللّه بعد هذا الباب.

۲-۵-۸ (في سعة القرن و تصور العدم و المحال)

فاعلم أن سعة هذا القرن في غاية السعة، لا شيء من الأكوان أوسع منه، و ذلك أنه يحكم بحقيقته على كلّ شيء و على ما ليس بشيء و يتصوّر العدم المحض، و المحال، و الواجب، و الإمكان، و بجعل الوجود عدما، و العدم وجودا، و فيه يقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، أي من حضرة هذا:

«أعبد اللّه كانّك تراه».

و:

«اللّه في قبلة المصلّي».

أي تخيّله في قبلتك و أنت تواجهه لتراقبه، و تستحيي منه، و تلزم الأدب معه في صلاتك، فإنّك إن لم تفعل هذا أسأت الأدب.

۲-۵-۹ (في أن الخيال كيف يعمل)

فلو لا أنّ الشارع علم أن عندك حقيقة تسمّى الخيال، لها هذا الحكم، ما قال لك: «كأنّك تراه» ببصرك، فإنّ الدليل العقلي يمنع، من: «كأنّ»، فإنّه تخيّل بدليل (يحيل بدليله) التّشبيه، و البصر فما (ما) أدرك شيئا سوى الجدار، فعلمنا أنّ الشارع خاطبك أن تتخيّل أنّك تواجه الحقّ في قبلتك المشروع لك استقبالها، و اللّه يقول:

فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة: ۱۱۵].

۲-۵-۱۰ (في معنى وجه الشيء)

و وجه الشيء: حقيقته و عينه، فقد صوّر الخيال من تستحيل عليه بالدّليل العقلي الصّورة و التصوّر، فلهذا كان واسعا، و أمّا ما فيه من الضّيق فإنّه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمرا من الأمور الحسيّة، و المعنويّة، و النّسب، و الإضافات، و جلال اللّه و ذاته، إلّا بالصّورة، و لو رام أن يدرك شيئا من غير صورة لم تعط حقيقته ذلك، لأنّه عين الوهم لا غيره، فمن هنا هو ضيق في غاية الضّيق، فإنّه لا يجرّد المعاني عن الموادّ أصلا، و لهذا كان الحسّ أقرب شيء (إليه)، فإنّه من (الحسّ أخذ الصّور) أحسّ أخذ الصّورة، و في الصّورة (الصور) الحسّيّة يجلّي المعاني، فهذا من ضيقه، و إنّما كان هذا، حتّى لا يتّصف بعدم التّقييد و بإطلاق الوجود و بالفعّال لما يرد إلّا اللّه تعالى وحده، ليس كمثله شي.

۲-۵-۱۱ (في أن الخيال لا يدرك المعاني المجردة)

فالخيال أوسع المعلومات و مع هذه السعة العظيمة الّتي يحكم بها على كلّ شيء قد عجز أن يقبل المعاني مجرّدة عن الموادّ كما هي في ذاتها، فيرى العلم في صورة لبن أو عسل و خمر و لؤلؤ، و يرى الإسلام في صورة قبّة و عمد، و يرى القرآن في صورة سمن و عسل، و يرى الدّين في صورة قيد، و يرى الحقّ في صورة انسان و في صورة نور فهو الواسع الضّيق، و اللّه واسع على الإطلاق، عليم بما أوجد اللّه عليه خلقه كما قال تعالى:

أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى [طه: ۵۰].

أي بيّن الأمور على ما هي عليه بإعطاء كلّ شيء خلقه.

۲-۵-۱۲ (في بيان كون القرن نورا و ان الخيال لا يخطأ)

و أمّا كون القرن من نور، فإن النّور سبب الكشف و الظهور إذ لو لا النور ما أدرك البصر شيئا فجعل اللّه هذا الخيال نورا يدرك به تصوير كلّ شيء أيّ أمركان، كما ذكرناه، فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوّره وجودا، فالخيال أحقّ باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنّوريّة فنوره لا يشبه الأنوار، و به تدرك التجلّيات و هو نور عين الخيال، لا نور عين الحسّ، فافهم! فإنّه ينفعك معرفة كونه نورا فتعلم الإصابة فيه ممّن لا يعلم ذلك، و هو الّذي يقول: هذا خيال فاسد، و ذلك لعدم معرفة هذا القائل بإدراك النّور الخيال الّذي أعطاه اللّه تعالى، كما أنّ هذا القائل يخطّئ الحسّ في بعض مدركاته، و إدراكه صحيح و الحكم لغيره لا إليه، فالحاكم أخطأ لا الحسّ، كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك و ماله حكم، و انّما الحكم لغيره و هو العقل فلا ينسب إليه الخطأ، فإنّه ما ثمّ خيال فاسد قطّ بل هو صحيح كلّه.

و أمّا أصحابنا فغلطوا في هذا القرن فأكثر العقلاء جعل أضيقه المركز، و أعلاه الفلك الأعلى الّذي لا فلك فوقه، و أنّ الصّور الّتي يحوي عليها صور العالم، فجعلوا واسع القرن الأعلى، و ضيقه الأسفل من العالم.

و ليس الأمركما زعموا بل لمّا كان الخيال كما قلنا يصوّر الحقّ فمن دونه من العالم حتّى العدم، كان أعلاه الضّيّق و أسفله الواسع، و هكذا خلقه اللّه فأوّل ما خلق منه الضّيّق، و آخر ما خلق منه ما اتّسع، و هو الّذي يلي رأس الحيوان. و لا شكّ أنّ حضرت الأفعال و الأكوان أوسع و لهذا لا يكون للعارف اتّساع في العلم إلّا بقدر ما يعلمه من العالم، ثمّ إنّه إذا أراد أن ينتقل إلى العلم بأحدّية اللّه تعالى لا يزال يرقى من السّعة الضّيق قليلا

(قليلا قليلا) فتقل علومه كما (كلّما) رقى في العلم بذات الحقّ كشفا إلى أن لا يبقى له معلوم إلّا الحقّ وحده (و هو) أضيق ما في القرن فضيّقه هو الأعلى على الحقيقة و فيه شرف التامّ، و هو الأوّل الّذي يظهر منه إذا أنبته اللّه في رأس الحيوان فلا يزال يصعد على صورته من الضّيق و أسفله يتسع و هو لا يتغيّر عن حاله فهو المخلوق الأوّل.

ألا ترى الحقّ سبحانه، أوّل ما خلق القلم، أو قل: العقل كما قال: فما خلق إلّا واحدا ، ثمّ أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم، وكذلك العدد منشأه من الواحد ثمّ يقبل الثّاني، لا من الواحد الوجود، ثمّ يقبل التضعيف و التركيب (التّرتيب) في المراتب فيتّسع اتّساعا عظيما إلى ما لا يتناهي، فإذا انتهيت فيه من الاتساع إلى حدّ مّا من الآلاف و غيرها، ثمّ تطلب الواحد الّذي أنشأ (منه نشأ) العدد لا تزال في ذلك يقلل العدد و يزول عند ذلك الاتّساع الّذي كنت فيه حتّى ينتهي إلى الإثنين الّتي بوجودها ظهر العدد إذكان الواحد أولا لها (أولاها) فالواحد أضيق الأشياء و ليس بالنّظر إلى ذاته بعدد في نفسه و لكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة فلا يجمع بين اسمه و عينه أبدا فاعلم ذلك.

و النّاس في وصف الصّور بالقرآن على خلاف ما ذكرناه.

۲-۵-۱۳ (في بيان إدراك الأرواح في البرزخ)

و بعد ما قرّرناه فلتعلم: أنّ اللّه سبحانه إذا قبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعيّة حيث كانت و العنصريّة، أودعها صورا جسديّة في مجموع هذا القرن النوريّ، فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور، إنّما يدركه بعين الصّورة الّتي هو فيها في القرن، و بنورها و هو إدراك حقيقيّ.

و من الصّور هنالك ما هي مطلقة كأرواح الأنبياء كلّهم و أرواح الشّهداء، و منها ما يكون لها نظر إلى علم (عالم) الدّنيا في هذه الدار، و منها ما يتجلّى للنّائم في حضرة الخيال الّتي هي فيه و هو الّذي تصدق رؤياه أبدا، وكلّ رؤياه (رؤيا) صادقة و لا تخطئ، فإذا أخطأت الرّؤيا، فالرّؤيا ما أخطأت، و لكن العابر الّذي يعبّرها و هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصّورة؟ ألا تراه صلّى اللّه عليه و آله ما قال لأبي بكر حين عبّر رؤيا الشخص المذكور:

«أصبت بعضا، و أخطأت بعضا؟».

وكذلك قال في الرّجل الّذي رأى في النّوم (قد) ضربت عنقه فوقع رأسه فجعل الرّأس يتدهده و هو يكلمه، فذكر له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أنّ الشّيطان يلعب به».

فعلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، صورة ما رآه و ما قال له: خيالك فاسد، فإنّه رأى حقّا، و لكن أخطأ في التأويل، فأخبره صلّى اللّه عليه و آله بحقيقة ما رآه ذلك النّائم.

وكذلك قوم فرعون يعرضون على النّار في تلك الصّورة (الصور) غدوة و عشيّة، و لا يدخلونها فإنّهم محبوسون في ذلك القرن و في تلك الصّورة، و يوم القيامة يدخلون أشد العذاب، و هو العذاب المحسوس لا المتخيّل الّذي كان لهم في حال موتهم بالعرض.

فيدرك بعين الخيال الصّور الخياليّة و الصّور المحسوسة معا، فيدرك المتخيّل الّذي هو الإنسان بعين خياله وقتا مّا هو متخيّل، كقوله صلّى اللّه عليه و آله:

«مثّلت لي الجنّة في عرض (هذا) الحايط».

فأدرك ذلك بعين حسّه، و إنّما قلنا بعين حسّه، لأنّه تقدّم حين رأى الجنّة ليأخذ قطفا منها، و تأخّر حين رأى النّار، و هو في صلاته، و نحن نعرف أنّ عنده من القوّة بحيث أنّه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسّه، ما أثّر في جسمه تقدّما و لا تأخّرا، فإنّا نجد ذلك، و ما نحن في قوّته و لا في طبقته صلّى اللّه عليه و آله.

۲-۵-۱۴ (كلّ إنسان يحشر يوم القيامة بصور أعماله)

وكلّ انسان في البرزخ مرهون بكسبه، محبوس في صور أعماله، إلى أن يبعث يوم القيامة من تلك الصّور في النشأة الآخرة.

و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

۲-۵-۱۵ الفصل الأوّل في ذكر العماء و ما يحوي عليه إلى عرش الاستواء

۲-۵-۱۵-۱ (الوجود هو الحقّ و لا غير، و الحقّ هو الوجود و لا غير)

اعلم أنّ اللّه موصوف بالوجود و لا شيء معه موصوف بالوجود من الممكنات، بل أقول: إنّ الحقّ هو عين الوجود و هو قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«كان اللّه و لا شيء معه».

يقول: اللّه موجود و لا شيء من العالم موجود، فذكر عن نفسه بدء هذا الأمر أعني ظهور العالم في عينه، و ذلك أنّ اللّه تعالى أحبّ أن يعرف ليجود على العالم بالعلم به عزّ و جلّ، و علم أنّه تعالى لا يعلم من حيث هويّته، و لا من حيث يعلم نفسه، و أنّه لا يحصل من العلم به تعالى في العالم إلّا أن يعلم العالم أنّه لا يعلم، و هذا القدر يسمّى علما كما قال الصديق: «العجز عن درك الإدراك إدراك»، إذ قد علم أنّ في الوجود أمرا مّا لا يعلم و هو اللّه، و لا سيّما للممكنات من حيث إنّ لها أعيانا ثابتة، لا موجودة مساوقة لواجب الوجود في الأزل، كما أنّ لنا تعلّقا سمعيّا ثبوتيّا لا وجوديّا بخطاب الحقّ إذا خاطبنا و أنّ لها قوّة الامتثال، كذلك لها جمع (جميع) القوى من علم و بصر و غير ذلك، كلّ ذلك أمر ثبوتيّ، و حكم محقّق غير وجوديّ، و على تلك الأعيان و بها تتعلّق رؤية من يراها من الموجودات كما ترى هي نفسها رؤية ثبوتيّة، فلمّا اتّصف لنا بالمحبّة و المحبّة حكم يوجب رحمة الموصوف بها بنفسه، و لهذا يجد المتنفّس راحة في تنفسه فبروز النّفس بها من المتنفّس عين رحمته بنفس (بنفسه)، فما خرج عنه (الّا) إلى الرّحمة الّتي وسعت كلّ شيء فانسحبت على جميع العالم، ما كان منه و ما لا يكون إلى ما لا يتناهى. فأوّل صورة قبل نفس الرحمن صورة العماء فهو بخار رحمانيّ في (فيه) الرّحمة بل هو عين الرّحمة، وكان ذلك أوّل ظرف قبله وجود الحقّ فكان الحقّ كالقلب للإنسان، كما أنّه تعالى لقلب (الإنسان) العارف المؤمن كالقلب (للإنسان فهو قلب القلب) كما أنّه ملك الملك فما حوّاه غيره فلم يكن إلّا هو.

۲-۵-۱۵-۲ (محال أن يظهر العالم من حكم الباطن)

ثم إنّ جوهر ذلك العماء قبل صور الأرواح من الرّاحة و الاسترواح إليها و هي الأرواح المهيّمة، فلم تعرف غير

الجوهر الّذي ظهرت فيه و به، و هو أصلها و هو باطن الحقّ و غيبه ظهر فظهر فيه و به العالم، فإنّه من المحال أن يظهر العالم من حكم الباطن فلا بدّ من ظهور حقّ يكون ظهور صور العالم به فلم يكن غير العماء فهو الإسم الظاهر الرّحمان فهامت في نفسها، ثمّ أيّد (أيه) واحدا من هذه الصور الروحيّة بتجلّ خاصّ علمي انتقش فيه علم ما يكون إلى يوم القيامة ممّا لا تعلمه الأرواح المهيّمة، فوجد في ذاته قوّة امتاز بها عن ساير الأرواح فشاهدهم و هم لا يشاهدونه، و لا يشهد. بعضهم بعضا، فرأى نفسه مركبا منه و من القوّة الّتي وجدها، علم بها صدوره كيف كان، و علم أنّ في العلم حقائق معقولات سمّاها معقولات من حيث إنّه عقلها لما تميّزت عنده، فلم يكن لها أن يكون كلّ واحدة منها عين الأخرى فهي للحقّ معلومات، و للحقّ و لأنفسها معقولات، و لا وجود لها في الوجوب الوجودي و لا في الوجوب الإمكاني (في الوجود الوجودي و لا في الوجود الإمكاني) فيظهر حكمها في الحقّ فتنسب إليه و تسمّى أسماء الإلهيّة، فينسب إليها من نعوت الأزل ما ينسب إلى الحقّ، و ينسب أيضا إلى الخلق بما يظهر من حكمها فيه فينسب إليها من نعوت الحدوث ما ينسب إلى الخلق فهي الحادثة القديمة و الأبديّة الأزليّة.

۲-۵-۱۵-۳ (العماء هو نفس الرحمن و جوهره صورة الإنسان الكامل)

و علم عند ذلك هذا العقل: أنّ الحقّ ما أوجد العالم إلّا في العماء و رأى أنّ العماء نفس الرحمن، فقال: لا بدّ من أمرين يسميان في العلم النظري مقدّمتين لإظهار أمر ثالث هو نتيجة ازدواج تينك المقدّمتين، و رأى عنده من الحقّ ما ليس عند الأرواح (المهيّمة فعلم أنّه أقرب مناسبة للحقّ من سائر الأرواح)، و رأى في جوهر العماء صورة الإنسان الكامل الّذي هو للحقّ بمنزلة ظلّ الشّخص من الشّخص، و رأى نفسه ناقصا عن تلك الدّرجة، و قد علم ما يتكوّن عنه من العالم إلى آخره في الدنيا و في المولّدات، فعلم أنّه لا بدّ أن يحصل له درجة الكمال الّتي للإنسان الكامل و إن لم يكن فيها مثل الإنسان.

۲-۵-۱۵-۴ (الإنسان الكامل أكمل من العقل الأوّل)

فإنّ الكمال في الإنسان الكامل بالفعل، و في العقل الأوّل بالقوّة «و ما كان بالقوّة»، و الفعل أكمل في الوجود ممّن هو بالقوّة (دون الفعل)، و لهذا وجد العالم في عينه فأخرجه من القوّة إلى الفعل ليّتصف بكمال الاقتدار، و لوكان في الإمكان إيجاد الممكنات كلّها لما ترك منها واحدا منعوتا بالعدم، لكن يستحيل ذلك لعدم التّناهي، و ما يدخل في الوجود فلا بدّ أن يكون متناهيا فتجلّى له الحقّ فرأى لذاته ظلّا لأنّ ذلك التجلّي كان كالكلام لموسى من جانب الطور.

كذلك كان التجلّي الإلهي لهذا العقل من الجانب الأيمن، فإنّ اللّه له يدين مباركتين مبسوطتين يعني فيهما الرحمة فلم يقرن بهما شيئا من العذاب فيعطي رحمة يبسطها و يعطي رحمة يقبضها، فإنّ القبض ضم إليه و البسط انفساح فيه، فكان ذلك الظلّ الممتّد عن ذات العقل من نور ذلك التجلّي، وكثافة المحدث بالنظر إلى اللطيف الخبير نفسا، و هو اللوح المحفوظ.

و الطّبيعة الذاتيّة مع ذلك كلّه، و تسمّى هناك حياة و علما و إرادة و قولا، كما تسمّى في الأجسام حرارة و برودة و يبوسة و رطوبة، وكما تسمّى في الأركان نارا و هواء و ماء و ترابا، كما تسمّى في الحيوان سوداء، و صفراء، و بلغما، و دما، و العين واحدة و الحكم مختلف:

فالعين واحدة و الحكم مختلف و ذاك سرّ لأهل العلم ينكشف

ثمّ صرف العقل وجهه إلى العماء فرأى ما بقي منه لم يظهر فيه صورة و قد أبصر ما ظهرت فيه الصّور منه قد أنار بالصّور و ما بقي دون صورة رآه ظلمة خالصة و رأى أنّه قابل للصّور و الاستنارة.

۲-۵-۱۵-۵ (في تكوّن العرش)

فاعلم أنّ ذلك لا يكون إلّا بالتحامك بظلك فعمّه التجلّي الإلهيّ، كما تعمّ لذّة الجماع نفس الناكح حتّى تغيبه عن كلّ معقول و معلوم سوى ذاتها، فلما عمّه نور التجلّي رجع ظلّه إليه و اتّحد به فكان نكاحا معنويّا صدر عنه العرش الّذي ذكر الحقّ أنّه استوى عليه الإسم الرّحمن فقال:

الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [طه: ۵].

فما أنكره (من أنكره) أعني الإسم الرّحمن إلّا للقرب المفرط و لم يقرّوا باللّه إلّا لما يتضمّنه هذا الإسم من الرحمة و القهر فعلم و جهل الرّحمن فقالوا: و ما الرحمن، و لو قالها بلسان غير العربيّ لقال ما يشبه هذا المعنى، و يقع الإنكار منهم أيضا، فلا أقرب من الرّحمة إلى الخلق لأنّه ما ثمّ أقرب إليهم من وجودهم و وجودهم رحمة بلا شكّ.

۲-۵-۱۶ الفصل الثّاني في صورة العرش و الكرسي و القدمين

، و الماء الّذي عليه العرش، و الهواء الّذي عليه الماء، و الظلمة الّتي ظهر عنها الهواء الّذي يمسك الماء و يمسك عليه (الجرية و) الحملة و الحافّين.

۲-۵-۱۶-۱ (العرش مرآة للعلم الإلهي)

اعلم أنّ هذه الظّلمة هي ظلمة الغيب و لهذا سميت ظلمة أي لا يظهر ما فيها، فكلّما برز من الغيب ظهر لنا، فنحن ننظر إلى ما ظهر من صور العالم في مرآة الغيب، و لا نعرف أنّ ذلك في مرآة غيب و هي للحقّ كالمرآة، فإذا تجلّى الحقّ لها انطبع فيها ما في العلم الإلهيّ من صور العالم و أعيانه، و ما زال الحقّ متجلّيا لها فما زالت صور العالم في الغيب، وكلّ ما ظهر لمن وجد من العالم فإنّما هو ما يقابله في نظره في هذه المرآة الّتي هي الغيب، فلو جاز أن يعلم جميع ما في علم الحقّ و ذلك لا يجوز فلا يجوز أن يرى من صور العالم في هذه المرآة إلّا ما تراءى له منها، فكان ممّا رآه فيها صورة العرش الّذي استوى الرّحمن عليه و هو سرير ذو أركان أربعة و وجوه أربعة هي قوائمة الأصليّة الّتي لو استقبل (استقلّ) بها لثبت عينه (عليه)، إلّا أنّه جعل في كلّ وجه من الوجوه الأربعة له قوائم كثيرة على السواء في كلّ وجه معلومة عندنا أعدادها زايدة على القوائم الأربعة و جعله مجوّفا محيطا بجميع ما يحوي عليه من كرسيّ و أفلاك و جنّات و سماوات و أركان و مولّدات.

فلمّا أوجده استوى عليه الرحمن و أخذ (واحد) الكلمة لا مقابل لها فهو رحمة كلّه، ليس فيه ما يقابل الرحمة و هو صورة في العماء.

۲-۵-۱۶-۲ (في أن العقل أب و النفس أمّ)

فالعقل أبوه و النّفس أمّه و لذلك استوى عليه الرحمن فإنّ الأبوين لا ينظران أبدا لولدهما إلّا بالرّحمة و اللّه أرحم الراحمين.

فالنفس (و النفس) و العقل موجودان كريمان على اللّه محبوبان للّه فما استوى على العرش إلّا بما تقربه أعين

الأبوين و هو الرّحمن.

فعلمنا أنّه ما يصدر عنه إلّا ما فيه رحمة، و إن وقع ببعض العالم غصص فذلك لرحمة فيه لو لا ما جرعه إيّاها اقتضى ذلك مزاج الطبع و مخالفة الغرض النفسي، فهوكالدّواء الكريه الطعم المستلذ، و فيه رحمة للذي يشربه و يستعمله و ان كرهه، باطنه (فباطنه) فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب، و ما يستوي عليه الرحمن تعالى إلّا بعد ما خلق الأرض:

وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها [فصلت: ١٠].

و خلق السموات، وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [فصّلت: ١٢].

و فرغ من خلق هذه الأموركلّها، و رتّب الأركان ترتيبا يقبل الاستحالات لظهور التكوين و التنقل من حال الى حال (و) بعد هذا استوى على العرش قال تعالى:

فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً [الفرقان: ٥٩].

يعني كلّ من حصل له ذلك ذوقا كأمثالنا، فإنّ أهل اللّه ما عملوا الّذي عملوا إلّا ذوقا، ما هو عن فكر و لا عن تدبّر، فهو تعالى النازل الّذي لا يفارق المنزل و لا النزول، فهو مع كلّ شيء بحسب حال ذلك الشيء.

و في ليلة (تقييدي) ظهر لي هذا الوجه أراني الحقّ في واقعتي رجلا ربع القامة فيه شقرة فقعد بين يدي و هو مبشرة ساكت، فقال لي الحقّ: هذا عبد من عبادنا أفده ليكون هذا في ميزانك، فقلت له: من هو، فقال لي:

هذا أبو العبّاس بن جودي من ساكني البشرات، و أنا إذ ذاك في دمشق، فقلت له: يا ربّ وكيف يستفيد منّي و أين أنا منه، فقال لي: قل فإنّه يستفيد منك فكما أريتك إيّاه أريته إيّاك، فهو الآن يراك كما تراه يخاطبه (فخاطبه) يسمع منك و يقول هو مثل ما تقول أنت، يقول: أ رأيت رجلا بالشّام يقال له محمّد بن العربي و سماني أفادني أمرا لم يكن عندي فهو أستادي، فقلت له: يا أبا العباس ما الأمر، قال: كنت أجهد في الطلب و أنصب و أبذل جهدي، فلمّا كشف لي علمت أنّي مطلوب فاسترحت في ذلك الكدّ، فقلت له: يا أخي من كان خيرا منك و أوصل بالحقّ و أتمّ في الشهود و أكشف للأمر، قيل له: و قل: «ربّ زدني علما» [طه: ١١٤]، فأين الراحة في دار التكليف ما فهمت ما قيل تلك فذلك (لك قولك) علمت إنّي مطلوب، و لم تدر بما ذا، نعم أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد و الجدّ، ما هذه الدّار دار راحة، فإذا فرغت من أمر أنت فيه فانصب في أمر يأتيك في كلّ نفس فأين الفراغ، فشكرني على ما ذكرته به، فانظر عناية اللّه بنا و به.

ثمّ نرجع فنقول:

٢-٥-١٦-٣ (في خلق الملائكة و حملة العرش)

ثمّ إنّه تعالى خلق ملائكة من أنوار العرش يحفون بالعرش، و جعل فيما خلق من الملائكة اربع حملة تحمل العرش من الأربع القوائم الّذي هو العرش عليها وكلّ قائمة مشتركة بين كلّ وجهين إلى حدّ كلّ نصف وجه، و جعل أركانه متفاضلة في الرّتبة، فأنزلني في أفضلها من جملة حملته، فإنّ اللّه و إن خلق ملائكة يحملون العرش، فإنّ له من الصّنف الإنساني أيضا صورا تحمل العرش الّذي هو مستوى الرحمن، أنا منهم و القائمة الّتي هي

أفضل قوائمه هي لنا، و هي خزانة الرّحمة فجعلني رحيما مطلقا مع علمي بالشّدائد، و لكن علمت أنّه ما ثمّ شدّة إلّا فيها رخاوة و لا عذاب إلّا و فيه رحمة، و لا قبض إلّا و فيه بسط، و لا ضيق إلّا و فيه سعة فعلمت الأمرين.

و القائمة الّتي على يميني قائمة رحمة أيضا، لكن ما فيها علم شدّة فينقص حاملها في الدّرجة عن حامل القائمة العظمى الّتي هي أعمّ القوائم، و القائمة الّتي على يساري قائمة الشّدّة و القهر فحاملها لا يعلم غير ذلك، و القائمة الرّابعة الّتي تقابلني أفاضت عليها القائمة الّتي أنا فيها ممّا هي عليه فظهرت بصورتها فهي نور و ظلمة و فيها رحمة و شدّة، و في نصف كلّ وجهة قائمة فهي ثمانية قوائم لا حامل لتلك الأربعة اليوم إلى يوم القيامة، فإذا كان في القيامة وكلّ اللّه بها من يحملها فيكونون في الآخرة ثمانية و هم في الدّنيا أربعة، و ما بين كلّ قائمتين قوائم العرش عليها و بها زينته، و عددها معلوم عندنا، لا أبيّنه لئلّا يسبق إلى الأفهام القاصرة عن إدراك الحقائق: أنّ تلك القوائم عين ما توهّموه، و ليست كذلك فلهذا لم نتعرّض لإيضاح كميّتها.

و بين مقرّ العرش و بين الكرسي فضاء واسع و هواء محترق، و صور أعمال بعض بني آدم من الأولياء في زوايا العرش تطير من مكان إلى مكان في ذلك الانفساح الرّحماني، و قوائم هذا العرش على الماء الجامد، و لذلك يضاف البرد إلى الرّحمة كما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«وجدت برد أنامله».

۲-۵-۱۶-۴ (حملة العرش و مقر الكرسي)

فالعرش إنّما يحمله الماء الجامد، و الحملة الّتي له إنّما هي خدمة تعظيما له و إجلالا (خدمة له تعظيما و إجلالا)، و ذلك الماء الجامد مقرّه على الهواء البارد، و هو الّذي جمد الماء و ذلك الهواء نفس الظّلمة الّتي هي الغيب، و لا يعلم أحد ما تلك الظّلمة إلّا اللّه كما قال:

عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً [الجنّ: ۲۶].

و فيها يكون النّاس على الجسر إذا بدّلت الأرض غير الأرض، و التبدّل في الصّفة لا في العين، فيكون أرض صلاح، لا أرض فساد و تمدّ مدّ الأديم، فلا يرى فيها عوجا و لا أمتا، و سيأتي ذكر ذلك في فصله من هذه الفصول إن شاء اللّه.

۲-۵-۱۶-۵ (في خلق الكرسي و تكوّنه)

و خلق الكرسي في جوف هذا العرش مربع الشّكل، و دلى إليه القدمين، فانقسمت الكلمة الواحدة الّتي هي في العرش واحدة فهي في العرش رحمة واحدة إليها مآل كلّ شيء، و انقسمت في الكرسي إلى رحمة و غضب مشوب برحمة، اقتضى ذلك التّركيب لما يريد اللّه ان يظهر في العالم من القبض و البسط و الأضداد عليها (كلّها). فإنّه المعزّ المذلّ، و القابض الباسط، و المعطي المانع، قال تعالى:

أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ [الزّمر: ۱۹].

فهذا من انقسام الكلمة، غير أنّ الأمر إذا كان ذاتيّا لم يكن إلّا هذا.

أنظر إلى الكون في تفصيله عجبا و مرجع الكلّ في العقبى إلى اللّه

في الأصل متّفق في الصّور مختلف دنيا و آخرة فالحكم للّه
في اللّه من كونه مجلى لعالمه و لا يرى الكون إلّا اللّه باللّه
فاعلم وجودك إنّ الجود موجدة و كن بذاك على علم من اللّه

وكما استوى الرّحمن على العرش استوت قدماه (القدمان) على الكرسيّ و هو على شكل العرش في التربيع لا في القوائم، و هو في العرش لحلقة ملقاة، فالكرسي موضع راحة الاستواء، فإنّه ما تدلى إليه ما تدلى إلّا مباسطة، فالقدم الثبوت فتانك قدم الصّدق، و قدم الجبّار، و قدم الجبر، و قدم الإختيار، و لهاتين القدمين مراتب كثيرة في العلم الإلهي لا يتّسع الوقت لإيرادها لما ذهبنا إليه في هذا الكتاب من الإيجاز و الاختصار.

و مقرّ هذا الكرسيّ أيضا على الماء الجامد، و في جوف هذا الكرسي جميع المخلوقات من سماء و أركان هي فيه كهو في العرش سواء، و له ملائكة من المقسمات، و لهذا انقسمت الكلمة فيه، لأنّ هذا الصّنف لا يعرفون أحدية و إن كانت فيهم، فإنّ اللّه وكلّهم بالتقسيم مع الأنفاس فلو أشهدهم الأحدية منهم و من الأمور كلّها ربما شغلوا بها نفسا واحدا عن التقسيم الّذي خلقوا له و هم المطيعون كما أخبر اللّه عنهم فحيل بينهم و بين مشاهدة الواحدات فأيّة وحدة تجلّت لهم قسموها بالحكم، فلا يشهدون إلّا القسمة في كلّ شيء و لا غفلة عندهم و لا نسيان لما علموه.

٢-٥-١٦-٦ (المفاوضة و الاختصام في الملأ الأعلى)

و أمّا ملائكة التوحيد و الوحدات إذا جمعهم مع المقسمات مجلس إلهيّ و جرت بينهما مفاوضات في الأمر اختصما لأنّهما على النّقيض، و هذا من جملة ما يختصم فيه الملأ الأعلى، فيقول الصّنف الواحد بالوحدة، و يقول الآخر بالانقسام و الثّنويّة لم توجد أرواحهم إلا من هذه الأرواح و لم توجد هذه الأرواح إلّا من القوّتين اللّتين في النّفس الكلّيّة، و هاهنا أبحاث كثيرة لا يخفى على أهلها، و باللّه التوفيق».

٢-٥-١٧ الفصل الثالث في الفلك الأطلس و البروج و الجنّات و شجرة طوبى و سطح الفلك المكوكب

اعلم أنّ اللّه خلق في جوف هذا الكرسي الّذي ذكرناه، جسما شفّافا مستديرا، قسّمه اثني عشر قسما، سمّي الأقسام بروجا و هي الّتي أقسم بها لنا في كتابه فقال تعالى:

وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ [البروج: ١].

و أسكن كلّ برج منها ملكا هم لأهل الجنّة كالعناصر لأهل الدّنيا فهم ما بين مائيّ، و ترابيّ، و هوائي، و ناريّ، و عن هؤلاء يتكوّن في الجنّات ما يتكوّن، و يستحيل فيها ما يستحيل، و يفسد ما يفسد و أعني ينفسد بتغيّر نظامه إلى أمر آخر ما هو الفساد المذموم المستخبث، فهذا معنى يفسد فلا تتوهّم.

٢-٥-١٧-١ (في أنّ الأئمة الإثني عشر وسائط فيض اللّه سبحانه و في بيان عصمتهم)

و من هنا قالت الإماميّة باثني عشر إماما ، فإنّ هؤلاء الملائكة أئمّة العالم الّذي تحت إحاطتهم، و من كون هؤلاء الإثني عشر لا يتغيّرون عن منازلهم، لذلك قالت الإماميّة بعصمة الأئمّة ، لكنّهم لا يشعرون أنّ الإمداد تأتي إليهم من هذا المكان، و إذا سعدوا سرت أرواحهم في هذه المعارج بعد الفصل و القضاء النافر (النافذ) بهم إلى هذا الفلك تنتهي لا تتعدّاه فإنّها لم تعتقد سواه.

فهم و إن كانوا اثني عشر فهم على أربع مراتب، لأنّ العرش على أربع قوائم، و المنازل ثلاثة دنيا و برزخ و آخرة و ما ثمّ رابع، و لكلّ منزل من هذه المنازل أربعة لا بدّ منهم، لهم الحكم في أهل هذه المنازل، فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان الخارج من هذا الضّرب اثني عشر، فلذلك كانوا اثنى عشر برجا.

و لمّا كانت الدّار الدّنيا تعود نارا في الآخرة بقي حكم الأربعة عليها الّتي لها، و البرزخ في سوق الجنّة و لا بدّ فيه من حكم الأربعة و الجنّة لا بدّ فيها من حكم الأربعة، فلا بدّ من البرزخ (البروج) فالحمل و الأسد و القوس على مرتبة واحدة من الأربعة في مزاجهم، و الثّور و السنبلة و الجدي على مرتبة أخرى ولاة أيضا، و الجوزا و الميزان و الدالي على مرتبة أخرى ولاة أيضا، و السّرطان و العقرب و الحوت على مرتبة أخرى ولاة أيضا، لأنّ كلّ واحد من كلّ ثلاثة على طبيعة واحدة في مزاجهم لكن منازل أحكامهم ثلاثة و هم أربعة ولاة في كلّ منزل و كلّ واحد منهم له الحكم في كلّ منزل من الثلاثة كما أنّ اليوم و الليلة لواحد من السبع و الجواري الخنّس الكنّس هو واليها و صاحبها الحاكم فيها، و لكن للباقي من الجواري فيه حكم مع صاحب اليوم فلا يستقل دون الجماعة إلّا بأوّل ساعة من يومه و ثامن ساعة وكذلك الليل.

و الآخرة مثل ذلك و إن كان لها الأسد كما كان للدنيا السّرطان و هو برج منقلب، و الأسد برج ثابت، فانّ كلّ واحد من الإثني عشر له حكم فيها، كذلك الدّنيا و إن كان لها السّرطان فلا بدّ لنا في البرزخ (الباقي.

البروج) من حكم فيها، كذلك البرزخ و إن كان له السّنبلة فلا بدّ لكلّ واحد من الباقين من حكم فيها، و ما ثمّ منزل ثالث إلّا بتبدّل الدّنيا بالنّار، فإنّه قد كان صاحب الدّنيا بحكم الأصل السّرطان فلمّا عادت نارا عزل السّرطان و وليها برج الميزان و تبعه الباقون في الحكم، فانظر ما أعجب هذا، فإذا انقضى حكم عذاب أهل النّار و لها برج الجوزاء و لا بدّ لمن بقي من البروج حكم في ولاية هذا الواليّ.

و إذا كان الحكم لواحد من هؤلاء في وقت نظره فيهم كان مزاج القابل في الآخرة على حكم النقيض حتّى يتّبعهم (يتنعّم) به إذا حكم عليه هذا في المآل خاصّة لأنّ المآل رحمة مطلقة عامة، فبذلك فليفرحوا أعنى بفضل اللّه و رحمته فإنّه خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [آل عمران: ١٥٧].

و لمّا أراد اللّه الفلك الأطلس بما جعل فيه من الولاة و الحكّام و جعل منتهى دورته يوما كاملا لا ليل فيه و لا نهار أوجد ما فيه عند حركته، و بما ألقى و أوحى به إلى النوّاب من الحكم في ذلك و جعل لأحكامهم في كلّ عين مدّة معلومة محصورة تتنوّع تلك المدد بحسب المنزل الدّنياوي و الأخراوي و البرزخي، و الحكم البرزخي أسرعه مدّة و أكبره (أكثره) حكما، و سنينه على قدر أيّامه.

فالأيّام متفاضلة فيوم نصف دورة، و يوم دورة كاملة، و يوم من ثمان و عشرين دورة، و أكبر (أكثر) من ذلك اليوم المعارج، و أقلّ من ذلك إلى يوم الشؤون، و ما بين هذين اليومين درجات للأيّام متفاضلة و جعل لكلّ نائب من هؤلاء الأملاك الإثني عشر في كلّ برج ملكه إيّاه ثلاثين خزانة تحتوي كلّ خزانة منها على علوم شتّى، ينبئون (يهبون) منها لمن نزل بهم عن قراءة (قدر) ما تعطيه رتبة هذا النازل و هي الخزائن الّتي قال اللّه تعالى فيها:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [الحجر: ٢١].

و هذا النازل بهم ما يصرّف ما حصل له من هذه الخزائن من العلوم في نفسه بأنّ (فان) حظّه منها حظّ حصولها و يصرّف ما حصل له في عالم الأركان و المولّدات و الإنسان، فمن النازلين من يقيم عندهم يوما في كلّ خزانة

(و ينصرف و هو أقلّ النازلين إقامة)، و منهم من يقيم ساعة نهار و ساعة ليل و هو أقل النازلين إقامة، و أما أكثر النازلين اقامة فهو الّذي يقيم عندكلّ خزانة ليحصل منها على قدر رتبته عند اللّه و ما يعطيه استعداده مائة سنة، و باقي النازلين ما بين مائة سنة و اليوم، أعني باليوم قدر حركة هذا الفلك الأطلس، و أعني بالمائة سنة كلّ سنّة ثلاث مائة و ستين يوما من أيّام هذه الحركة.

فاعلم ذلك و هذه الخزائن تسمّى عند أهل التعاليم درجات الفلك و النازلون بها هم الجواري و المنازل و عيوقاتها من الثوابت، فالعلوم الحاصلة من هذه الخزائن الإلهيّة هي ما يظهر في عالم الأركان من التأثيرات بل ما يظهر من مقعر فلك الكواكب الثابت (الثابتة) إلى الأرض و سمّيت ثابتة لبطئها عن سرعة الجواري السّبعة، و جعل لهؤلاء الإثني عشر نظرا في الجنّات و أهلها و ما فيها مخلصا من غير حجاب، فما يظهر في الجنان من حكم فهو عن تولّى هؤلاء الإثني عشر بنفوسهم تشريفا لأهل الجنّة، و أما أهل الدّنيا و أهل النّار فما يباشرون و ما لهم من الحكم إلّا بالنّواب و هم النازلون عليهم الّذين ذكرناهم فكلّ ما يظهر في الجنات من تكوين و أكل و شرب و نكاح و حركة و سكون و علوم و استحالة و مأكول و شهوة فعلى أيدي هؤلاء النّواب الإثني عشر من تلك الخزائن بإذن اللّه عز و جلّ الّذي استخلفهم، و لهذا كان بين ما يحصل عنهم بمباشرتهم و بين ما يحصل عنهم بغير مباشرتهم بل بوساطة النازلين بهم الّذين هم لهم في الدّنيا و النّاركالحجاب و النواب بون عظيم و فرقان كبير.

محصّل (يحصل) علم ذلك الفرقان في الدّنيا لمن اتقى اللّه و هو قوله في هذا و أمثاله:

إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً [الأنفال: ٢٩].

و هو علم هذا و أمثاله.

«و يكفّر عنكم سيّئاتكم»، أي يستر عنكم ما يسؤكم فلا ينالكم ألم من مشاهدته، فإنّ رؤية السّوء إذا رآه من يمكن أن يكون محلا له، و إن لم يحل به فإنه تسؤه رؤيته، و ذلك لحكم الوهم الّذي عنده و الإمكان العقلي.

«و يغفر لكم» أي و يستر من أجلكم عن من (ممّن) لكم به عناية في دعاء عامّ أو خاصّ معيّن، فالدعاء الخاصّ ما تعيّن به شخصا بعينه أو نوعا بعينه، و العام ما ترسله مطلقا على عباد اللّه ممّن يمكن أن يحلّ بهم سوء، «و اللّه ذو الفضل العظيم» بما أوجبه على نفسه من الرّحمة و بما أمتن به منها على من استحقّ العذاب كالعصاة في الأصول و الفروع.

و هؤلاء النّواب الإثنا عشر هم الّذين تولّوا بناء الجنّات كلّها إلّا جنّة عدن، فإنّ اللّه خلقها بيده و جعلها له كالقلعة للملك و جعل فيها الكثيب الأبيض من المسك و هو الظاهر من الصّورة الّتي فيها الرّب لعباده عند الرّوية كالمسك (بفتح الميم) من الحيوان و هو الجلد و هو الغشاء الظاهر للأبصار من الحيوان و جعل بأيديهم غراس الجنّات إلّا شجرة طوبى، فإن الحقّ تعالى غرسها بيده في جنّة عدن و أطالها حتّى علت فروعها سور جنّة عدن و تدلت مطلعة (مطلة) على سائر الجنات كلّها و ليس في إكمامها ثمر إلّا الحلي، و الحلل لباس أهل الجنّة و زينتهم زائدا في الحسن و البهاء على تحمل إكمام شجر الجنّات من ذلك لأنّ لشجرة طوبى اختصاص فضل بكون اللّه خالقها (خلقها) بيده فإنّ لباس أهل الجنّة ما هو نسيج (نسج) ينسج و إنّما تشقق عن لباسهم ثمر الجنّة كما تشقق الإكمام هنا عن الورد و عن شقائق النعمان و ما شاكلهما من الأزهاركلّها كما ورد في الخبر الصحيح

كشفا و الحسن نقلا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، إذ قام (إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يخطب بالنّاس فدخل رجل فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أو قام رجل من الحاضرين الشكّ منّي) رجل من الحاضرين فقال: يا رسول اللّه ثياب أهل الجنّة أخلق تخلق؟

أم نسج تنسج؟، فضحك الحاضرون من كلامه، فكره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منهم و قال: «أ تضحكون أن سأل جاهل عالما؟!، يا هذا» و أشار إلى السائل «بل تشقّق عنها ثمرة (ثمر) الجنّة»، فحصل لهم علم لم يكونوا عرفوه.

و أدار بجنّة عدن سائر الجنّات، و بين كلّ جنّة و جنّة سور، يميّزها عن صاحبتها، و سمّي كلّ جنّة باسم معناه سار في كلّ جنّة، و إن اختصت هي بذلك الإسم فإن ذلك الإسم الّذي اختصت أمكن ما هي عليه من معناه و أفضله مثل قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«أقضاكم عليّ، أعلمكم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل، و أفرضكم زيد».

و ان كان كل واحد منهم يعلم القضاء و الحلال و الحرام و الفرائض، و لكن هو بمن سمّي به اختصّ (اخصّ).

و هي جنّة عدن، و جنة فردوس، و جنة النعيم، و جنّة المأوى، و جنّة الخلد، و جنّة السلام، و جنة المقامة و الوسيلة، و هي أعلى جنّة في الجنات فإنّها في كلّ جنّة من جنة عدن الى آخر جنّة، فلها في كلّ جنّة صورة و هي مخصوصة برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وحده نالها بدعاء أمّته حكمة من اللّه حيث نال النّاس السّعادة ببركة بعثته و دعائه إيّاهم إلى اللّه و تبيينه ما نزل اللّه إلى الناس من أحكامه جزاء وفاقا و جعل أرض هذه الجنّات سطح الفلك المكوكب الّذي هو سقف النّار و سيأتي فصله في هذه الفصول إن شاء اللّه تعالى.

و جعل في كلّ جنّة مائة درجة بعدد الأسماء الحسنى، و الإسم الأعظم المسكوت عنه لوتريّة الأسماء و هو الإسم الّذي يتميّز به الحقّ عن العالم هو الناظر إلى درجة الوسيلة خاصّة و له في كلّ جنّة حكم كماله حكم كلّ اسم إلهيّ فافهم.

٢-٥-١٧-٢ (منازل الجنة على عدد آيات القرآن)

و منازل الجنّة على عدد آي القرآن ما بلغ المنا (إلينا) منه نلنا تلك المنزلة بالقراءة و ما لم يبلغ المنا (إلينا) نلنا بالاختصاص في جنّات الإختصاص كما نلنا بالميراث جنات أهل النّار الّذين هم أهلها، و أبواب الجنّة ثمانية على عدد أعضاء التكليف، و لهذا ورد في الخبر أنّ النّبي صلّى اللّه عليه و آله قال فيمن توضّأ و صلّى ركعتين و لم يحدث نفسه بشيء:

«فتحت له أبواب الجنّة الثمانية يدخل من أيّها شاء»، فقال له أبو بكر الصّديق: فما عليه أن لا يدخلها من أبوابها كلّها، فقرر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قول أبي بكر و أثبته.

و في خبر جعله صاحب هذا الحال.

٢-٥-١٧-٣ (لكلّ عضو من أعضاء البدن باب في الجنّة)

فلكلّ عضو باب، و الأعضاء ثمانية: العين و الأذن و اللسان و اليد و البطن و الفرج و الرّجل و القلب، فقد يقوم

الإنسان في زمن واحد بأعمال هذه الأعضاء كلّها فيدخل من أبواب الجنّة الثمانية في حال دخوله من كلّ باب (منها).

فإنّ نشأة الآخرة تشبه البرزخ و باطن الإنسان من حيث ما هو ذو خيال.

۲-۵-۱۷-۴ (في بيان خوخات الجنّات)

و أمّا خوخات الجنّات فتسع و سبعون خوخة و هي شعب الإيمان بضع و سبعون شعبة، و البضع هنا تسعة، فإنّ البضع في اللسان: من واحد إلى تسعة، فأدنى شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطّريق، و أعلاه لا إله إلّا اللّه، و ما بينهما ممّا يتعلّق من الأعمال و مكارم الأخلاق، فمن أتى من مكارم الأخلاق فهو على شعبة من الإيمان و إن لم يكن مؤمنا كمن يوحى إليه في المبشّرات و هي جزء من أجزاء النبوّة و إن لم يكن صاحب المبشّرة نبيّا.

۲-۵-۱۷-۵ (في شعب الإيمان و أقسام النبوّة)

فتفطّن لعموم رحمة اللّه فما تطلق النبوّة إلّا لمن اتّصف بالمجموع فذلك النبيّ و تلك النبوّة الّتي حجزت علينا و انقطعت، فإن من جملتها التشريع بالوحي (و) الملكي في التشريع، و ذلك لا يكون إلّا لنبيّ خاصّة، فلا بد أن يكون لهذه (الشعبة) السبعة حكم فيمن قامت به و اتصف بها و ظهر أثرها عليه، فإنّ اللّه لما أخبر بهذه السبعة (الشعبة) على لسان الرّسول أضافها إلى الإيمان إضافة إطلاق لم (يقيد) يفد إيمانا بكذا، بل قال: الإيمان، و الإيمان بكذا شعبة من شعب الإيمان المطلق، فكلّ شعبة إيمان كالّذين آمنوا بالباطل خاصّة، و هو الإصلاح بين النّاس بما لم يكن، و الخديعة في الحرب، فكان للكذب دخول في الإيمان فهو في موطن (شعبة) سبعة من شعب الإيمان، و قد يوجد هذا من المؤمن و غير المؤمن، على أنّه ما ثمّ غير مؤمن، فإنّ اللّه ما تركه لما (كما) أنّه ما ثمّ غيركافر، فإن الأمر محصور بين مؤمن باللّه و مؤمن بالباطل وكافر باللّه وكافر بالباطل، فكلّ عبد اللّه (عبد للّه) فهو مؤمن كافر معا بعين (يعين) إيمانه وكفره ما تقيد به، فكلّ شعبة من الإيمان طريق إلى الجنّة، فأهل الجنان في كلّ جنّة، و أهل النار من حيث ما قام بهم من شعب الإيمان و هم أهل النّار الّذين لا يخرجون منها فلهم بما كانوا فيه من شعب الإيمان جميع (معاني) الجنّات في النّار إلّا جنّة الفردوس و الوسيلة لا قدم لهم فيهما، فإنّ الفردوس لا عين له في النّار فلهم النعيم و الخلد و المأوى و السّلام و المقامة و عدن، و لأهل الجنّات الرؤية متى شاؤوا، و لأهل النّار في أحيان مخصوصة الرؤية، فإنّ اللّه ما أرسل الحجاب عليهم مطلقا و إنّما قال يومئذ في قوله:

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [المطففين: ۱۵].

لما تعود عليهم و اغلظ في حال الغضب، و الرّبوبيّة لها الشفقة، فإنّ المربّى ضعيف يتعيّن اللطيف (اللطف) به فلذلك كان في حال الغضب عن ربّه محجوبا فافهم.

فأورثه ذلك الحجاب أن جعله يصلّي الجحيم لأنّه ما قال بعد قوله:

«لمحجوبون»، «ثم انّهم لصالوا الجحيم»، إلّا بعد وقوع الحجاب: «لأنّه قال بعد قوله: لمحجوبون: «ثمّ لصالوا الجحيم» فأتى بقوله: «ثمّ» فما صلّى الجحيم إلا بعد وقوع الحجاب» و لذلك قيّده ب «يومئذ».

كذلك أيضا لم يخل إنسان و لا مكلّف أن يكون على خلق من أخلاق اللّه، و أنّ للّه ثلاث مائة خلق، فلا بدّ أن

يكون الإنسان من مؤمن وكافر على خلق من أخلاق اللّه، و أخلاق اللّه كلّها حسنة حميدة، فكلّ ذات قام بها خلق منها، و صرفه في الموضع الّذي يستحقه ذلك الخلق، فلا بدّ أن تستعد (تسعد) به حيث كانت من نار أو جنان، فإنّه في كلّ ذي كبد رطبة أجر، و لا بدّ أن يحو (يحنو) كلّ إنسان على أمر ما من خلق اللّه، فله أجر من ذلك.

فدركات النار هي دركات ما لم ينقطع العذاب فإذا انتهى إلى أجله المسمّى عاد ذلك الدرك في حقّ المقيم فيه درجة للخلق الإلهي الّذي كان عليه يوما.

فما للّه أكرم أن تنساك منته و من يجود إذا الرحمن لم يجد

و لمّا جعل اللّه تعالى في المكلّف عقلا، و تجلّى له، كان له من جهة عقله و نظره عقد و عهد اللّه (للّه)، ألزمه ذلك النّظر العقلي و هو الافتقار إلى اللّه بالذّات و أمثاله.

ثمّ بعث إليه رسولا من عنده فأخذ عليه عهدا آخر على ما تقرّر في الميثاق الأوّل فصار الإنسان مع اللّه بين عهدين عهد عقلي شرعي فأمره اللّه بالوفاء بها بل طلبه الحال بذلك لقبوله، فلمّا وقفت على هذين العهدين و بلغ منّي علمي بهما المبلغ الّذي يبلغه من شاهده قلت:

في القلب عقد حجى و عقد هداية أ تراه يخلص من له عقدان
ربّي بما أعطيتنيه علمته مالي لما حمّلتنيه يدان (تران)
ما كلّ ما كلّفتنيه أطيقه من لي بتحصيل النجاة و ذان
عقلا و شرعا بالوفاء يناديا قلبي و مالي (فما لي) بالوفاء يدان
إن كنت نعتي فالوفاء محصّل أو كنت أنت فما هما عنيان (عنياني)

أما قولي: إن كنت نعتي، فهو قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن ربّه انّه قال:

«كنت سمعه و بصره و يده و مؤيده».

وكذلك «إن كنت»، أعني نعتي (نفسي)، أنت أي أنت الفاعل و الموجد و الوفاء، لا أنا، إذ لا إيجاد لمخلوق في عقد قابل (نابل)، الأمركلّه للّه فما هما يعني العقل و الشرع بحكمهما عليّ عينان (عيناني)، و انّما عينا (عنيا) من له خلق الأعمال و الأحوال و القدرة عليها.

و إنّما قلنا هذا ليحقّق عند السّامعين صدق اللّه في قوله:

وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا [الكهف: ۵۴].

و أقوى الجدال ما يجادل به اللّه.

۲-۵-۱۷-۶ (في بيان تكون شجرة طوبى و أنها كآدم عليه السّلام)

و اعلم، أن شجرة طوبى لجميع شجر الجنّات، كآدم لما ظهر منه من النبيين، فإنّ اللّه لمّا غرسها بيده و سوّاها نفخ فيها من روحه، كما فعل في مريم نفخ فيها من روحه فكان عيسى يحيي الموتى و يبرئ الأكمه و الأبرص،

فشرف آدم باليدين و نفخ الروح فيه فأورثه نفخ الروح، فيه علم الأسماء لكونه مخلوقا باليدين، فبالمجموع نال الأمر، وكانت له الخلافة، و المال و البنون زينة الحياة الدنيا.

و تولى الحقّ غرس شجرة طوبى بيده، و نفخ الرّوح فيها، زينها بثمر الحلي و الحلل الذين فيهما زينة للابسهما فنحر (فنحن) أرضها فإنّ اللّه جعل ما على الأرض زينة لها و أعطت في ثمر الجنّة كلّه من حقيقتها عين ما هي عليه كما أعطت النّواة النخلة و ما تحمله مع النوى الّذي في ثمرها، وكلّ من تولاه الحقّ بنفسه من وجهه الخاصّ بأمر مّا من الأمور فان له شقوقا (شفوفا) و ميزة على من ليس له هذا الإختصاص و لا هذا التوجّه، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

٢-٥-١٨ الفصل الرابع في فلك (المنازل) التنازل

و هو المكوكب و هيئة السماوات و الأرض و الأركان و المولّدات و العمد الّذي يمسك اللّه السّماء به أن تقع على الأرض لرحمته بمن فيها من النّاس مع كفرهم بنعمته (بنعمه) فلا تهوي السّماء ساقطة واهية حتّى يزول النّاس منها.

٢-٥-١٨-١ (في أنّ الفلك المكوكب في جوف الفلك الأطلس)

اعلم، أنّ اللّه خلق هذا الفلك المكوكب في جوف الفلك الأطلس، و ما بينهما خلق الجنّات بما فيها، فهذا الفلك أرضها و الأطلس سماؤها و بينهما فضاء لا يعلم منتهاه إلّا من أعلمه اللّه فهو فيه كحلقة في فلاة (فيحاء) و عين في مقعر هذا الفلك ثماني و عشرين منزلا (منزلة) مع (ما) أضاف إلى هذه الكواكب الّتي سمّيت منازل لقطع السيّارة فيها.

و لا فرق بينها و بين سائر الكواكب الأخر الّتي ليست بمنازل في سيرها و فيما تختصّ به من الأحكام في نزولها الّذي ذكرناه في البروج، قال تعالى:

وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ [يس: ٣٩].

يعني هذه المنازل المعيّنة في هذا الفلك المكوكب و هي كالمنطقة بين الكواكب من الشّرطين إلى الرشاء و هي تقديرات و فروض في هذا الجسم، و لا تعرف أعيان هذه المقادر إلّا بهذه الكواكب «كما أنّه ما عرفت أنّها منازل إلّا بنزول السيّارة فيها، و لو لا ذلك ما تميّزت عن سائر الكواكب (إلّا بأشخاصها) لا بأشخاصها.

و من مقعر هذا الفلك (إلى ما تحته) هي الدّار الدّنيا، فإنّه من هنا (هناك) إلى ما تحته يكون استحالة ما تراه إلى الأخرى، فللأخرى صورة فيها غير صورة الدّنيا فينتقل من ينتقل منها إلى الجنّة من إنسان و غير إنسان، و يبقى ما يبقى فيها من إنسان و غير إنسان.

وكلّ من يبقى فيها فهو من أهل النّار الّذين هم أهلها و جعل اللّه لكلّ من يبقى فيها فهو من أهل النّار الّذين هم أهلها و جعل اللّه لكلّ كوكب من هذه الكواكب قطعا في الفلك الأطلس ليحصل من تلك الخزائن الّتي في بروجه و بأيدي ملائكته الإثني عشر من علوم التأثير ما تعطيه حقيقة كلّ كوكب، و قد بينا ذلك.

و جعلها على طبائع مختلفة و النّور الّذي فيها و في سائر السيّارة من نور الشّمس و هو الكوكب الأعظم القلبي، و نور الشمس ما هو من حيث عينها بل هو من تجلّ دائم لها من اسمه النّور فما ثمّ نور الأنوار، اللّه الّذي هو نور

السّموات و الأرض، فالنّاس يضيفون ذلك النور إلى جرم الشّمس و لا فرق بين الشّمس و الكواكب في ذلك إلّا أنّ التجلّي للشّمس على الدوام فلهذا لا يذهب نورها (الى) زمان تكويرها فإنّ التجلّي المثالي النوري يستتر عنه في أعين النّاظرين بالحجاب الّذي بينها و بين أعينهم و ساحة (بساحة) هذه الكواكب تحدث أفلاكا في هذا الفلك أي ظرفا (طرقا).

٢-٥-١٨-٢ (الهواء حياة العالم)

و الهواء يعمّ جميع المخلوقات فهو حياة العالم و هو حار رطب فما أفرطت فيه الحرارة و السخونة سمّي نارا، و ما أفرطت فيه الرطوبة و قلت حرارته سمّي ماء و ما بقي على حكم الاعتدال بقي عليه اسم الهواء.

و على الهواء أمسك الماء و به جري و أنساب و تحرّك و ليس في الأركان أقبل لسرعة الاستحالة من الهواء لأنّه الأصل و هو فرع لإزدواج الحرارة و الرطوبة على الاعتدال و الطريق المستقيم فهو الأسطقص الأعظم أصل الأسطقصّات كلّها، و الماء أقرب أسطقصّ إليه، و لهذا جعل اللّه منه كلّ شيء حيّ و يقبل بذاته التسخين و لا تقبل النّار برودة و لا رطوبة لا بالذات و لا بالعرض بخلاف الماء.

(وصل)

٢-٥-١٨-٣ (في أعظم البروج و الخزائن التي فيها و منها الإنسان)

فأعظم البروج البروج الهوائيّة و هي الجوزاء و الميزان و الدالي.

و لمّا خلق اللّه الأرض سبع طباق جعل كلّ أرض أصغر من الأخرى ليكون على كلّ أرض فيه (منه) (قبة) سماء.

فلما خلق الأرض و قدّر فيها أقواتها كسى الهواء صورة النحاس الّذي هو الدّخان فمن ذلك الدّخان خلق سبع سماوات طباقا أجساما شفافة و جعلها على الأرض كالقباب على كلّ أرض سماء أطرافها عليها نصف كرة (و) الأرض لها كالبساط فهي مدحة (مدحية) دحاها من أجل السّماء أن تكون عليها فمادت فهال (فقال) بالجبال عليها فثقلت فسكنت بها و جعل في كلّ سماء منها كوكبا و هي الجواري، منها القمر في السّماء الثانية الكاتب و هو عطارد، و في الثالثة الزّهرة، و في الرابعة الشّمس، و في الخامسة الأحمر و هو المريخ، و في السادسة المشتري و هو أو رمز (بهرام)، و في السّابعة زحل و هوكيوان (المقاتل).

فلما سبحت الكواكب كلّها و نزلت بالخزائن الّتي في البروج، و وهبتها ملائكة البروج من تلك الخزائن ما وهبتها أثرت في الأركان ما تولد فيها من جماد الّذي هو المعدن و نبات و حيوان، و آخر موجود الإنسان الحيوان خليقة الإنسان الكامل و هو الصّورة الظاهرة الّتي بها جمع حقايق العالم.

٢-٥-١٨-٣-١ (الإنسان الكامل و أنّ له الخلافة)

و الإنسان الكامل هو الّذي أضاف أضاف إلى جمعيّة حقايق العالم، حقايق الحق الّتي بها صحت له الخلافة، ظهر ذلك فيمن ظهر من هذه الصّورة (الصّور) فجعل في كلّ صنف من المولّدات نوعا كاملا من جنسها، فأكمل صورة ظهرت في المعدن صورة الذّهب، و في النبات شجر الوقواق، و في الحيوان الإنسان.

و جعل بين كلّ نوعين متوسّطات، كالكمأة بين المعدن و النّبات، و النخلة بين النبات و الحيوان، و النسناس و القرد بين الحيوان و الإنسان، و نفخ في كلّ صورة أنشأها روحا منه فحييت، و تعرّف إليها بها فعرفته بأمر جبلت

عليه تلك الصّورة، و ما تعرف إليها إلّا من نفسها، فما تراه إلّا على صورتها.

۲-۵-۱۸-۳-۲ (في أنّ كل شيء حيّ و له نفس)

وكانت الصّور على أمزجة مختلفة و إن كانت خلقت من نفس واحدة كقلوب بني آدم خلقها اللّه من نفس واحدة و هي مختلفة، فمن الصّور من بطنت حياته فأخذه (فأخذ) اللّه بأبصار أكثر النّاس عنها و هي على ضربين: ضرب له نموّ و غذاء، و نوع له نموّ و لا غذاء له، فسمّينا الصّنف الواحد معدنا و حجرا، و الآخر نباتا، و من الصّور من ظهرت حياته فسمّيناه حيوانا و حيّا، و الكلّ حيّ في نفس الأمر ذو نفس ناطقة، و لا يمكن أن يكون في العالم صورة لا نفس لها و لا حياة و لا عبادة ذاتيّة و أمرية، سواء كانت تلك الصّورة ممّا يحدثها الإنسان من الأشكال أو يحدثها الحيوانات، و من أحدثها من الخلق عن قصد و عن غير قصد فما هو إلّا أن نتصوّر الصّورة كيف تصوّرت و على يدي من ظهرت إلّا و يلبسها اللّه تعالى روحا من أمره و يتعرّف إليها من حينه فتعرفه منها و تشهده فيها.

۲-۵-۱۸-۳-۳ (في ظهور الزمان)

هكذا هو الأمر دائما دنيا و آخرة يكشفه أهل الكشف، فظهر الليل و النهار بطلوع الشّمس و غروبها كما حدث اليوم بدورة الفلك الأطلس وكما حدث الزّمان بمقارنة الحوادث عند السؤال بمتى و الزّمان و اليوم و الليل و النهار.

۲-۵-۱۸-۳-۴ (في أن فصول السنة أمور عدميّة نسبيّة)

و فصول السنّة كلّها أمور عدميّة نسبيّة لا وجود لها في الأعيان.

«و أوحى في كلّ سماء أمرها»، و جعل إمضاء الأمور الّتي أودعها السّماوات في عالم الأركان عند سباحة هذه الجواري و جعلهم نوّابا متصرّفين بأمر الحقّ لتنفيذ هذه الأمور الّتي أخذوها من خزائن البروج في السنّة بكمالها و قدّرها (قدر لها) المنازل المعلومة الّتي في الفلك الملكوب، و جعل لها اقترابات و اقترانات (افتراقات)، كلّ ذلك بتقدير العزيز العليم و جعل سيرها في استدارة و لهذا سماها أفلاكا و جعل في سطح السّماء السّابعة الضراح و هو البيت المعمور، و شكله كما رسمته في الهامش.

و خلق في كلّ سماء عالما من الأرواح و الملائكة يعمرونها.

۲-۵-۱۸-۳-۵ (في أنّ الملائكة هم السفراء)

فاما الملائكة فهم السفراء النازلون بمصالح العالم الّذي ظهر في الأركان، و المصالح أمور معلومة و ما يحدث عن حركات هذه الكواكب كلّها، و عن حركة الأطلس لا علم لها (لهؤلاء) السفراء بذلك حتّى تحدث فلكلّ واحد منهم مقام معلوم لا يتعدّاه، و باقي شغلهم التسبيح و الصّلاة و الثّناء على اللّه تعالى.

و بين السّماء السّابعة، الفلك المكوكب كرسي (كراسي) عليها صور كصور المكلّفين من الثقلين، و ستور مرفوعة بأيدي ملائكة مطهرة ليس لهم إلّا مراقبة تلك الصّور و بأيديهم تلك الستور فإذا نظر الملك إلى الصّور قد سمجت و تغيّرت عمّا كانت عليه من الحسن، أرسل الستر بينها و بين سائر الصّور فلا يعرفون ناظرا (ما طرأ) و لا يزال الملك من اللّه مراقبا تلك الصّورة، فإذا رأى تلك الصّورة قد زال عنها ذلك القبح و حسنت رفع الستر، فظهرت في أحسن زينة.

۲-۵-۱۸-۳-۶ (ذكر أرواح الملكيّة و إطلاع أهل الكشف عليه)

و تسبيح تلك الصّور و هؤلاء الأرواح الملكية الموكّلة بالستور:

«سبحان من أظهر الجميل و ستر القبيح»، و اطّلع أهل الكشف على هذا ليتخلّقوا بأخلاق اللّه و يتأدّبوا مع عباد اللّه فيظهرون محاسن العالم و يسترون مساويهم، و بذلك جاءت الشرائع من عند اللّه، فإذا رأيت من يدّعي الأهليّة للّه و يكون مع العالم على خلاف هذا الحكم فهوكاذب في دعواه، و بهذا و أمثاله يسمّى سبحانه بالغافر و الغفور و الغفّار.

۲-۵-۱۸-۳-۷ (في خلق آدم و الجان)

و لمّا كوّن اللّه ملكوته ممّا ذكرناه خلق آدم بيديه من الأركان و جعل أعظم جزء فيه التراب لبرده و يبسه، و أنزله خليفة في أرضه الّتي خلق منها، و قدكان خلق قبله الجانّ من الأركان، و جعل أغلب جزء فيه النار، وكان من أمر آدم و إبليس و الملائكة ما وصف اللّه لنا في القرآن فلا يحتاج إلى ذكر ذلك.

و أمسك اللّه صورة السّماء لأجل الإنسان الموحّد الّذي لا يمكن أن ينفى، فذكره اللّه لأنّه ليس في خاطره إلّا اللّه فما عنده أمر آخر يدّعى عنده ألوهيّة فينفيه بلا إله إلا اللّه الواحد الأحد، و لهذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«لا تقوم القيامة (السّاعة) حتّى لا يبقى على وجه الأرض من يقول اللّه اللّه و هو الذكر الأكبر الّذي قال اللّه فيه: وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ.

فما قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله: من يقول لا إله اللّه، فهذا الإسم هو هجير هذا الإمام الّذي يقبض آخر، أو تقوم السّاعة فتنشق السّماء، فإنّ هذا و أمثاله كان العمد، لأنّ اللّه ماسكها (ما أمسكها) من أجله أن تقع على الأرض، و لذلك قال فيها: انّها «واهية» [الحاقة: ۶۹]، أي واقعة ساقطة، ثمّ ما زالت النوآب تتحرّك في طرقها فالصّورة (و الصّور) تظهر بالاستحالات في عالم الأركان دنيا و برزخا و آخرة إلى أن يرث اللّه الأرض و من عليها، فلا يبقى إلّا ما في الآخرة و هو يوم القيامة، و الداران الجنّة و النّار، و لكلّ واحدة منهما ملؤها من الجنّ و الإنس و ممّا شاء اللّه، و في الجنّة قدم الصدق، (و في النّار قدم الجبّار و هما القدمان اللّتان في الكرسي).

و قد مرّ من الكلام في هذا الفنّ من هذا الكتاب ما فيه غنية للعاقل و بلغة زاد للمسافر توصله إلى مقصوده.

۲-۵-۱۹ الفصل السّادس في جهنّم و أبوابها و منازلها و دركاتها

اعلم، إنّ جهنّم تحوي على السّماوات و الأرض على ما كانت عليه السّماء و الأرض، أي (إذا) كانتا رتقا فرجعت إلى صفتها من الرتق و الكواكب كلّها فيها طالعة و غاربة على أهل النّار بالحرور و الزّمهرير، بالحرور على (المقرورين) المبرودين بعد استيفاء المؤاخذة بما أجرموا، و بالزمهرير على المحرورين ليجدوا في ذلك نعيما و لذّة ما لهم من النّعيم إلّا ذلك و هو دائم عليهم أبدا وكذلك طعامهم و شرابهم بعد انقضاء مدّة المؤاخذة، يتناولون من شجرة الزّقوم، لكلّ إنسان بحسب ما يبرد عنه ما كان يجده أو يسخنه كالظمآن بحرارة العطش فيجد ماء باردا فيجد له من اللّذة لإذهاب لحرارة العطش وكذلك ضدّه.

و أبوابها سبعة بحسب أعضاء التكليف الظاهرة لأنّ باب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع اللّه عليه عند

ما أقرّ له بالربوبيّة و على نفسه بالعبوديّة، فللنّار على الأفئدة اطلاع لا دخول لغلق ذلك الباب فهوكالجنّة حفت بالمكاره، فما ذكر اللّه من أبواب النّار إلّا السّبعة الّتي يدخل منها النّاس و الجانّ.

و أمّا الباب المغلق الّذي لا يدخل عليه أحد في السّور، فباطنه فيه الرحمة بإقراره بوجود (اللّه) ربّا له و عبوديّته لربّه، و ظاهره من قبله العذاب و هي النّار الّتي تطّلع على الأفئدة.

و أمّا منازلها و دركاتها و خوخاتها فعلي ما ذكرنا في الجنّة على السّواء لا تزيد و لا تنقص، و ليس في النّار نار ميراث، و لا نار اختصاص، و إنّما ثمّ نار أعمال، فمنهم من عمرها بنفسه و عمله الّذي هو قرينه، و من أهل الجنّة بقي عمله الّذي كان في الدّنيا على صورته في المكان من النّار الّذي لوكان من أهلها صاحب ذلك العمل لكان فيه، فإنّه من ذلك المكان كان وجود ذلك العمل، و هو خلاف ما كلّف من فعل و ترك، فعاد إلى وطنه كما عاد الجسم عند الموت إلى الأرض الّتي خلق منها، وكلّ شيء إلى أصله يعود و إن طالت المدّة.

فإنّها أنفاس معدودة و آجال مضروبة محدودة يبلغ الكتاب فيها أجله، و يرى كلّ مؤمل (ما) أمله فإنما نحن به و له فما خرجنا عنّا، و لا حللنا إلّا بنا حيث كنّا، و حشرت الوحوش كلّها فيها أنعاما من اللّه عليها إلا الغزلان، و ما استعمل من الحيوان في سبيل اللّه فإنّهم في الجنان على صورة يقتضيها ذلك الموطن، وكلّ حيوان تغذّي به أهل الجنّة في الدنيا خاصّة، و إذا لم يبق في النّار أحد إلّا أهلها و هم في حال العذاب، يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيوضع بين الجنّة و النّار ينظر إليه أهل الجنّة و أهل النّار فيقال لهم تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، فيضجعه الرّوح الأمين و يأتي يحيى عليه السّلام و بيده الشفرة فيذبحه، و يقول الملك لساكني الجنّة و النّار: خلود فلا موت، و يقع اليأس لأهل النّار من الخروج منها، و يرتفع الإمكان من قلوب أهل الجنّة من وقوع الخروج منها، و تغلق الأبواب و هي عين فتح أبواب الجنّة، فإنّها على شكل الباب الّذي إذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل عين فتحه منزلا آخر.

و أمّا أسماء أبوابها السّبعة: فباب جهنّم، و باب الجحيم، و باب السعير، و باب سقر، و باب اللظى، و باب الحطمة، و باب سجّين، و الباب المغلق و هو الثامن الّذي لا يفتح و هو الحجاب.

و امّا خوخات شعب الإيمان فمن كان على شعبة منها، فإنّ له منها تجلّيا بحسب تلك الشعبة كانت ما كانت، و منها ما هي خلق في العبد جبل عليه.

و منها ما هي ملتبسة وكلّ خير فإنّها عن الخير المحض فمن عمل خيرا على أيّ وجه كان فإنّه يراه و يجازي به، و من عمل سرّا فلا بدّ أن يره (يراه)، و قد يجازي به و قد يعفى عنه و يبدل له بخير إن كان في الدنيا قد تاب، و إن مات عن غير توبة فلا بدّ أن يبدّل بما يقابله بما تقتضيه ندامته يوم يبعثون و يرى النّاس أعمالهم، وكلّ مكلّف فما كان يستوحش منه المكلّف عند رؤيته يعود له أنس له به، و تختلف الهيئات في الدارين مع الأنفاس باختلاف الخواطر هنا في الدّنيا، فإنّ باطن الإنسان في الدّنيا هو الظاهر في الدار الآخرة، و قدكان غيبا فيعود شهادة هناك و تبقى العين غيبا باطن هذه الهيئات و الصّور لا تتبّدل و لا تتحوّل فما ثمّ إلّا صور و هيئات تخلع عنه و عليه دائما أبدا إلى غير نهاية و لا انقضاء.

(الباب السّادس و التّسعون و مائتان) (الفتوحات ج ٢ ص ٦٧٩)

۲-۶ في معرفة منزل انتقال صفات أهل السّعادة إلى أهل الشقاء في الدار الآخرة (من الحضرة الموسويّة)

۲-۶-۱ (مساواة درجات الجنة مع دركات النار)

اعلم وفقنا اللّه و إيّاك أنّ درجات الجنّة على عدد دركات النّار، فما من درج إلّا و يقابله درك من النّار، و ذلك أنّ الأمر و النّهي لا يخلو الإنسان إمّا أن يعمل بالأمر أو لا يعمل، فإن عمل (همل) به كانت له درجة في الجنّة معيّنة لذلك العمل خاصّة، و في موازنة هذه الدّرجة المخصوصة لهذا العمل الخاصّ إذا تركه الإنسان درك في النّار لو سقطت حصاة من تلك الدّرجة في الجنّة لوقعت على خط استواء في ذلك الدرك (من النار)، فإذا سقط الإنسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدرك، قال تعالى:

فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ [الصافات: ۵۵].

فالاطلاع على الشيء من أعلى إلى أسفل، و السّواء حدّ الموازنة على الاعتدال، فما رآه إلّا في ذلك الدّرك الّذي في موازنة درجته، فإنّ العمل الّذي نال به هذا الشخص تلك الدّرجة، تركه هذا الشّخص الآخر الّذي كان قرينة في الدنيا بعينه، فانظر إلى هذا العدل الإلهيّ ما أحسنه و هما الرّجلان اللّذان ذكرهما اللّه في سورة الكهف المضروب بهما المثل و هو قوله تعالى:

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ، إلى آخر الآيات [الكهف: ۳۲].

في قصّتهما في الدّنيا، و ذكر في الصّافّات حديثهما في الآخرة في قوله تعالى:

قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ [الصّافات: ۲- ۵۱].

و فيها ذكر المعاتبة، و في قوله:

تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ [الصّافات: ۵۶].

لما اطّلع عليه فرآه في سواء الجحيم، و هو قوله:

ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً [فصّلت: ۵۰].

و ورد في الأخبار الإلهيّة الصّحاح عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن ربّه عزّ و جلّ فيما يقول لعبده يوم القيامة:

«أ فظنّنت أنّك ملاقيّ».

فلنمثّل لك منها الأمّهات الّتي بني الإسلام عليها و هي خمسة:

لا إله إلّا اللّه، و إقام الصّلاة، و إيتاء الزكاة، و صيام رمضان، و حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا.

فمن النّاس من آمن بها كلّها فسعد، و منهم من كفر بها كلّها فشقي، و منهم من آمن ببعضها وكفر ببعضها فهو ملحق بالكافر الحاق حقّ.

و هكذا جميع الأوامر و النّواهي الّتي تقتضيها فروع الشريعة في جميع حركات الإنسان و سكونه في الإيمان بالحكم المشروع فيها، و الكفر و العمل المشروع فيهما بظاهر الإنسان المكلّف و باطنه و ترك العمل، و يحصر ذلك عقد و قول و عمل و في مقابلته حلّ و صمت، و ترك عمل هذه مقابلة من وجه في حق قوم، و مقابلة أخرى في حق قوم، أو هذا الشّخص بعينه و هو عقد مخالف لعقد و قول يخالف قولا، و عمل مخالف لعمل، إذكان لا يلزم من صاحب الحلّ أن يكون قد عقد أمرا آخر، فإنّ الحل إنّما متعلّقه ذلك العقد الإيماني بذلك المعقود عليه فأسقطه المعطل فلم يرتبط (بعقد) آخر، و شخص آخر عقد على وجود الشريك للّه، فحلّ من عنقه عقد حبل التوحيد و عقد حبل التشريك.

فلهذا فصّلنا الأمر على ما يكون عليه في الآخرة موازنا لحالة الدّنيا.

و هذا صورة الشكل في الأمّهات، و عليها نأخذ جميع المأمور بها و المنهيّ عنها من العمل بالمأمور و القول به و الإيمان به و ترك ذلك حلّا و عقدا في الكلّ أو في البعض، وكذلك النّهي عنها من العمل به و القول به و العقد عليه و ترك ذلك حلّا و عقدا للكلّ و البعض.

صورة درج الجنّة، و درك النار و الأعراف و هو السّور الّذي باطنه فيه الرّحمة و ظاهره من قبله العذاب و الرّقائق النازلة و الصاعدة، و وضعناها لك لتتصوّرها في ذهنك إن كنت بعيد الفهم، و اللّه المعين لا ربّ غيره:

و هكذا درج العمل بالأمر و النّهي، و درك ترك العمل بهما، و درج القول بالأمر و النّهي و درك تركهما عقدا و حلّا، كلّا أو بعضا.

و هكذا مناسبات الجزاء كلّها لا تختلّ، قال عزّ و جلّ:

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ [آل عمران: ۵۴].

و قال: قالوا:

إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقرة: ۱۵ و ۱۴].

و قال:

إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ [هود: ۳۸].

و قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ [المطففين: ۲۹].

و قال في الجزاء:

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ [المطففين: ۳۴].

ثم بيّن فقال:

هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ [المطففين: ۳۶].

فعمّ بالألف و اللّام و ردّ الفعل عليهم.

و قال تعالى:

نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ [التوبة: ۶۷].

و لهذا سمّي:

جَزاءً وِفاقاً [النبأ: ۲۶].

و لو لم يكن الأمركذلك لماكان جزاء، و قد ورد في المتكبّرين:

«إنّهم يحشرون كأمثال الذرّ يطأهم النّاس بإقدامهم صغارا لهم و ذلّة و لتكبّرهم على أوامر اللّه».

فالجنة خير لا شرّ فيها و النّار شرّ لا خير فيها.

فجميع علم المشرك و عمله و قوله الّذي لوكان موحّدا جوزي عليه في الجنّة بحسبه، يعطي ذلك الجزاء للموحّد الجاهل بذلك الأمر و العلم المفرط في ذلك العمل التارك لذلك القول، و الجزاء عليه الّذي لوكان مشركا لحصل له في النّار يعطي لذلك المشرك الّذي لا حظّ له في الجنّة، فإذا رأى المشرك ماكان يستحقّه لوكان سعيدا يقول: يا ربّ هذا لي فأين جزاء عملي الّذي هذا جزاؤه؟ فإنّ الأعمال بمكارم الأخلاق و التحريض عليها الّذي هو القول تقتضي جزاء حسنا وقع ممّن وقع، فيقول اللّه له: لما عملت كذا، و يذكر له ما عمل من مكارم الأخلاق و القول بها و العمل بمواقعها، قد جاز على ذلك بما أنعمت به عليك من كذا وكذا، فيقرّر عليه جميع ما أنعمه عليه جزاء لأنعمه المنّة في خلقه المبتدأة الّتي ليست بجزاء، فيزنها المشترك هنالك بما قدكشف اللّه من علم الموازنة فيقول: صدقت، فيقول اللّه له: فما نقصتك من جزائك شيئا و الشّرك قطع بك عن دخول دار الكرامة، فتنزل فيها على موازنة هذه الأعمال و لكن أنزل على درجات تلك الأعمال، فإنّ صاحبها منعه التوحيد أن يكون من أهل هذه الدّار، فهذا هو من الميراث الّذي بين أهل الجنّة و أهل النّار.

و نذكر الكلام في هذا الفصل في باب الجنّة و النّار من هذا الكتاب.

فهذا هو الانتقال الّذي بين أهل السّعادة و أهل الشقاء ، فإنّ المؤمن هنا في عبادة و العبادة تعطيه الخشوع و الذلّة، و الكافر في عزّة و فرحة، فإذاكان في هذا اليوم يخلع عزّ الكافر و سروره و فرحه على المؤمن، و يخلع ذلّ المؤمن و خشوعه الّذي كان لباسه في عبادته في الدّنيا على الكافر يوم القيامة قال تعالى:

خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ [الشورى: ۴۵].

فإنّ هذا النّظر هو حال الذّليل لا يقدر يرفع رأسه من القهر، و ذلك الخشوع من الكافر يوم القيامة، و الذلّة و النّظر المنكسر الّذي لا يرفع بسببه رأسه إنّما هو للّه تعالى خوفا منه، و هذاكان حال المؤمن في الدّنيا لخوفه من اللّه فذلك يوم التغابن حيث يرى الإنسان صفة (عزّة) غيره و سروره و فرحه على غيره و يرى ذلّ غيره و غمّه و حزنه على نفسه، فالحكم للّه العليّ الكبير.

و يتضمّن هذا المنزل من العلوم: علم سؤال الحقّ عباده السّعداء عن مراتب الأشياء بأيّ اسم يسأل، و علم

المناسبات، و علم ما تعطيه الأفكار، و علم الكفيّات، و هو على ضربين: ضرب منه لا يعرف إلّا بالذّوق، و ضرب منه يدرك بالفكر و هو من باب التوسّع في الخطاب لا من باب التحقيق، فإنّ التحقيق بعلم الكفيّات إنّما هو ذوق.

٢-٦-٢ (التخلّق بأسماء اللّه سبحانه و تعالى)

و لقد نبّهني الولد العزيز العارف شمس الدّين إسماعيل بن سودكين التوري على أمركان عندي محققا من غير الوجه الّذي نبّهنا عليه هذا الولد، ذكرناه في باب الحروف من هذا الكتاب (الفتوحات المكيّة الباب الثاني)، و هو التجلّي في الفعل هل يصحّ او لا يصحّ؟ فوقتا كنت أنفيه بوجه، و وقتا كنت أثبته بوجه يقتضيه و يطلبه التكليف، إذكان التكليف بالعمل لا يمكن أن يكون من حكيم عليم، يقول: اعمل و افعل لمن يعلم أنّه لا يعمل و لا يفعل إذ لا قدرة له عليه، و قد ثبت الأمر الإلهيّ بالعمل للعبد مثل:

أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ [البقرة: ۴۳].

اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا [آل عمران: ۲۰۰].

وَ جاهَدُوا [الحجر: ۷۸] فلا بدّ أن يكون له في المنفعل عنه تعلّق من حيث الفعل فيه يسمّى به فاعلا و عاملا، و إذاكان هذا فبهذا القدر من النّسبة يقع التجلّي فيه، فبهذا الطّريق كنت أثبته و هو طريق مرضي في غاية الوضوح يدل أن القدرة (الحادثة) لها نسبة تعلّق بماكلفت عمله لا بدّ من ذلك، و رأيت حجّة المخالف واهية في غاية من الضّعف و الاختلال، فلماكان يوما فاوضني في هذه المسألة هذا الولد إسماعيل بن (أبو) سودكين المذكور، فقال لي: و أيّ دليل أقوى على نسبة الفعل إلى العبد و إضافته إليه و التجلّي فيه إذكان من صفته: من كون الحقّ خلق الإنسان على صورته، فلو جرّد عنه الفعل لما صحّ أن يكون على صورته، و لما قبل التخلّق بالأسماء، و قد صحّ عندكم و عند أهل الطريق بلا خلاف أن الإنسان مخلوق على الصّورة و قد صحّ التخلّق بالأسماء، فلا (فلم) يقدر أحد أن يعرف ما دخل عليّ من السّرور بهذا التّنبيه.

٢-٦-٣ (استفادة الأشياء من تلميذه)

فقد يستفيد الأستاذ من التلميذ أشياء من مواهب الحقّ تعالى لم يقض اللّه للأستاذ أن ينالها إلّا من هذا التلميذ، كما نعلم قطعا أنّه قد يفتح للإنسان الكبير في أمر يسأله عنه بعض العامّة ممّا لا قدر له في العلم و لا قدم، و يكون صادق التوجه في هذا العلم المسؤول عنه، فيرزق العالم في ذلك الوقت لصدق السائل علم تلك المسألة، و لم تكن عنده قبل ذلك عناية من اللّه بالسّائل و تضمنت عناية اللّه بالسّائل أن حصل للمسئول علما لم يكن عنده، و من راقب قلبه يجد ما ذكرناه.

فالحمد للّه الّذي استفدنا من أولادنا مثل ما استفاد شيوخنا منّا أموراكانت أشكلت عليهم.

و يتضمّن علم هذا المنزل علم التبليغ عن اللّه إلى خلقه من رسول و نبيّ و وارث، و يتضمّن علم السّياسة في التعليم بباب اللطف من حيث لا يشعر المطلوب بذلك، و يتضمّن علم الجزاء المطلق و المقيّد، فالمطلق مجازاة العبد ربّه مثل الشكر على (المنعم) النعم، و مجازاة اللّه العبد مثل المزيد فيما وقع عليه الشّكر من العبد، و المجازات المقيّدة هي جزاء (اللّه) العبد في الدّار الآخرة فإنّها ليست بدار تكليف، و (هو الدنيا) قال تعالى:

وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي [البقرة: ۴۰].

في موطن التكليف و هو الدّنيا.

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ [البقرة: ۴۰].

في الدارين معا دنيا و آخرة.

و هذا القدر كاف في هذا الباب و اللّه أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

۲-۶-۴ (الأشكال و الجداول)

و حيث فرغنا من بحث المعاد على سبيل التقرير و العيان، فلنشرع فيه من حيث التشكيل الحاصل بالكشف و الوجدان المنتخب من كلامه قدس اللّه سرّه و هو هذا:

و له مقدّمات وكيفيّات و جداول و أشكال، هذا بعضها اختصارا على الترتيب المتقدّم من الأبواب و الفصول، و هو قوله: و هذا صورة العماء الّذي هو الجسم الحقيقي العام الطبيعي الّذي هو صورة من قوّة الطبيعة، تجلى لما يظهر فيه من الصّور، و ما فوقه رتبة إلّا رتبة الربوبيّة الّتي طلبت صورة العماء من الإسم الرحمن فتنّفس فكان العماء.

فشبّهه لنا الشرع بما ذكر عنه من هذا الإسم فلما فهمنا صورته بالتقريب قال:

«ما فوقه هواء- يعلو عليه فما فوقه إلّا حقّ- و ما تحته هواء يعتمد عليه».

أي ما تحته شيء، ثمّ ظهرت فيه الأشياء.

فالعماء أصل الأشياء و الصّوركلّها، و هو أوّل فرع ظهر من أصل، فهو نجم لا شجر، ثم تفرعت منه أشجار إلى منتهى الأمر و الخلق و هو الأرض، و ذلك بتقدير العزيز العليم.

فهذا المثل المضروب المشكّل الممثل الّذي نضربه و نشكّله هو العماء، و هو الدائرة المحيطة، و هو فلك الإشارات.

و النقط الّتي في الدائرة مثال أعيان الأرواح المهيّمة.

و النقطة العظمى في هذه النقط العقل.

و الدائرة الّتي إلى جانب النقطة العظمى الّتي فيما حلها (في داخلها) نقطتان هي النّفس الكلّ و اللوح المحفوظ.

و تانك النقطتان فيهما القوّتان العلميّة و العمليّة، و الأربع النّقط المجاورات لدائرة النّفس رتبة الطّبيعة التي هي بنت الطّبيعة العظمى.

و الدائرة الّتي في جوف هذه الدائرة العظمى هي جوهر الهيولى و هو الهباء.

و الشكل المربّع فيه هو العرش.

و الدائرة في جوف هذا الشكل المربّع هو الكرسيّ موضع القدمين.

و الدائرة الّتي في جوفه هي الفلك الأطلس.

و الدوائر الثمانية هي الجنّات.

و الدائرة التي تحت الثمانية هو الفلك المكوكب فلك المنازل، و ما تحت مقعره هو جهنّم.

و فيما تحت مقعره انفتحت أشكال السماوات و الأرض و ما بينهما من الأركان و الكواكب الثّابتة كلّ ذلك جهنّم، فإذا بدلت السّماء و الأرض فإنّما يقع التبديل في الصّور لا في الأعيان و إن كانت الأعيان صورا، و لكن إذا علم المراد فلا مشاحة في الألفاظ و العبارات.

و الخطّان اللّذان تحت الشكل المربّع المسمّى عرشا الخط الواحد الماء، و الآخر الهواء.

و أنصاف الدوائر الّتي في جوف فلك الكواكب هي السماوات.

و الخطوط الّتي تستقرّ عليها أطراف أنصاف الدوائر الأرض، و ما بين القبة الّتي في أوّل خطّ من خطوط الأرض ثلاثة خطوط بالحمرة هي الثلاثة الأركان الماء و الهواء و النار.

و المقادير المعيّنة في الفلك الأطلس هي البروج، و المقادير المعيّنة في الفلك المكوكب هي المنازل.

وكلّ قبّة من القباب السّبعة فيها نقطة حمراء هي صورة كوكب كلّ قبة.

ثمّ جميع ما في الفلك المكوكب يستحيل في الآخرة إلى صور غير هذه الصّور.

و في جوف الفلك المكوكب يكون الحشر و النشر و الحساب، و العرش الّذي يتجلّى فيه الحقّ للفصل و القضاء.

و الملائكة في تلك الأرض سبعة صفوف بين يدي العرش، و النّاس و الجانّ بين العرش و صفوف الملائكة.

و الصّراط منصوب كالخطّ الّذي يقسم الدائرة نصفين و ينتهي إلى المرج الّذي خارج سور الجنّة موضع المأدبة الّتي يأكلها أهل الجنّة قبل دخول الجنّة و بعد الجواز على الصّراط.

و سأشكل هذا كلّه و أمثاله و أكتب على كلّ شكل اسم المراد به.

فمن ذلك:

صورة العماء و ما يحوي عليه إلى عرش الاستواء فان موضع صور الأشكال ضيق هنا لا يتسع لصور ما نريد تشكيلة واحدة فإنه لو اتسع كان أبين للناظر فيه.

و من ذلك صورة عرش الاستواء و الكرسي و القدمان و الماء الذي عليه العرش و الهواء الذي يمسك الماء و

الظلمة:

و من ذلك صورة الفلك الأطلس و الجنات و سطح فلك الكواكب و شجرة طوبى:

و من ذلك صورة الفلك المكوكب و قباب السموات و ما تستقر عليه و هو الأرض و الأركان الثلاثة و العمد الذي يمسك اللّه به القبة و المعدن و النبات و الحيوان و الإنسان:

و من ذلك صورة أرض المحشر و ما يحوي عليه الأعيان و المراتب و عرش الفصل و القضاء و حملته و صفوف الملائكة:

و من ذلك صورة جهنم و أبوابها و منازلها و دركاتها:

و من ذلك صورة حضرة الأسماء الإلهيّة و الدنيا و الآخرة و البرزخ:

و من ذلك صورة كثيب الرؤية و مراتب الخلق فيه:

و من ذلك صورة العالم كله و ترتيب طبقاته روحا و جسما و علوا و سفلا:

هذا آخر الأصول الخمسة في المراتب الثّالث من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و آخر بحث المعادكذلك الّذي هو الخامس من الأصول و بيانه في المراتب المذكورة من كلامنا وكلام الشيخ الأعظم قدّس اللّه سرّه.

٢-٦-٥ (رجوع العوالم بعضها إلى بعض)

و مع ذلك كلّه إن أخذت رجوع عالم الأفعال الّتي هي عالم الرّبوبيّة إلى عالم الصّفات، و رجوع عالم الصّفات الّتي هي عالم الكثرة و حضرت الواحديّة، إلى عالم الأسماء و التعيّنات، و رجوع عالم الأسماء و التعيّنات إلى عالم الذات الّتي هي عالم الألوهيّة و حضرت الأحديّة، عرفت تحقيق هذا و ظهر لك سرّ قولنا في تعداد القيامة الصوريّة و المعنويّة إلى اثني عشر قيامة.

وكذلك إن أخذت رجوع عالم المحسوس الّذي هو عالم الشهادة و الملك إلى النّفوس الّذي هو الملكوت و الغيب، و رجوع عالم النفوس و الملكوت إلى الجبروت الّذي هو عالم العقول و غيب الغيب، فإنّ الكلّ واحد و المقصود حاصل.

عباراتنا شتّى و حسنك واحد و كلّ إلى ذاك الجمال يشير

و حيث فرغنا من بحث الأصول الخمسة، و تدويرها في كلّ واحدة من المراتب الثلاث، فلنشرع في الفروع الخمسة كذلك، كما شرطناه أوّلا و نبيّنه على آخر الوجوه و هو هذا و باللّه التوفيق و العصمة و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل. قد تمّ بحمد اللّه و المنّة المجلّد الثّالث من تفسير المحيط الأعظم للسيّد الفقيه العارف السيّد حيدر الآملي رضي اللّه عنه حسب تجزئتنا، و يليه إن شاء اللّه المجلّد الرّابع المشتمل على بقيّة المقدّمة السادسة.